

يحيى

# من وحي القرآن والسنة

تأليف

أ د عقيل حسين عقيل

2017م

## المحتويات

4.....	المقدمة.....
28 .....	يحيى من وحي القرآن .....
28 .....	يحيى اسم مسمى: .....
167 .....	من صفات النبي يحيى .....
167 .....	1 - مبشّر: .....
168 .....	2 - مصدّق: .....
172 .....	3 . سيدا: .....
173 .....	4 . حصورا: .....
176 .....	5 . نبيا: .....
177 .....	6 . وارث: .....
179 .....	أفعال يحيى: .....
184 .....	حاكم في صباه: .....
188 .....	7 . برّ: .....
246 .....	. جبّار مطيع: .....
260 .....	الحواريون: .....
264 .....	عيسى والحواريون: .....
265 .....	بُشرى الملائكة بالميلاد المعجز: .....

268	.....	تحقق البشرى:
303	.....	الحواريون والصحابة:
345	.....	النبي يحيى من السنّة.
347	.....	يحيى خير زمانه:
348	.....	من صفات يحيى:
351	.....	يحيى لم يخلق للعب:
351	.....	طائفة من الصابئة ترى يحيى نبيها:
353	.....	يحيى في مواجهة إبليس:
354	.....	خلق يحيى ليحيى:
420	.....	وفاة يحيى:

## المقدمة

النبي يحيى عليه السلام هو ابن الرسول الكريم زكريا عليه السلام، الذي رزقه الله به بعد مناجاة في المحراب وتضرع إلى الرب الرزاق، وكان ليحيى عليه السلام مزايا وقد اختص بها كما ورد في كتاب الله تعالى، وذلك كاختصاصه بالاسم من عند الله عز وجل وانفراده به أول اسم، وكذلك وصفه بالسيد، وأنه حضور، وأنه زكاة من الله وحنانا وكان تقيا، وكان بارًا ولم يكن جبّارا عصيا، وقد آتاه الله الحكمة والنبوة وسلّم عليه يوم ولادته ويوم موته ويوم بيعته حيا.

هو يحيى بن زكريا الذي ينتهي نسبه إلى يعقوب عليه السلام، وهو من أنبياء بني إسرائيل كأبيه زكريا عليهما الصلاة والسلام الذين بلغوا الناس ما أمرهم الله بتبليغه وجاهدوا في الله حق جهاده. وقد علّمه الله تبارك وتعالى الكتاب (التوراة) وآتاه الحكم والنبوة والعلم صيا.

كان ميلاده استحالة فقد جاء لأبيه زكريا بعد عمر طال حتى يبس الشيخ من الذرية فقد جاء بعد دعوة نقية تحرك بها قلب النبي زكريا عليه الصلاة والسلام. إنه الغلام الذي سماه الله (يحيى) أي سمّاه الله تعالى قبل دُخُولِهِ فِي الْوُجُودِ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ مِثْلٌ وَشَبِيهٌ فِي هَذِهِ الْخَاصِيَّةِ.

ويقال أن يَحْيَى عَلَيْهِ السَّلَامُ أَوَّلَ مَنْ آمَنَ بِعِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ وَصَدَّقَهُ، وَكَانَ يَحْيَى أَكْبَرَ مِنْ عِيسَى وَهُوَ ابْنُ خَالَتِهِ<sup>1</sup>

<sup>1</sup> تفسير البغوي، إحياء التراث، 1، ص 436.

ونحن نقول:

أن اسم يحيى له علاقة بالحياة، فهو اسم يطمئن القلب، وكأنّ الله تعالى يريد أن يقول: اطمئني يا أمّ يحيى؛ فهو سيعيش حياته شاباً ونضجاً ونبياً ورسولاً؛ فلا خوف عليه، فالله ضامن له الحياة طوال عمره الذي كتب له كما تكتب جميع الأعمار لأصحابها من الخالق: قال تعالى: { يَا زَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَىٰ }<sup>2</sup>

فقوله تعالى: (اسمه يحيى) يعني أنّه اسم يبقى، ولن يزول أبداً، أي أنّ صاحب هذا الاسم (يحيى) عليه السّلام سيكون اسمه من بعده باقياً، ولأنّه سيظل باقياً، فهو مع أنّه سمي في زمن الرّسالتين المنسوختين (التوراة والإنجيل) ولكنّه لم ينسخ؛ فكان الاسم باقياً وسيظل كذلك مع بقاء القرآن إلى يوم الدين؛ ذلك لأنّ الله تعالى قد أخذ اسم يحيى من صفته جلّ جلاله (الحي) الذي خلق الحياة والموت، قال تعالى: { الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ }<sup>3</sup>.

وعليه؛ فالحي المطلق هو الذي خلق الحياة وهو الذي جعل اسم (يحيى منها)، والحي: "يعني، الذي له الحياة الدائمة، والبقاء الذي لا أوّل له بحدّ، ولا آخر له بأمد"<sup>4</sup>.

والحي الدائم، دائم الحياة المطلقة، والحي بالإضافة هو: كما هو حال يحيى عليه السّلام؛ الذي يستمدّ حياته من الحي المطلق بالقول والعمل الذي لا يزول، ولهذا يكون متبعاً لما أمر به الحي المطلق جلّ

---

<sup>2</sup> م ريم 7.

<sup>3</sup> الملك 2.

<sup>4</sup> تفسير الطبري - ج 5، ص 386.

جلاله، ولذا الحي بالإضافة هو من يكون حيا بأقواله وأعماله وأفعاله التي تُحسب مصداقا لقوله تعالى: {وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ} 5، وقوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَبْطُلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِثَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا لَا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ} 6

الحي هو خالق الحياة، ولأن كل مخلوق يفنى، وخالق المخلوق لا يفنى فجاء اتصافه بالحي جلّ جلاله. ولذا فمن يخلق الحياة لا بد وأن يتصف بها.

ولأنّته الحي خلق الموت ليكون باقيا حيا أمام امتثال الموت للموت بعد مماته للحياة غير الباقية. قال تعالى: {تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَافُوتٍ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِنْ فُطُورٍ ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنْقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ حَاسِنًا وَهُوَ حَسِيرٌ وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحٍ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ السَّعِيرِ وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَيُسَّعِ الْمَصِيرُ إِذَا أُلْقُوا فِيهَا سَمِعُوا لَهَا شَهيقًا وهي تَفُورُ تَكَادُ تَمَيِّزُ مِنَ الْغَيْظِ كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ قَالُوا بَلَى قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ

<sup>5</sup> آل عمران، 169.

<sup>6</sup> البقرة، 264.

فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ كَبِيرٍ وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ {7}.

اسم الحي من أسماء الصفات التي اتصف بها في علياه، قال تعالى: {اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ} {8}. ففي قوله تعالى: (اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ) تقدم الحياة على القيومية، إذ لو لم تكن هناك حياة لم تكن هناك قيومية على أي أمر من أموره، فالله هو الحي بلا ابتداء، أي من ظلمات الأزل إلى ظلمات الأبد.

نأتي إلى مسألة أولية التسمية، الآية تقول: (لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا)، أي: أنّ الله عزّ وجلّ لم يجعل من قبله أحد بهذا الاسم، لكنّه سمى آخرين بأسمائهم، فالأسماء من الله ولا يعلمها إلا هو وقد سمى الله المخلوقات من الجنّ وملائكة قبل تسمية الإنسان (آدم) الذي سماه الله بعد التسوية، وهناك أمر يلح علينا في كل حين تطرحه التساؤلات الآتية:

لماذا سبّحت الملائكة بعد أنباء آدم بالأسماء (الأسرار)؟

هل كانت الأسماء سرّية مقصورة على المخلوق؟

أم هل كانت الأسماء بواطن وليست ظواهر؟

---

<sup>7</sup> الملك 1 . 10.

<sup>8</sup> البقرة، 255.

نعتقد إنّ الملائكة تعلم ممّا علمها الله عزّ وجلّ أن أسماءها من الله عزّ وجلّ وهي قديمة على المحدث (آدم) فعندما تحصل المحدث على العلم القديم سبحت لله عزّ وجلّ، وهكذا فعل زكريا بعد أن قالت له الملائكة بشارة من الله أنّه سيرزق بولد اسمه يحيى؛ فقد سبح ودعا من حوله للتسبيح لله عزّ وجلّ (فَأَوْحَىٰ إِلَيْهِمْ أَن سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا).

فالمخلوقات قبل آدم كلها سماها الله عزّ وجلّ وذلك لأئها عاجزة في حضرة الخطاب عن اختيار الاسم الذي يناب ذلك مقام حيث العرش العظيم، فمن له القدرة على أن يتسمى باسم هناك؟ أمّا إذا جاء الاسم من العزيز الجبار فإنّ التمام والكمال فيه وفي مضامينه، هنا يمكن أن نتلمس قاعدة هي:

إنّ الأسماء المصطفاة من الله لخلقه هي أسماء مطلقة الدلالة عن المضمون.

وإنّ الأسماء المسماة من البشر هي نسبية في الدلالة عن المضمون.

لذلك فإنّ البحث في الأسماء يجب أن ينطلق من هذه القاعدة التي تضع العقل على أعتاب التحليل فاسم (آدم) لم يكن اسما اعتباريا أو انتقاء مجردا عن جوهر مكنون علينا أن نبحت فيه وكذلك مع اسم عيسى وهذا ما سنفعل في البحث عن دلالة اسم يحيى إن شاء الله بعد برهة.

وعليه فإنّ النبي يحيى نبيا حصورا حيث ساد يحيى نفسه ونوازعها وحفظها من طيش الشهوات بأنّ حصر السالب منها في حاجز الطاعة وترك الموجب منها تأتي نعم الله الحلال بإرادة ووعي



لتتحقق صفة الحصور، وليس كما يدعى المدعون في تفسير الحصور، وهي أمور لا يمكن قبولها في الحديث عن حصرية يحيى من كونه حصورا لانعدام وسائل الاتصال لا لعفته وخلقه، وقد تصدى الرازي إلى الرد على ذلك بعد أن أجمل آراء المفسرين في هذه الصفة فيقول: "فلهم قولان أحدهما: أنه كان عاجزا عن إتيان النساء، ثم منهم من قال كان ذلك لصغر الآلة، ومنهم من قال: كان ذلك لتعذر الإنزال، ومنهم من قال: كان ذلك لعدم القدرة، فعلى هذا الحصور فعول بمعنى مفعول، كأنه قال محصور عنهن، أي محبوس، وهذا القول عندنا فاسد لأنّ هذا من صفات النقصان وذكر صفة النقصان في معرض المدح لا يجوز، ولأنّ على هذا التقدير لا يستحقّ به ثوابا ولا تعظيما.

والقول الثاني: وهو اختيار المحققين أنه الذي لا يأتي النساء لا للعجز، بل للعفة والزهد، وذلك لأنّ الحصور هو الذي يكثر منه حصر النفس، والمنع إنما يحصل أن لو كان المقتضي قائما، فلولا أن القدرة والداعية كانتا موجودتين، وإلا لما كان حاصرا لنفسه فضلا عن أن يكون حصورا، لأنّ الحاجة إلى تكثير الحصر والدفع إنما تحصل عند قوّة الرغبة والداعية والقدرة، وعلى هذا الحصور بمعنى الحاصر فعول بمعنى فاعل<sup>9</sup>.

قبل أن نضيف شيء نتساءل:

أليس يحيى بشرى من الله؟

أتكون البشرية الموهوبة ناقصة أو معيوبة؟

أليس يحيى نبيا؟

---

<sup>9</sup> - تفسير الرازي، ج 4، ص 195.

أَيكون النبي بهذه الصورة المهينة حاشا لله من نقص الرجولة؟

إنّها تساؤلات تحمل في مضمونها كلّ الردود على هذه الآراء الغريبة التي تريد النبيل من أنبياء الله ورسله الذين نؤمن بهم ولا نفرق بين أحد منهم مصداقا وطاعة لأمر الله عزّ وجلّ: {أَمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ} 10.

ولنا أن نضيف شيء في تفسير ذلك يعتمد القاعدة اللغوية والميزان المنطقي، نقول إن الله عزّ وجلّ وصف يحيى بصفة بصيغة التنكير الذي يفيد العموم فقال (حصورا) وذلك يشير إلى أمور كثيرة منها:

- إن الحصر يكون عاما عن كلّ ما يخالف الله من شهوات ونوازع ومحرمات.

- ليس بالضرورة النساء على وجه التحديد.

- أنّ ربط المسألة بالحصر عن النساء أمر فيه تحديد واللفظ عام.

- إنّ قصر الموضوع على جنس الناس معناه تحريم حلال ممّا أحل الله وهذا مستحيل على الله ونبيه يحيى.

وبالفعل احتج البعض بهذه الآية على أن ترك النكاح أفضل وذلك لأنه تعالى مدحه بترك النكاح، وذلك يدل على أن ترك النكاح أفضل في تلك الشريعة، وإذا ثبت أن الترك في تلك الشريعة أفضل،

وجب أن يكون الأمر كذلك في هذه الشريعة بالنص والمعقول، أما النص فقولته تعالى: {أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده} 11، وأما المعقول فهو أنّ الأصل في الثابت بقاؤه على ما كان والنسخ على خلاف الأصل 12.

ومعلوم أنّ الزواج أصل فلا يمكن تحريمه في شريعة ثم حله في أخرى لأنه من أصول الخلق مصداقا لقوله تعالى: {يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيبا} 13.

وبعد أن ناقشنا في بحثنا هذا أنّ يحيى كتابيا نقول: إنّ النص صريح بكون يحيى أخذ الكتاب بقوة (خذ الكتاب بقوة)، هنا السياق يوحي بجدية الأمر وحتميته وأهميته ويحيى في هذا الأمر غير مخير على اعتبار طاعته ونبوته واصطفائه، لأنّ أمر الله أكد عليه أمر الكتاب بأن جعله أمرا صريحا بالفعل خذ، ثم قرن ذلك بالأخذ بالقوة وهي إشارة إلى طبيعة التكليف وجدية المسألة المكلف بها يحيى.

ولفظه قوّة جاءت منكورة، وهذا التنكير الذي يكشف عن عموم غايته التنوع وسعة الدلالة عن القوّة حتى لنكاد نعجز عن حصر أنواع القوّة المقصودة التي يحث الله عزّ وجلّ نبيه يحيى ليعمل بها، لكن يبقى تلمسنا لبعض أنواعها وهي:

ليست قوّة واحدة، فقد تكون قوّة من الله.

---

11 - الأنعام 90.

12 - تفسير الرازي، ج 4، ص 195.

13 - النساء 1.

أو قوّة الكتاب وحجته.

أو قوّة عقيدة يحيى.

أو القوّة المادية ليحيى.

الأمر الآخر هو أنّ عيسى لم يكن الرّسول الخاتم فمن الممكن أن تكون رسالة فيها بقية يتممها رسول أو نبي هو يحيى على هذا الاحتمال، أما محمّد صلوات الله وسلامه عليه فإنه الخاتم الذي كمل الدين برسالته (اليوم أكملت لكم دينكم) لذلك تنتفي كلّ الاحتمالات معه فيما يخص رسالة الكاملة.

وإذا كانت القوّة منكرة فإنّ الكتاب معرف (الكتاب) وهو كما نعتقد الإنجيل ولا يجوز القول بأنّه التوراة لأنّ ذلك يخالف النص القرآني الذي نسخ التوراة بالإنجيل، مصداقا لقوله تعالى: {قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمَسِّنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنجِيلَ} 14.

فالكاتب الذي تعلمه عيسى هو التوراة، لأنّ الإنجيل لم يزل في طور النزول، أمّا وقد نزل الإنجيل كاملا فقد نسخ التوراة لذلك كان أخذ يحيى للكتاب مقصود به الإنجيل.

هنا نتساءل:

ما هي علاقة يحيى بالكتاب؟

لماذا الأخذ بقوّة؟

---

14 - آل عمران 48.

وكيف يكون ذلك؟

نقول: إنّ المسألة الاحتمالية هي ليست قطعية حتما لذا فإنّ الاحتمال الآخر قائم لا محالة، وبما انه احتمال أيضا فهو ليس الأخير بل يبقى باب الاحتمال مفتوحا وهكذا حتى لو افترضت لمسألة احتمالين فانه يبقى هناك احتمال ثالث فلو قلت:

(أن يحيى مات قبل عيسى).

فإنّ الاحتمال الآخر:

هو (إنّ عيسى رفع قبل موت يحيى).

ويبقى الاحتمال الآخر:

وهو أنّ الرفع ووفاة يحيى تزامنا حتى لا تكاد تجد فاصلا زمنيا حقيقيا بينهما.

ثم يحضر احتمال آخر هو غير كلّ هذه الاحتمالات وهكذا، ومن هنا نقول: إنّ النبوة كانت في زكريا قبل عيسى فلما جاء عيسى كانت الرسالة والنبوة عنده ولما رفعه الله إليه استمر التكليف بالرسالة ليحيى (خذ الكتاب).

الكتب تقترن بالرسل ويحيى لم يكن رسولا لأنه نبي بالنص (ونبيا) لكن مهمته كانت في رسالة عيسى هي أخذ الكتاب (الإنجيل) والعمل به بقوة والحرص على أن يعمل المؤمنون بهذا الكتاب ولذلك يحيى كان سيّدا ليستطيع التوافق مع اخذ الكتاب بقوة.

لذلك وعلى الاحتمال المنطقي أن يكون أخذ الكتاب كان لمرحلة ما بعد رفع عيسى، والدلائل التي تؤيد ذلك كثيرة من أهمها إن

عيسى رُفِعَ ولما يؤمن له إلا قليل (فلما أحس عيس منهم الكفر) عليه  
فإن العمل بالكتاب والتبليغ بمضامينه هي مهمة يحيى بعد زكريا.

وتقدم لنا خذ الكتاب بقوة أمورا منها:

- حتمية المهمة.

- أهمية هذا الكتاب.

- طبيعة مهمة يحيى فيه (التبليغ والعمل بقوة).

أنّ صيغة الأسلوب المتمثل بالممازجة بين الأمر (خذ) والصفة  
(قوة) يؤكد أنّ التكليف بالمهمة أمر فيه إصرار المواصلة وضرورة  
الإنجاز، وكأنّ الله عزّ وجلّ يخبر يحيى ويخبرنا أن الكتاب لازال فيه ما  
لم يصل إلى الناس ويريد من يحيى أخذه بقوة وتبليغ المستهدفين به.

فالكتاب مهم على هذا، هنا نسأل:

. هل هناك أهم من الإنجيل في ذلك العصر (رسالة عيسى

ونبوة يحيى)؟

والغريب الذي نريد أن نقف عنده هو إجماع المفسرين وإصرارهم  
على أن الكتاب هو التوراة، ولم يذكروا الإنجيل مطلقا مع إن أغلبهم  
ذكر احتمالا مفاده أن يكون كتابا آخر غير التوراة والإنجيل خص الله  
به يحيى كسائر الأنبياء والرّسل؟

نقول: إنّ في ذلك تغافل عن حقيقة هي أن يحيى عاصر

الإنجيل وسمع كلماته من رسول عاصره وصدق به، فهل الأولى أن  
يأخذ التوراة أم يأخذ الإنجيل المعاصر له آنذاك؟

يجي عليه السّلام مؤتّى الحكم وهو صبيا، (وَأَتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا)  
اعلم أنّ في الحكم أقوالا. الأوّل: أنه الحكمة. ومنه قول الشاعر:  
واحكم كحكم فتاة الحي إذ نظرت.... إلى حمام سراع وارد الثمد  
وهو الفهم في التوراة والفقّه في الدين.

الثاني: وهو قول معمر: أنّه العقل روي أنه قال ما للعب  
خلقنا.

الثالث: أنّه النبوة، وذلك لأنّ الله تعالى أحكم عقله في صباه  
وأوحى إليه وذلك لأنّ الله تعالى بعث يحيى وعيسى عليهما السّلام  
وهما صبيان لا كما بعث موسى ومحمّدا عليهما السّلام، وقد بلغا  
الأشد والأقرب حمله على النبوة لوجهين:

أنّ الله تعالى ذكر في هذه الآية صفات شرفه ومنقبته ومعلوم أنّ  
النبوة أشرف صفات الإنسان فذكرها في معرض المدح أولى من ذكر  
غيرها فوجب أن تكون نبوته مذكورة في هذه الآية ولا لفظ يصلح  
للدلالة على النبوة إلا هذه اللفظة فوجب حملها عليها.

أنّ الحكم هو ما يصلح لأن يحكم به على غيره ولغيره على  
الإطلاق وذلك لا يكون إلا بالنبوة فإن قيل كيف يعقل حصول  
العقل والفتنة والنبوة حال الصبا؟ قلنا: هذا السائل، إما أن يمنع من  
خرق العادة أو لا يمنع منه، فإن منع منه فقد سد باب النبوات لأن  
بناء الأمر فيها على المعجزات ولا معنى لها إلا خرق العادات، وإن لم  
يمنع فقد زال هذا الاستبعاد فإنه ليس استبعاد صيرورة الصبي عاقلا  
أشد من استبعاد انشقاق القمر وانفلاق البحر"15.

---

<sup>15</sup> تفسير الرازي، ج 10، ص 276.

وهذا ما اجمع عليه بقية المفسرين، ولكن اللفظ (الحكم) أوسع من ذلك دلالة أو اثنين، حيث تقول المعاجم اللغوية:

(حكم) والحُكْمُ العِلْمُ والفقهُ قال الله تعالى وآتيناها الحُكْمَ صَبِيًّا أي علما وفقها هذا لِيَحْيَى بن زَكْرِيَّا وكذلك قوله الصَّمْتُ حُكْمٌ وقليلٌ فاعلُهُ.

ولا حُكْمٌ إِلَّا لك وقيل بك خاصمتُ في طلب الحُكْمِ وإبطالٍ من نازعني في الدين وهي مفاعلة من الحُكْمِ وحكّموه بينهم أمره أن يحكم ويقال حكّمنا فلانا فيما بيننا أي: أجزنا حُكْمَهُ بيننا وحكّمه في الأمر فاحتكمّ جاز فيه حُكْمُهُ<sup>16</sup>.

فإذا كان اللفظ يحتمل أن يكو الحكم بمعنى العلم ويحتمل أن يكون بمعنى الحكومة، فلماذا يتم إغفال جانب دلالي مهم من دلالة اللفظ؟

لا شك أنّ الاحتمالين قائمان، ونعتقد أنّهما في الدلالة في الاحتمال، لأنّ الحكم الديني متحقّق لأكثر من نبي ورسول فقد كان يوسف حاكما ماليا على مصر، وحكم داوود وسليمان في أمور الدنيا مصداقا لقوله تعالى: {وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَسَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ} 17.

حنانا: (وَحَنَانًا مِنْ لَدُنَّا وَرِزْقًا)

<sup>16</sup> لسان العرب مادة حكم، ج 12، ص 140.

<sup>17</sup> - الأنبياء 78.



يقال الحنان: الشفقة. ومن صفات الله تعالى الحنان. ومن كآلام العرب: حنانيك، أي حنانا منك بعد حنان. وجعل حنان يحيى من لدن الله إشارة إلى أنه متجاوز المعتاد بين الناس.

والزكاة: زكاة النفس ونقاؤها من الخبائث، كما في قوله تعالى: (فقل هل لك إلى أن تزكى)

المسألة التي نريد أن نقف عليها هنا هي:

لماذا الوصف بهذه الصفات، هل هي غير موجودة عند أحد سوى يحيى؟

ألم يتصف بهذه الصفات غيره؟

هل هي من العام أم من الخاص؟

نعتقد أنّ هذه التساؤلات تنطبق على أغلب صفات الأنبياء والرسل، من حيث أنّها تتوفر فيهم وفي غيرهم من العباد الصالحين، ومع ذلك فإننا نعتقد أنّ هناك مميز يغاير بين حنان يحيى وغيره؟

ونعود إلى نص الآية لنلاحظ أن اللفظ المستخدم في التعبير هو (حنانا) أي بصيغة المصدر ومعلوم أن المصدر هو أصل تشتق منه المشتقات، هنا يمكن القول أنّ حنان يحيى هو مصدر لغيره فهو القدوة والأسوة والمثال، ونعتقد أنّ يحيى ائسى بصفة الله عزّ وجلّ (حنان) على أكمل وجه حتى صار على درجة من التمام التي تؤهل حنانه ليكون مصدرا يستمد منه ويقتدى به، والأمر كذلك مع (زكاة) حيث كان يحيى على الدرجة المثلى من نقاء السريرة والإخلاص في العقيدة. وهذا يفسره سياق آية أخرى مصداقا لقوله تعالى: {وَأَمَّا

الْعُلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنِينَ فَخَشِينَا أَنْ يُرْهَقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا فَأَرَدْنَا أَنْ  
يُبَدِّلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِنْهُ زَكَاةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا {18}.

لقد وصف الله عز وجل يحيى بأنه بر بوالديه لكن ذلك لا يعنى  
أن بره يقتصر على الوالدين فقط بل هي صفة لازمة ليحيى في كل  
علاقاته الإنسانية القائمة على التواصل.

وصفة البرّ ليحيى جاءت في سياق تعداد الصفات الإنسانية  
المثلى في هذا النبي ومنها البرّ الذي يقابل الرحمة عند أبيه زكريا (رحمة  
ربك عبده زكريا).

ويحيى يستمد صفة البرّ من اسم الله البرّ وهو من الأسماء الحسنى  
لله تعالى، ولا نملك إلا أن نقف أمام الاسم الذي يفيض بكلّ معاني  
الجمال التي يمكن أن ترد على الخاطر أو تخرج حروفا على لسان أكثر  
أهل الأرض لنا ورأفة ورحمة فكلّ هذا وغيره مشمول في حرفين  
يسبقهما (ال) التعريف اللذان يحويان لذي القلب الرقيق أن كلّ رحمة  
وعطف ولين ومحبة قد جمعت في (بر)، و(ال) السابقة التي تفيد  
الاستغراق والتخصيص فلا (بارّ) ينتهي بره إلى برّ (البرّ).

البرّ: هو الذي يلتجئ إليه عند كلّ حاجة أو شدة، وهو الذي  
يمد بالعون والمنفعة، فيكرم ويغني ويرحم ويعز من يشاء ويذل من  
يشاء، وهو على كلّ شيء قدير.

والبرّ هو المتسع بملكه وهيمنته وبواسع رحمته، وهو الذي يملك  
الملك بالمطلق فلا ينقص من بره شيء، وهو الرحمن الرحيم.

البرّ الرّحيم: هو الذي يرحم كلّما تمّ الالتجاء إليه، ولذا كلّما التجأ إليه أحد حفظه من كلّ سوء وعطش وجوع وفاقة. فالبرّ هو الذي يستوعب الكلّ دون أن يستثني أحد من بره، ولذا فهو البرّ الكامل بالحسنات ولا نقيصة فيه.

البرّ مصدر وليس مشتقا، أي انه مصدر للاشتقاق، ولذا تستمد الحسنات منه.

فالطائر الذي يحمل الطعام في منقاره الصغير لأفراخ له أعجزها البرّ والصغر والضعف، ممن استمد هذا الحنان؟  
استمده من الله البرّ.

والحيوان الذي يحنو على صغيره بالرغم من كونه وحشا غير أليف، من الذي دفعه لتلك الرحمة الحانية على صغير مجهول المستقبل في علاقته بأبويه؟

دفعه لهذه الرحمة الله البرّ الرّحيم.

على ذلك فإنّ يحيى النبي العارف بمصدر استمداد الصفات نهل من معاني الاسم الكريم وعمل بها سلوكا تاما. أي أنّ البرّ الذي خلّق عليه يحيى هو المحتوي لصفة البرّ المنعم بها على يحيى من البرّ العظيم.

ولأنّ البرّ فضيلة خيرة ولا تستمد إلا من البرّ الرّحيم فعلينا أن نتوسّع في تبيان برّ الله تعالى.

البرّ من الأسماء الحسنى لله تعالى، ولا نملك إلا أن نقف أمام الاسم الذي يفيض بكلّ معاني الجمال التي يمكن أن ترد على الخاطر أو تخرج حروفا على لسان أكثر أهل الأرض لنا ورأفة ورحمة فكلّ هذا وغيره مشمول في حرفين يسبقهما (ال) التعريف اللذان يحويان

لذي القلب الرقيق أن كلَّ رحمة وعطف ولين ومحبة قد جمعت في  
(بر)، و(ال) السابقة التي هي للتعريف تفيد الاستغراق والتخصيص  
فلا (بارُّ) ينتهي بـ (بره) إلى بَرِّ (البرِّ).

هو المحسن والبرُّ المطلق هو الذي منه كلُّ مبرة وإحسان والعبد  
إنما يكون برا بقدر ما يتعاطاه من البرِّ ولا سيما بوالديه وأستاذته  
وشيوخه<sup>19</sup>.

### البرُّ فاعل البرِّ والإحسان<sup>20</sup>.

البرُّ من أسماء الله تعالى وتقدس "العَطُوفُ الرَّحِيمُ اللطيف  
الكرِيم" قال ابن الأثير: في أسماء الله تعالى البرُّ دون البارِّ وهو العَطُوفُ  
على عباده بِيَرَّةٍ ولطفه، والبرُّ والبارُّ بمعنى وإنما جاء في أسماء الله تعالى  
البرُّ دون البارِّ<sup>21</sup>.

البرُّ: هو الذي يلتجئ إليه عند كلِّ حاجة أو شدة، وهو الذي  
يمد بالعون والمنفعة، فيكرم ويغني ويرحم ويعز من يشاء ويذل من  
يشاء، وهو على كلِّ شيء قدير.

والبرُّ هو المتسع بملكه وهيمنته وبواسع رحمته، وهو الذي يملك  
الملك بالمطلق فلا ينقص من بره شيء، وهو الرحمن الرَّحِيم.

البرُّ الرَّحِيم: هو الذي يرحم كلَّما تم الالتجاء إليه، ولذا كلَّما  
التجاء إليه أحد حفظه من كلِّ سوء وعطش وجوع وفاقة. قال تعالى:  
{وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَاهِيمَ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ قَالُوا نَعْبُدُ  
أَصْنَامًا فَنُظِلُّ لَهَا عَاكِفِينَ قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ أَوْ يَنْفَعُونَكُمْ

<sup>19</sup> الغزالي المقصد الأسنى، ص 139.

<sup>20</sup> الإيجي كتاب المواقف، ج 3، 323.

<sup>21</sup> لسان العرب، ج 4، ص 54.

أَوْ يَضْرِبُونَ قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ قَالَ أَفَرَأَيْتُمْ مَا كُنْتُمْ  
تَعْبُدُونَ أَنْتُمْ وَأَبَاؤُكُمْ الْأَقْدَمُونَ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ الَّذِي  
خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ  
يَشْفِينِ وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ  
الدِّينِ رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَالْحَقِّي بِالصَّالِحِينَ {22}.

البرّ الرحيم هو الذي يستوعب الكلّ دون أن يستثني أحد من  
بره، ولذا فهو البرّ الكامل بالحسنات ولا نقیصة فيه.

البرّ مصدر وليس مشتقا، أي انه مصدر للاشتقاق، ولذا  
تستمد الحسنات منه.

فالطائر الذي يحمل الطعام في منقاره الصغير لأفراخ له أعجزها  
البرّ والصغر والضعف، ممن استمد هذا الحنان؟  
استمده من الله البرّ.

والحيوان الذي يحنو على صغيره بالرغم من كونه وحشا غير  
أليف، من الذي دفعه لتلك الرحمة الحانية على صغير مجهول المستقبل  
في علاقته بأبويه؟

دفعه لهذه الرحمة الله البرّ الرحيم.

ومع أنّ يحيى جبّار مطيعا؛ فيحيى لم يكن جبّارا عصيا أي  
متكبرا متعاليا عن قبول الحقّ والإذعان له أو متطاولا على الخلق؛  
وقيل: الجبار هو الذي لا يرى لأحد عليه حقّا.

وقال الرّاعب: هو في صفة الإنسان يقال لمن يجبر نقيصته  
بادعاء منزلة من التعالي لا يستحقّها.

وعَصِيًّا مخالفا أمر مولاه عزّ وجلّ، وقيل: عاقا لأبويه وهو فعول  
وقيل: فعيل، والمراد المبالغة في النفي لا نفي المبالغة.

فهل هذا يعني أنّه لم جبارا؟

لقد كان يحيى جبارا متّقيا لله عزّ وجلّ يستمد صفته من اسم  
العزير الجبار الذي يجبر بين الناس فلا ينقطع بينهم الوصل وهو فيهم  
وهذا هو دور الأنبياء والرّسل أن يكونوا واصلين لا قاطعين وهم  
كذلك والحمد لله من قبل ومن بعد.

وعليه فالجبار هو الذي يجبر العلاقات بعد انقطاعها، ويجبر  
العظم بعد كسره، ويجبر الشفاء بعد مرضٍ، وهذه القدرة لا تكون إلا  
صفة الجبار الأعظم، ومن هنا، كان جبر الخواطر صفة من صفات  
يحيى عليه السّلام، وجبر الضرر مع العفو والتسامح، وهذه جميعها لا  
تستمدّ إلا من الجبّار جلّ جلاله؛ فمع أنّ الأنفس تتنوع وتتعدد  
بالشح والاطمئنان واللوم والأمر بالسوء والأمر بالمعروف، إلا أن منها  
ما يتآلف بعضه مع البعض، ومنها ما يرفض بعضه بعضا، وبالإجبار  
تتم الموائمة طوعا وكرها، قال تعالى: ﴿وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ  
وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا﴾<sup>23</sup> وفي كلّتا الحالتين (الطوع والكره) هناك  
إجبار:

الإجبار الإرادي بالقبول والاستحسان والتآلف وهو القبول  
الطوعي الذي تترتب عليه صلة وعلاقة برغبة، وهذا الأمر يجعل

---

<sup>23</sup> آل عمران 83.

العلاقة بين الأنفس تمتد وتربط بقبول مع فائق التقدير والاحترام المتبادل.

الإجبار بالقوة المسيطرة التي تجعل الليل يأتي في مواعيده والنهار كذلك مع انعدام الاستطاعة والتدخل في التقديم أو التأخير أو التعديل.

وقاعدة جبر النفس، تعني أن النفس كمفردة لا تُجبر إلا مع نفس الآخر قال تعالى: {وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ} 24، وزواج الأنفس يتم أولاً بدخولها البناء البدني للإنسان والاندماج فيه والاصطبغ بخصوصيته. وثانياً بقبول الآخر والاستئناس له. فهناك من يقبل البعض ولا يقبل البعض الآخر، أي كما يقولون هناك من يوصف بثقل ملائكته، وهناك من يوصف بخفتها، بمرحها وانبساطها بالبشاشة والمحبة، وهذه تؤدّي إلى القبول والميل إلى المشاركة والتحاب للأنفس الأخرى وتؤدّي إلى جذبها والتعلق بها. وبالتعلق يحدث إجبار النفس مع النفس، الذي لولاه لكانت كل نفس هائمة في بعدها واستقلاليتها عن الأخرى.

ومع أنّ الدين مصدر للعقيدة، إلا أنّ الدين من عند الله تعالى، أمّا العقيدة فهي رابطة قيمية وأخلاقية توثق بين الناس وبين ما يعتقدون فيه أو يؤمنون به. ولذا لولا الإجبار ما كانت العلاقة بين الدين وبين البشر، فالبشر مادة لهم من العواطف والمشاعر والأحاسيس. أمّا الدين فكلمّ وحجّة ومواعظ تُنظّم حياة الأفراد والجماعات والمجتمعات الإنسانية، وارتباط البشر إيماناً بالكلمّ الحق لا يتم إلا بقوة الجبار الحكيم، وإلا كيف يمكن لها أن تتم لولا مشيئة من

---

24 التكوير 7.

يريد لها أن تتم بيسر ومحبة وشوق. وهذا الأمر لا يجعل الإكراه فعلا قاسيا، بل أنه الفعل المتمشي مع طبيعة الخلق. وفي مقابل ذلك عندما يظهر فعل الرفض للدين أو المعتقد يظل في فعل أمره غير متمشي مع الطبيعة الخلقية.

ودائرة الدين أو العقيدة تمتد لتتجاوز دائرة الأبوة والأخوة وذي القربى وبني الوطن أو العرق لتحتوي جبرا من يؤمن بالمعتقد الواحد حتى يندمج أصحابها في إحساس ومشاعر مشتركة تستوجب التقدير والاعتراف بالمساندة والمؤازرة والفداء المتبادل بحاسة الدين والمشاعر التي أنتجتها وجعلتها في حالة مدد بين الذين يدينون بالدين الواحد أو المعتقد الواحد.

إنّ النَّاسَ بطبعهم يحبون ويكرهون، يغضبون وينبسطون، وبهذا تكون عليهم ولهم مأخذ، ممّا يجعل الأخوة وذوي الحقوق يحتجّون على بعضهم في كلّ تقصير أو ارتكاب خطأ، ويجعل الكبير يأخذ بيد الصغير، ويجعل الصغير في حالة أدب يعتذر لمن هو أكبر منه سنا، ويجعل المؤمن يستغفر من كلّ ذنب ويتسامح، فهذه المواعظ والعبارات الإصلاحية تُجبر الخواطر، وبها تكون اللّحمة، وتعود المياه كما يقولون لمجاريها، {قَالُوا يَا أَبَانَا اسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ} 25 وقوله تعالى: {وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ} 26. الذي يقبل التوبة ويعفو عن السيئات هو الجبار جلّ جلاله الذي يأمر بالتسامح في كتابه العزيز بين النَّاسِ المستخلفين في الأرض.

---

<sup>25</sup> يوسف 97.

<sup>26</sup> الشورى 25.



ومن يريد أن يكون خليفة عليه بالتسامح الذي به تُجر الخواطر بين الناس وخاصة ذوي العلاقة، ولهذا فالاعتراف بالخطيئة فضيلة بين الناس في كثير من الأحيان يترتب عليها أفعال التسامح لا أفعال الإدانة التي تصدر في دوائر المحاكم التي تُجرّم كل من يعترف بذنب أو عملٍ يقترفه، ومع ذلك بالتسامح يتم الإعفاء وبالاستغفار تزداد التوبة.

وعليه ينبغي أن تكون الأحكام قيمية تستمد قوتها وحجتها من مصادر التشريع، لتؤيد عقابا، أو لتنصف مظلوما، أو لتبرئ متهما، أو لتعفو عن سيئة. ولهذا فإن جبر الخواطر لا يتم إلا بجبار ماهر في معرفة تناول المواضيع والقضايا بين الناس، وفي هذا المقام يُعد الجبر مصدر للإصلاح وعودة للعلاقات إلى ما يجب أن تكون عليه، وهو ما يرضي الله تعالى.

إنَّ جبر الخواطر يعيد الاتصال بالآخر والتواصل معه ويفتح آفاق التعايش والسلام من أجل علاقات مشتركة ومستقبل أفضل.

وعليه: إنَّ أساس حُلِقنا حُلِقنا فرادى، وفي أساس وجودنا وتكاثرنا جُبرنا أزواجا مصداقا لقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَى كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾<sup>27</sup> هذا من حيث الخلق كل فرد لا يمكن أن يتطابق مع الآخر، والدليل الشاهد على ذلك البصمة التي بها يتميز كل فرد عن غيره، ولهذا لا يشتهه اثنان في البصمة الواحدة ممَّا جعل الفروق بين الخلق من حيث الخلق لكل مفردة خصوصية تتميز بها عن غيرها من الخصوصيات الأخرى التي هي الأخرى تتميز بما تمتاز به من خلق الرحمن. وإلى جانب التميُّز الخلقى كذلك يتميز الأفراد حُلِقا بما

---

<sup>27</sup> الأنعام 94.

يقولون وبما يعملون من أعمال تدخل بعضهم الجنة وتدخل غيرهم النار. قال تعالى: {وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنْشُورًا اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا مَن اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا} 28.

ومع أنّ أساس الخلق فرادى، إلا أنّ أساس البقاء والاستمرارية هو الزوجية، مصداقا لقوله تعالى: {وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ} 29. وقوله عزّ وجلّ: {وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجًا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ وَمَا يُعَمَّرُ مِنْ مُعَمَّرٍ وَلَا يُنْقَصُ مِنْ عُمْرِهِ إِلَّا فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ} 30، فالجعل في الأرض هو الاستخلاف فيها، والاستخلاف لا يتم إلا بالإجبار الزوجي، ولأجل ذلك خلق الله تعالى الكائنات أزواجا أي من كلّ نوع خلق الذكر والأنثى، فتضاعفت الأنواع جميعها جبرا حتى أصبحت على ما هي عليه طوعا وكرها.

ومع أنّ الأنثى نوع مستقل بذاته والذكر كذلك، إلا أنّ التقائهما لا يتم إلا جبرا، سواء كان غريزة أو وفق شرعة ومنهاج، ولهذا يعد الزواج جبرا لعلاقة تستوجب الاستمرار والاتصال والتواصل، والجبر هنا يعني وجود رابطة تُوحّد علاقة طيبة بين اثنين كان كلّ منهما منفصل أو مستقل عن الآخر، والحاجة تتطلب التقائهما بمودة، والشرعية والسنن تؤسس لها القواعد التي تُرضي الخالق والمخلوق دون أن تترك ذنبا وإثما.

<sup>28</sup> الإسراء 13 . 15.

<sup>29</sup> الذاريات 49.

<sup>30</sup> فاطر 11.

وهكذا الأبوة عاطفة يستمدّها الأبناء من الآباء، والأمومة  
عاطفة يستمدّها الأبناء من الأمهات، أي بالالتقاء الشرعي بين  
الزوجين جبراً، يكون الجنين نتاج الاثنين المشترك هو الثالث جبراً، أي  
لولا جبر الزوجين ما كان الثالث مولداً يجمع خاصيتين في واحد  
عدد. والحمد لله ربّ العالمين.

أد عقيل حسين عقيل

القاهرة 2017

## يحيى

### من وحي القرآن

يحيى اسم مسمى:

يقول الحقّ جلّ وعلا: { يَا زَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَى لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا } 31.

نقول: إنّ تسمية الغلام الموعود به زكريا هو بمثابة التصريح من الله عزّ وجلّ باسم الولد المبشر وبأمور أخرى مهمة منها:

أنّ يحيى ليس أوّل مسمى من الله عزّ وجلّ.

أنّ اسم يحيى لابن زكريا لم يسبق له مثيل على الإطلاق.

إنّ الاختيار الإلهي له دلالات عميقة.

نأتي إلى مسألة أولية التسمية، الآية تقول: (لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا)، أي: أنّ الله عزّ وجلّ لم يجعل من قبله أحد بهذا الاسم، لكنّه سمى آخرين بأسمائهم، فالأسماء من الله ولا يعلمها إلا هو وقد سمى الله المخلوقات من الجنّ والملائكة قبل تسمية الإنسان (آدم) الذي سماه الله بعد التسوية، وهناك أمر يلح علينا في كل حين تطرحه التساؤلات الآتية:

لماذا سبّحت الملائكة بعد أنباء آدم بالأسماء (الأسرار)؟

هل كانت الأسماء سرّية مقصورة على المخلوق؟

---

<sup>31</sup> مريم 7.

أم هل كانت الأسماء بواطن وليست ظواهر؟

نعتقد إنّ الملائكة تعلم ممّا علمها الله عزّ وجلّ أن أسماءها من الله عزّ وجلّ وهي قديمة على المحدث (آدم) فعندما تحصل المحدث على العلم القديم سبحت لله عزّ وجلّ، وهكذا فعل زكريا بعد أن قالت له الملائكة بشارة من الله أنّه سيرزق بولد اسمه يحيى؛ فقد سبح ودعا من حوله للتسبيح لله عزّ وجلّ (فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ أَنْ سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا).

فالمخلوقات قبل آدم كلها سماها الله عزّ وجلّ وذلك لأنّها عاجزة في حضرة الخطاب عن اختيار الاسم الذي يناب ذلك مقام حيث العرش العظيم، فمن له القدرة على أن يتسمى باسم هناك؟

أمّا إذا جاء الاسم من العزيز الجبار فإنّ التمام والكمال فيه وفي مضامينه، هنا يمكن أن نتلمس قاعدة هي:

إنّ الأسماء المصطفاة من الله لخلقها هي أسماء مطلقة الدلالة عن المضمون.

وإنّ الأسماء المسماة من البشر هي نسبية في الدلالة عن المضمون.

لذلك فإنّ البحث في الأسماء يجب أن ينطلق من هذه القاعدة التي تضع العقل على أعتاب التحليل فاسم (آدم) لم يكن اسماً اعتبارياً أو انتقاء مجرداً عن جوهر مكنون علينا أن نبحت فيه وكذلك مع اسم عيسى وهذا ما سنفعل في البحث عن دلالة اسم يحيى إن شاء الله بعد برهنة.

عليه: فالأولية ليست في التسمية وإنما في الاسم لا رسماً فقط، بل مضموناً كذلك.

وفي ذلك نقول: إنَّ اسم يحيى جديد ولا نقاش ولا بحث في الأمر لأنَّ المولى عزَّ وجلَّ قال: (لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا).

إنَّه الاسم الأول من الأوَّل تعالى،

هنا يأتي التساؤل الآتي:

لماذا سماه الله ولم يترك الأمر لأهله؟

تتهادى عند أعتاب هذه الفكرة قيم التكريم والاعتبار والتشريف ونحن نرى أنَّ مخلوقاً سماه الله عزَّ وجلَّ، فانظر أيها الإنسان لو أنَّ رجلاً من رجالات الدنيا ممَّن تعتقد بأهميته اختار لابنك اسماً كم سيكون فخرك وتذكارك وكم سيطول حديثك عن الأمر؟

فكيف إذا كان الاسم من الله عزَّ وجلَّ؟

لكن نعتقد أنَّ الأمر يحتاج إلى قراءة أخرى مفادها أنَّ هذا الاهتمام والرعاية والعناية لم تكن لرعاية المشاعر وإدخال الفرح والسرور مجرداً عن دور ينبأ به الاسم (يحيى) ويمكن لبعض التساؤلات المعرفية عن الاسم أن تبين بعض ذلك وعلى النحو الآتي:

ما المقصود يحيى؟

هل يحيى رسم لفظي مجرد؟

أم هو صفة لذات ابن زكريا؟

أم صفة لفعله؟

هل الجعل للاسم؟

أم أن الجعل للصفة؟

نناقش الآن دلالة الاسم حيث تجمع المصادر اللغوية على أنّ يحيى اسم فعل من الأصل (حيي) فهو يحيى<sup>32</sup>، والأصل مرتبط بالحياة.

هذه الدلالة اللغوية تدفعنا إلى مزيد من البحث في دلالة الاسم لأنّ هذه التسمية الإلهية كما سبق أن أقرّ صريح النص لا بدّ لها أن تكون مطلقة، والدلالة تشير إلى فعل الحياة المضارع المستمر في دلالاته عن الحياة حيث إن يحيى فيه دلالة واضحة إلى الاستمرارية في أداء الفعل، والدلالة اللغوية أضعف قوّة من الدلالة القرآنية مع وجود علاقة رابطة بينهما لأنّ هذا القران عربيّ مبين واللغة التي نستقى منها دلالات الألفاظ عربيّة، لذلك وجب أن نوضح هذا اللبس بين الأمرين وذلك من خلال مجموعة من التساؤلات التي لا بدّ لها في النهاية من الوصول إلى الإقناع:

هل المقصود حياة الجسد؟

أم الروح؟

أم العقيدة؟

بكل تأكيد لن يكون المقصود من اسم يحيى حياة الجسد على حسب ما نعلم لأننا نعتقد أنّ يحيى مات والله اعلم لذلك لن يكون من المنطقي أن نقول إنه يحيى جسداً، والأوّل لو كان المقصود بذلك

---

<sup>32</sup> - تهذيب اللغة، ج 2، ص 208.

أن يكون عيسى هو المسمى بذلك لأن الله رفعه إليه جسدا وروحا  
{وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ} 33.

عليه: لا يمكن أن يكون المعنى حياة الجسد، فهل هي حياة  
الروح؟

هذا احتمال قائم لأنّ يحيى من الأنبياء الذين هم أعلى مرتبة  
من الشهداء كما ينصّ القرآن الكريم مصداق لقوله تعالى: {وَمَنْ  
يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ  
وَالصّٰدِقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصّٰلِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا} 34.

وقد يتساءل متسائل:

كيف يكون الأنبياء أعلى مرتبة من الشهداء؟

نقول إنّ هذه الآية تتحدث عن نعم الله المسبغة على العباد،  
وهذه النعم تسلسلت على نحو ممّا يريد الله عزّ وجلّ من الاختصاص  
لعباد وتفضيل على النحو الآتي:

النبيون.

الصديقون.

الشهداء.

الصّٰلِحُونَ.

فإذا كان الشهداء أحياء دون أن نشعر نحن من أصحاب  
الملكات الإدراكية المحدودة بحياتهم مصداقا لقوله تعالى: {وَلَا تَقُولُوا

---

33 النساء 157.

34 - النساء 69.



لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِنْ لَا تَشْعُرُونَ {35،  
فكيف بمن هم أعلى مرتبة من الشهداء، بالتأكيد سيكون هؤلاء  
أحياء ويحيى منهم فهو حي يحيى.

وقد يكون يحيى من شهداء العقيدة، لأنّ التفاسير تكاد تجمع  
على أنّ اليهود قتلوا يحيى، يقول ابن عاشور: "ويحيى بن زكريا قتله  
هيرودس"36، ويقول أبو السعود: "وَيَقْتُلُونَ النَّبِيْنَ بِغَيْرِ الْحَقِّ كَزَكْرِيَا  
ويحيى عليهم السلام.

ونحن وان كانا نبحث عن الحجّة القاطعة لكن الإجماع يدعوننا  
إلى الأخذ بالمقولة على الترجيح ومناقشتها لاسيما أنّ الآيات الكثيرة  
تقرّر أنّ اليهود قتلوا أنبيائهم وعلى النحو الآتي:

. {بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّنَ بِغَيْرِ الْحَقِّ  
ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ}37.

{إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّنَ بِغَيْرِ حَقِّ  
وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ}38.

. {ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذَّلِيلَةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوا إِلَّا بِحَبْلٍ مِنَ اللَّهِ وَحَبْلٍ مِنَ  
النَّاسِ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا  
يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا  
يَعْتَدُونَ}39.

---

35 - البقرة 154.

36 - التحرير والتنوير، ج 1، ص 320.

37 - البقرة 61.

38 - آل عمران 21.

39 - آل عمران 112.

{ فَبِمَا نَقُضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ وَكُفْرِهِمْ بِآيَاتِ اللَّهِ وَقَتْلِهِمُ الْأَنْبِيَاءَ بَغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا وَكَفَرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ بُهْتَانًا عَظِيمًا } 40.

فهو حي إذا أخذنا بالقول بأنه من شهداء العقيدة من الأنبياء.

بقي السؤال الأخير هل كان حي في عقيدة المؤمنين؟

هذا احتمال وارد جدا لأن عقيدة يحيى جعلته يحيى في قلوب المؤمنين الموحدين في كل مكان، فهذا النبي لا يزال يحيى كل يوم للباحث في سيرة هؤلاء المكرمين الأخيار، هنا نسأل:

من بقي حي يحيى أم قتلة يحيى؟

أخيرا وقبل أن نختتم الحديث عن دلالة الاسم نذكر أن قاعدة أقرناها هنا هي أن الاحتمال الأخير يعني أن احتمالا آخر موجود، هنا نتساءل:

ألا يحتمل النص أن يكون يحيى حي؟

أليس هناك من لا يزال من الأنبياء حيا (عيسى)؟

ألا يجوز أن يكون الأمر في عيسى وغيره؟

إنها مجرد احتمالات ندعوك أيها القارئ أن تتبصر في البحث فيها ولك حرية الاختيار فيما يقبله منطق ولا يخالفه نص قاطع.

ومن ثم أقول: إن الله تعالى قد كرم زكريا بيحيى، أي أن زكريا سأل ربّ فكانت الاستجابة يحيى، إذن ألا يكون هذا تكريما لزكريا من الكريم جلّ جلاله؟

إنه الكريم الذي إذا سؤل أجاب وأعطى.

ولسائل أن يسأل:

نحن نسأل ولا إجابة؟

أقول:

إذا كنت مؤمنا بأنه المجيب فكيف لك بهذا السؤال؟

وإذا كنت مؤمنا لا بد أن تكون واثقا أنه المجيب الكريم الذي يكرمك بالإجابة، ولكن عندما يكون سؤالك حق ولا مظلمة فيه لأحد. وكذلك عندما يكون سؤالك حاجة، وهنا ستكون الإجابة بين وقتية (آنية) وبين أن تكون لاحقة، وهذا تقدير من المجيب الكريم مالك الإرادة جلّ وعلا، { وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَيَوْمَ يَقُولُ كُنْ فَيَكُونُ قَوْلُهُ الْحَقُّ وَلَهُ الْمُلْكُ } 41.

وعليه فقد سأل زكريا الكريم دعاء؛ فأكرمه بيحيى مولودا ونبيًا، ولهذا إذا دعوت فادع الكريم، وإذا قصدت أقصد كريما؛ فالكريم جلّ جلاله هو: "الذي إذا قدر عفا، وإذا وعد وفى، وإذا أعطى زاد على منتهى الرجاء ولا يبالي كم أعطى ولمن أعطى، وإن رفعت حاجة إلى غيره لا يرضى، وإذا جفني عاتب وما استقصى ولا يضيع من لاذ به والتجأ ويغنيه عن الوسائل والشفعاء؛ فمن اجتمع له جميع ذلك لا بالتكلف فهو الكريم المطلق" 42.

الحمد لله أولا وآخرا وظاهرا وباطنا سرا وعلنا كما ينبغي لجلال وجهك وعظيم سلطانك حمدا طيبا مباركا فيه ملء السماوات وملء

---

41 الأنعام 73.

42 المقصد الأسنى، ج 1، ص 117.

الأرض وملء ما شئت من شيء بعد أهل الثناء والمجد أحق ما قال العبد وكلنا لك عبد، والصلاة والسلام التامان الأكمالان على أشرف خلقك سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه الكرماء.

الكريم اسم كمال من أسماء الله الحسنى وهو كثير الخير الجواد المعطي الذي لا ينفد عطاؤه وهو الكريم المطلق والكريم الجامع لأنواع الخير والشرف والفضائل والكريم اسم جامع لكل ما يُحمد فالله عز وجل كريم حميد الفعال وربّ العرش الكريم العظيم.

من اسمه الكريم تستمد صفة الكرم في خلفائه في الأرض، ولذا فإنّ جمع الكرم كرماء وكرام.

الكرم الحقيقي المطلق هو من صفة الله تعالى ثم هو من صفة الخليفة من آمن به وأسلم لأمره وهو مصدر يُقام مُقام الموصوف فيقال رجل كرم، والكريم بالإضافة هو الرجل المسلم المستحق للاسم المشتق من الكريم المطلق، وقوله: كرائم الأموال أي نفائسها التي تتعلّق بها نفس مالها<sup>43</sup>.

فالكريم جلّ جلاله هو مصدر العطاء دون انتظار مقابل، فهو يخلق الأسباب ويجعل تيسيرها بين أيدي من هم في حاجة. ولذا فالعلاقة قوية بين اسمه الكريم واسمه الجواد إلا أنّ تميّزا كبيرا لكل فعل مترتب على اسم من أسمائه المطلقة.

الجود والكرم:

إنّ الكرم يتصرف على وجوه فيقال لله تعالى كريم ومعناه أنه عزيز وهو من صفات ذاته ومنه قوله تعالى: { يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّبَكَ

<sup>43</sup> لسان العرب، ج 12، ص 510.

بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ}44. أي العزيز الذي لا يغلب، ويكون بمعنى الجواد المفضل فيكون من صفات فعله، ويقال: رزق كريم إذا لم يكن فيه امتهان أي كرم صاحبه، والكريم الحسن في قوله تعالى: {مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ}45. ومثله {وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا}46 أي حسنا والكريم بمعنى المفضل في قوله تعالى: {أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ اتَّقَاكُمْ}47. أي أفضلكم ومنه قوله تعالى: {وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ}48. أي فضلناهم، والكريم أيضا السيد، كما في قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ "إذا أتاكم كريم قوم فأكرموه"49 أي سيد قوم، ويجوز أن يقال الكرم هو إعطاء الشيء عن طيب نفس قليلا كان أو كثيرا.

والجود سعة العطاء ومنه سمي المطر الغزير الواسع جودا، ويجوز أن يقال الكريم هو إعطاء من يريد إكرامه وإعزازه. وقيل في الفرق بينهما أنّ الجواد هو الذي يعطي مع السؤال. والكريم: الذي يعطي من غير سؤال. وقيل بالعكس50. والحقّ: الأوّل، لما ورد في أدعية الصحيفة الشريفة: "وأنت الجواد الكريم" ترقيا في الصفات الحسان، وقيل: الجود إفادة ما ينبغي لا لغرض51.

الكريم والجواد لا فرق بينهما إنهما صفتان لاسم واحد هو الله عزّ وجلّ، ولذا فالكريم هو الجواد بالتمام، وهما الأوّل والآخر، إلا أن

44 الانفطار، 6.

45 الشعراء، 7.

46 الإسراء 23.

47 الحجرات، 13.

48 الإسراء، 70.

49 سنن ابن ماجه، ج 11، ص 121.

50 الكليات 2، ص 172

51 الفروق اللغوية، ج 1، ص 170، 171، وتهذيب اللغة، ج 3، ص 374

الفرق بين فعل الكرم وفعل الجود: الكرم صفة لفعل العطاء قبل انتظار الطلب أو قبل توجيهه، والجود فعل عطاء مترتب على فعل الطلب، فيكون فعل سريع الإجابة لمن تضرع أو تقدم بطلب، ولذلك كلا الصفتين حسنتان.

والخليفة الكريم هو من لا ينتظر طلب محتاج إذا علم بحاجته، وإذا لم يعلم يجود بعد علم ومعرفة، ولذا فالفرق كبير ودون مقارنة فقط للتيان، الفرق كبير بين الكريم والجواد المطلق وبين الكريم والجواد بالإضافة، الأوّل جلّ جلاله في الحالتين هو عليم، ولذلك فهو يعلم من هو في حاجة ويكرمه بمكرمة، ومن هو مؤمن به ويتوجه إليه بالطلب والدعاء ويستجيب له بالجود الواسع. وعليه الكريم يعطي خلقه دون طلب سواء بشرا أو حيوانا أو طيرا أو سمكا أو نباتا وكل من هو في حاجة للحياة التي يعلمها الكريم جلّ جلاله.

فللخليفة أن يكون معرضا عن تصرفات اللئام متصرفا تصرف الكرام لتظهر مكرماته فيعمل المستخلفون بعمله فيكون طبقا لما قال الشاعر:

وأغفر عوراء الكريم اِدِّخاره وأعرض عن شتم اللئيم تكُرُّما

مسميات كريمة:

المسميات الكريمة جميعها إعجازية، ولذا فهي مكارم ذات فضائل حسان قال تعالى: { إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ } 52. واعلم أنه تعالى سمى سبعة أشياء بالكريم { مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ } 53. إذ لا جواد أجود منه، والقرآن بالكريم، لأنه لا يستفاد من كتاب من

---

<sup>52</sup> الواقعة، 77.

<sup>53</sup> الانفطار، 6.

الحكم والعلوم ما يستفاد منه إنه عطاء دون طلب، وفيه كل مفاتيح الخير والسلامة والحفظ من كل شر، وسمى موسى كريماً {وَجَاءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ} 54. وسمى ثواب الأعمال كريماً، {فَبَشَّرَهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ} 55. وسمى عرشه كريماً {اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ} 56 لأنه منزل الرحمة، وسمى جبريل كريماً، {إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ} 57. ومعناه أنه عزيز، وسمى كتاب سليمان كريماً، {إِنِّي أُنقِيَ إِلَيْكَ كِتَابٌ كَرِيمٌ} 58 فهو كتاب كريم من رب كريم نزل به ملك كريم على نبي كريم لأجل أمة كريمة ورسالة عظيمة، فإذا تمسكوا به نالوا ثوابا كريماً واتبعوا ما يقول الخليفة ويفعله لأنه هو أهل الإنقاذ من العذاب للدخول للجنة والفوز بالنعيم بأمر ربه بما منحه البركة والبرهان 59.

#### معاملة الكريم للسائل:

الخليفة الذي يوده الله أن يكون خليفة له في الأرض هو فاعل الخيرات وهو الكريم الذي يجود على من هم في حاجة كلما علم بحاجتهم دون أن ينتظر طلب منهم ودون أن ينتظر وجاهة أو مقابلا مهما كان، إنه كريم لوجهه الكريم عز وجل. قال تعالى: {قَوْلٌ

54 الدخان 17.

55 يس، 11.

56 النمل، 26.

57 التكوير، 19.

58 النمل، 29.

59 تفسير الرازي، ج 1، ص 283.

مَعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِنْ صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أَدَىٰ وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ {60. في هذه الآية الكريمة ثلاث مسائل:

الأولى . قوله تعالى: (قول معروف) أي قول معروف أولى، وهو القول الذي اعتاده الناس وتعارفوا عليه بأنه مملوء بالأفعال الحسان المرغوبة من قبلهم وهي في درجات التفضيل القيمي عندهم مما جعلها محبة إليهم ويرغبونها أن تسود وهم يتوادون بها في كل خير. والقول المعروف هو الدعاء والتأنيس والترجية بما عند الله، خير من صدقة هي في ظاهرها صدقة وفي باطنها لا شيء، لأن ذكر القول المعروف فيه أجر وهذه لا أجر فيها. قال صلى الله عليه وسلم: "الكلمة الطيبة صدقة وإن من المعروف أن تلقى أخاك بوجه طلق"<sup>61</sup>. فيتلقى السائل بالبشر والترحيب، ويقابله بالطلاقة والتقريب؛ ليكون مشكورا إن أعطى ومعدورا إن منع. وحكى أنّ رجلا قصد وزيرا في حاجة لم يقضها وظهر له منه ضجر فقال شاعرا:

لا تدخلناك ضجرة من سائل فلخير دهرك أن ترى مسئولا

لا تجبهن بالرد وجه مؤمل فبقاء عزك أن ترى مأمولا

تلقى الكريم فتستدل ببشره وترى العبوس على اللئيم دليلا

واعلم بأنك عن قليل صائر خيرا فكن خيرا يروق جميلا

وروى من حديث عمر رضي الله عنه قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: "إذا سأل السائل فلا تقطعوا عليه مسأله حتى يفرغ منها، ثم ردوا عليه بوقار ولين، أو ببذل يسير، أو رد جميل، فقد

---

<sup>60</sup> البقرة 263.

<sup>61</sup> صحيح مسلم، ج 13، ص 69



يأتيكم من ليس بإنس ولا جان ينظرون صنيعكم فيما خولكم الله تعالى"62. قلت: دليله حديث أبرص وأقرع وأعمى، وذلك أن ملكا تصور في صورة أبرص مرة وأقرع أخرى وأعمى أخرى امتحانا للمسؤول. وقال بشر بن الحارث: رأيت عليا في المنام فقلت: يا أمير المؤمنين! قل لي شيئا ينفعني الله به، قال: ما أحسن عطف الأغنياء على الفقراء رغبة في ثواب الله تعالى، وأحسن منه تيه الفقراء على الأغنياء ثقة بموعود الله63. هذا للخليفة أن ينظر في المساكين والفقراء والمحتاجين كما عمل من سبقه من الخلفاء فهذا رسول الله يأمر بالعطف والرحمة وإكرام المسكين والفقير والإحسان إليهم ليرفعه الله تعالى بهم فهم أحقّ الخلق بمعرفه وفضله فيكون بذلك قد أدى ركنا من أركان الأمانة والتي تبدأ بهذا العمل القليل في حجمه الكبير في معناه وثوابه.

الثانية - قوله تعالى: (مغفرة) المغفرة هنا: الستر للخلة وسوء حالة المحتاج، فالمغفرة تسامح وتجاوز عن الخطايا ممن يعلم ما فعل الآخرين به ومع ذلك يمتلك المقدرة التي بها يسامح ويغفر الذنب ويعفو عن كثير.

الثالثة - قوله تعالى: (والله غني حلیم) الله لأنه كريم غفور فهو بطبيعة الحال هو غني حلیم بمودته وحفظه للذين خلقهم خلائف في أحسن تقويم، ولهذا أخبر تعالى عن غناه المطلق أنه غني عن صدقة

---

<sup>62</sup> تفسير القرطبي، ج 3، ص 309، 310. شرح النيل وشفاء العليل، ج 22،

ص 310.

<sup>63</sup> تفسير القرطبي، ج 3، ص 309، 310.

العباد، وإنما أمر بها ليشيهم، وعن حلمه بأنه لا يعاجل بالعقوبة من مَنْ وأذى بصدقته<sup>64</sup>.

شرط الكريم:

أفسدت بالمن ما أسديت من حسن ليس الكريم إذا أسدى

بمنان

قال تعالى: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا لَا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ }<sup>65</sup>. قوله تعالى: (بالمن والأذى) عبر تعالى عن عدم القبول وحرمان الثواب بالإبطال، والمراد الصدقة التي يمن بها ويؤذى، لا غيرها. والعقيدة أن السيئات لا تبطل الحسنات ولا تحبطها، فالمن والأذى في صدقة لا يبطل صدقة غيرها. قال جمهور العلماء في هذه الآية: إن الصدقة التي يعلم الله من صاحبها أنه يمن أو يؤذى بها فإنها لا تقبل. وقيل: بل قد جعل الله للملك عليها أمانة فهو لا يكتبها، وهذا حسن. وقال بعض البلغاء: من مَنْ بمعروفه سقط شكره، ومن أعجب بعمله حبط أجره<sup>66</sup>. وسمع ابن سيرين رجلا يقول لرجل: وفعلت إليك وفعلت! فقال له: اسكت فلا خير في المعروف، إذا أحصى. وروى عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: "إِيَّاكُمْ وَالْإِمْتِنَانَ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنَّهُ يَبْطِلُ الشُّكْرَ وَيَمْحَقُّ الْأَجْرَ، ثُمَّ تَلَا: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ

<sup>64</sup> تفسير القرطبي، ج 3، ص 309، 310

<sup>65</sup> البقرة، 264.

<sup>66</sup> تفسير القرطبي، ج 3، ص 311

وَالْأَذَى {67}. وقوله تعالى: {كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِثَاءَ النَّاسِ} {68}.  
 مثل الله تعالى الذي يمن ويؤذى بصدقته بالذي ينفق ماله رثاء الناس  
 لا لوجه الله تعالى، وبالكافر الذي ينفق ليقال جواد وليثني عليه بأنواع  
 الثناء. ثم مثل هذا المنفق أيضا بصفوان عليه تراب فيظنه الظان أرضا  
 منبته طيبة، فإذا أصابه وابل من المطر أذهب عنه التراب وبقي صلدا،  
 فكذلك هذا المرآئي. فالمن والأذى والرياء تكشف عن النية في الآخرة  
 فتبطل الصدقة كما يكشف الوابل عن الصفوان. وقيل: المراد بالآية  
 إبطال الفضل دون الثواب، فالقاصد بنفقته الرياء غير مثاب كالكافر،  
 لأنه لم يقصد به وجه الله تعالى فيستحق الثواب. وخالف صاحب  
 المن والأذى القاصد وجه الله المستحق ثوابه - وإن كرر عطاءه -  
 وأبطل فضله {69}. فالخليفة ولأنه يسير بما أمره ربّه في مستخلفيه فلن  
 يكون منانا بما أسدى من صالح لمستخلفيه وإلا ضاع كل ما بنى في  
 مهمته التي كلفه الله بها وسقط - والعياذ بالله - فيما هو محذور عليه  
 فيقع في غضب الله تعالى فنسال الله تعالى أن يرقق قلب كل إنسان  
 حتى تعم قيم الخليفة البشرية كلها ويعم الرخاء والكرم والجود من فضل  
 الله، وأن يطعم الخليفة القاصي والداني فلربما جاءه رجل يشق آلاف  
 الأميال طمعا في ثرائه وجاهه فيكون في رده النكبة والنكسة وهو لا  
 يراه. وعلى المستخلفين أن يراعوا ما بالخليفة من قوّة صرف وسعة يد  
 فلا يطلبوا مستحيلا وذلك بالتخفيف عليه وحتى لا يثقلوا كاهله  
 بالطلبات الضرورية وغير الضرورية فلربما طلب إنسان أمرا ليس  
 بالضروري ضيع به شيئا على إنسان آخر أمرا ضروريا. ومع ذلك  
 التصدق رحمة والزكاة رحمة والعطاء بدون منة كرم والعطاء بعد الطلب

<sup>67</sup> البقرة، 264.

<sup>68</sup> البقرة، 264.

<sup>69</sup> تفسير القرطبي، ج 3، ص 312.

جود، فليكن الإنسان رحيماً وكرماً وجواداً يجود الله عليه بواسع فضله من غير ما يحتسب. ولهذا من يكرم يُكرم ويُكرّم من الكريم المتعال.

عفو الكريم:

قال الشاعر:

يستوجب العفو الفتى إذا اعترف بما جنى من الذنوب واقترف

إن ملازمة الإلحاح بباب الكريم، دليل على صحة التوبة وأنه لا غافر للذنوب سواه. قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "إن العبد إذا اعترف بذنبه ثم تاب إلى الله تاب الله عليه"70. وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "والذي نفسي بيده لو لم تذنبوا لذهب الله بكم ولجاء بقوم يذنبون ويستغفرون فيغفر لهم"71. وهذه فائدة اسم الله تعالى الغفار والتواب فكلها من كريم حكيم. والذنوب التي يتاب منها إما حقّ الله تعالى يكفي في التوبة منه الترك، غير أنّ منها ما لم يكتفِ الشرع فيها بمجرد الترك بل أضاف إلى ذلك في بعضها قضاء كالصلاة والصوم، ومنها ما أضاف إليها كفارة كالحنث في الإيمان والظهار وغير ذلك، وأمّا حقوق الآدميين فلا بدّ من إيصالها إلى مستحقّيها، وعلى الخليفة أن يراعي حقوق العباد الموكول إليه أمرهم فإن لم يوجدوا تصدق عنهم، ومن لم يجد السبيل لخروج ما عليه لإعسار فعفو الله مأمول، وفضله مبدول، فكم ضمن من التبعات وبدل من السيئات بالحسنات فهو أكرم الأكرمين72.

---

<sup>70</sup> صحيح البخاري، ج 9، ص 148.

<sup>71</sup> صحيح مسلم، ج 13، ص 301.

<sup>72</sup> تفسير القرطبي، ج 4، ص 213.

## صفة الكريم:

الكريم اسم عظيم لصفة عظيمة، بها يتم تقدير الذات بالقدرة، وتقدير الآخر بالعطاء دون منة، يترتب عليها رضا نفسي وقناعة تامة بأن فعلها هو الحق، ولذا فالكرم صفة لكريم، والصفة الثابتة ترتبط بالفعل المنفذ لها، مما يجعلها تنتقل من القول إلى الفعل الذي يُرضي أربعة:

أولاً: يُرضي الكريم المطلق جلّ جلاله.

ثانياً: يرضي من أقدم على الفعل الكريم، أو من قام بفعل المكرمة.

ثالثاً: يُرضي من قدمت المكرمة إليه.

رابعاً: يرضي كل كريمٍ ومحِبٍ للكرم.

قال تعالى: {فَدَلَّاهُمَا بِغُرُورٍ} 73. انحدر بهم من علوٍ إلى دنيا سفلية، فأوقعهما في الهلاك. قال ابن عباس: غرهما باليمين. وكان يظن آدم أنه لا يحلف أحد بالله كاذباً، فغرهما بوسوسته وقسمه لهما. وقال قتادة: حلف بالله لهما حتى خدعهما. وقد يخدع المؤمن بالله إذا صدّق كل حديث يقال أو قسم يُحلف. كان بعض العلماء يقول: من خادعنا بالله خدعنا. وفي الحديث عنه صلّى الله عليه وسلّم: {المؤمنُ غرٌّ كريمٌ والفاجرُ حَبٌّ لئيمٌ} 74. فالخليفة لا يتأثر بخدع الخادعين فيحرم به من ليس كذلك فإنه يُخدع خير من أن يحرم محتاجاً وهو يظنه مخادعاً ويبقى من شيمه كما قال الشاعر:

---

<sup>73</sup> الأعراف، 22.

<sup>74</sup> سنن الترمذي، ج 7، ص 226.

إن الكريم إذا تشاء خدعته وترى اللئيم مجرباً لا يخدع.

ولهذا فالخليفة صادق الوعد، وهو المؤمن الذي بإيمانه التام لا يظن من مسلم أو مؤمن أن يكذب إذا قسم بالله تعالى، ومع أن إبليس يؤمن بالله كما هو مبين في قوله تعالى: {قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ قَالَ فِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمْ الْمُخْلِصِينَ} 75. في هذه الآية يذكر إبليس ربه ويقسم بعزته تعالى أن يغويهم أجمعين ثم تيقن فاستثنى منهم عباده {عباد الرحمن المخلصين}. ولأن إبليس أعوذ بالله منه هو أول المغررين بالعباد فقد أقسم لهم وهو يعلم أنه بقسمه لهم سيصدقونه وهذا ما حدث مع أبونا آدم وأمنا حواء، اللذان غفر لهما الجليل عز وجل ما سلف منهما من ذنب بأسباب الغفلة التي أوقعتهما في الخطيئة، وبمغفرته لهما أصبحا في الجنة خالدين فيها أبداً. اللهم أغفر لنا خطايانا وتب علينا أنت مولنا فنعم المولى ونعم الكريم.

ولأن الله هو الخالق وهو الرازق وهو المحيي والمميت، فهو الكريم الذي يعلم بالأمر فيعطي قبل الطلب وقبل الترجي، ولهذا أكرم أبونا آدم وأمنا حواء بالجنة، وذلك لعلمه بنواياهما تجاهه، فهو يعلم أن إبليس قد غرر بهم، ويعلم إنهما من عباده الصالحين ولهذا أخرجهما من الجنة إلى الدار الدنيا ثم أعادهما إليها بواسع فضله. وهكذا الخليفة الذي جعله الله في الأرض معرض للأخطاء والتغيير به، ولأنه مخلوق في أحسن تقويم فإن هذا التقويم بطبيعة الحال سيرتقي به إلى الدرجات العلاء وسيكون من الوارثين للجنة. الخليفة إنسان لم يخلقه الله تعالى ملكاً، ولم يخلقه شيطاناً رجيماً، لقد خلقه في أحسن تقويم، له حقوق ونصيب في الدنيا يجب أن يأخذها ولا ينسى شيئاً من

---

<sup>75</sup> ص، 79 .83.

نصيبه منها، وله عقل يدرك به المجرد الذي به يتعلم ويتذكر ويتفكر حتى يدرك الحق ولا يجيد عنه ولأجل ذلك يفوز بالجنة. وله واجبات ينبغي أن يؤدّيها تجاه خالقه الكريم الذي انعم عليه بمكرمة العيش في الدنيا وأخذ نصيبه منها والفوز بالجنة والحياة فيها دائما أبدا، وعليه أن يؤدّي واجبه تجاه نفسه التي لها الحقّ عليه، وأن يؤدّي واجبه تجاه والديه وأبنائه وزوجه وكل من له حقّ عليه. وله مسؤوليات يجب عليه حملها دون تردد، فليعبد الله الكريم ويصون الدين والعرض ويلتزم بما أمره الكريم جلّ جلاله ولا يتعدى الحدود التي حددها له الخالق، حيث يصدق ولا يكذب ويصوم ويصلي ويحج، ويتعبد ويذكر الله ربّه ويصلي ويسلم على كل الأنبياء والرّسل وأن يؤمن بمحمّد خاتم الأنبياء والمرسلين صلوات الله وسلامه عليه.

### رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ:

قال تعالى: {فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ} 76. فتعالى الله استعظام له تعالى ولشؤونه سبحانه التي يصرف عليها عباده جلّ وعلا من البدء والإعادة والإثابة والعقاب بموجب الحكمة البالغة أي ارتفع سبحانه بذاته وتنزه عن ممثالة المخلوقين في ذاته وصفاته وأفعاله وعن خلو أفعاله عن الحكم والمصالح الحميدة. الملك الحقّ: أي الحقيقي بالمالكية على الإطلاق إيجادا وإعداما بدءا وإعادة إحياء وإماتة عقابا وإثابة وكل ما سواه مملوك له مقهور تحت ملكوته، وقيل: الحقّ أي الثابت الذي لا يزول ولا يزول ملكه، وهذا وإن كان أشهر إلا أن الأوّل أوفق بالمقام (لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ) فهو الأوّل والآخر واحد أحد لا شريك له وكل ما عداه عبده تعالى: (رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ) وهو جرم عظيم وراء عالم الأجسام والأجرام وهو

<sup>76</sup> المؤمنون، 116.

أعظمها وقد جاء في وصف عظمه ما يبهر العقول فيلزم من كونه تعالى ربه كونه سبحانه ربّ كل الأجسام والأجرام، ووصف بالكريم لشرفه وكل ما شرف في بابه وصف بالكرم كما في قوله تعالى: {وَزُورِعَ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ} 77، وقوله سبحانه: {وَقُلْ لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا} 78. وقد شرف بما أودع الله تعالى فيه من الأسرار، وإسناد الكرم إليه مجازي والمراد الكريم، وقيل: هو على تشبيه العرش لنزول الرحمة والبركة منه بشخص كريم 79. ولأن الكرم منزّه قال: (فتعالى الله الملك الحق) والملك الذي بيده الحكم المطلق والملك المطلق، هو المالك للأشياء الذي لا يبيد ولا يزول ملكه وقدرته، وأما الحق فهو الذي يحق له الملك لأن كل شيء منه وإليه، وهو الثابت الذي لا يزول ولا يزول ملكه، وبين أنه لا إله سواه وأن ما عداه فمصيره إلى الفناء وما يفنى لا يمكن أن يكون إلها كريما وبين أنه تعالى: (ربّ العرش الكريم). قال أبو مسلم: "والعرش ههنا السموات بما فيها من العرش الذي تطوف به الملائكة ويجوز أن يعني به الملك العظيم"، وقال الأكثرون: المراد هو العرش حقيقة وإنما وصفه بالكريم لأن الرحمة تنزل منه والخير والبركة ولنسبته إلى أكرم الأكرمين كما يقال بيت كريم إذا كان ساكنوه كراما" 80.

قال حقي: "وإنما وصف العرش الكريم لأنّه مقسم فيض كرم الحق ورحمته منه تنقسم آثار رحمته كرمه إلى ذرات المخلوقات" 81.

77 الدخان، 26.

78 الإسراء، 23.

79 تفسير الألوسي، ج 13، ص 303.

80 تفسير الرازي، ج 11، ص 214.

81 نظم الدرر للبقاعي، ج 5، ص 435.



الكريم هو الذي تنزل منه الخيرات الحاصلة للعباد، مع شرف جوهره، وعلى رتبته، والكريم من ستر مساوي الأخلاق بإظهار معاليها وتنزه عن كل دناءة؛ قال القزاز: وأصل الكرم في اللغة الفضل والرفعة<sup>82</sup> وبه يأخذ الخليفة في ستر أحوال مستخلفيه ولا يفضحهم بذكرهم والترفع عن ذلك بالفضل والرفعة التي حباه الله بها وبطبيعة الحال يجد نفسه كذلك وتلك نعمة يجب المحافظة عليها.

الكريم بالإضافة هو من يتعالى عن الصغائر، ويرتفع عن مواضع الشبهة، وينطق بالحق في كل حديث، ولا يفعل إلا العمل الذي يرضاه الله والعباد المستخلفين في الأرض، ولا يزني ولا يشرب مسكرا ولا يشهد شهادة زور، ولا يظلم أحدا ولا يطفف الميزان إذا وزن ولا ينقص المكيال إذا اكتال الناس ويتقي الكريم الذي أكرمه بخلقه في أحسن تقويم.

أما أولئك الطامعين الهامعين المفسدين في الأرض، وسافكي الدماء فيها بغير حق، آكلي أموال اليتامى ظلما هم المذنبون الذين سيجازون العذاب الشديد وَسَيَصْلُونَ سَعِيرًا، مصداقا لقوله تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلُونَ سَعِيرًا} 83.

الكريم هو شديد العقاب وعفو يجب العفو فمن أذنب واستغفر وندم وصدق واهتدى واتبع سبل الخير دون تردد وجد الكريم يتعالى به إلى المقامات العظام، وإن تمسك بضلاله وكفره ليس له من بد إلا الشقاء والعذاب ولهذا فإن الإنسان حر يمتد في دائرة الممكن المخير والمسير. عن عبد الله بن شميظ قال: سمعت أبي ذكر المعاصي فأكبرها

<sup>82</sup> المصدر السابق، ص 435.

<sup>83</sup> النساء، 10.

وأعظمها، ثم قال: وإن كان كل ما عصيت به عظيما فإنه في سعة كرمك ورحمتك صغير. وقالت امرأة من العرب ذات عقل ودين: سبحانك إلهي إمهالك المذنبين اطمعني لهم في حسن عفوك عنهم، سبحانك إلهي لم يزل قلبي يشهد برضاك لمن نال عفوك، سبحانك إلهي تفضلا منك وامتنانا على خلقك يا كريم"84 وعن زيد بن سعد المجاشعي حدثتني امرأة من أهلي قالت: "أتاني آت في منامي وكانت هذه المرأة تطيل الدعاء جدا قالت: قال لي: قولي يا جميل الفعال أنت وليي يا كريم الصنيع أنت القريب، قالت: فما دعوت بها في كرب قط إلا كشفه الله عني"85.

ولأن النفس لأماراة بالسوء إلا من تاب وآمن واهتدى فإن الخليفة هو من يفوز برحمة ومغفرة الكريم جلّ جلاله، قال تعالى: {وَمَا أُبْرِئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ}86 ثم قال: {ما هذا بشرا إن هذا إلا ملك كريم}87. إن نفس كل شيء حقيقته وهو الجوهر الذي هو محل المعقولات، ولذلك تختلف أسماء النفس باختلاف أحوالها العارضة عليها:

أولا: النفس المطمئنة:

فإن اتجهت إلى صواب الصواب ونزلت عليها السكينات الإلهية، فتطمئن إلى ذكر الله عزّ وجلّ وتسكن إلى المعارف الإلهية، فيقال: نفس مطمئنة، قال الله تعالى: {يا أيها النفس المطمئنة ارجعي

---

84 حسن الظن بالله، ج 1، ص 64

85 الامات، ج 1، ص 83

86 يوسف، 55.

87 يوسف، 31.

إلى ربك راضية مرضية {88}. هذه صفات النفس الخليفة التي تثر الأرض حقًا وتملؤها عدلا وتفوز بالجنة.

ثانيا: النفس اللوامة:

إن كانت مع قواها وجنودها في حراب وقتال وشجار ونزاع، فتارة تنزع إلى جانب العقل فتتلقى المعقولات وتثبت على الطاعات وتارة تستولي عليها القوى فتهبط إلى الحضيض فهذه النفس نفس لوامة غير ثابتة على موقف متأرجحة فهي بين هذا وذاك، تلوم على ما فعلت من سلبات وإيجابيات ولهذا فهي النفس المعرضة دائما للوم، وهذا اللوم يتخذ سبيلين:

السبيل الأوّل: العودة عن المنهي عنه: بالرجوع إلى ما أمر الكريم به، وهذه لازلت تتخير فإن ثبتت على الحق واستقرت أصبح صاحبها من الخلفاء المتصفين بالنفس المطمئنة، وإن بقيت متذبذبة بين ارتكاب السلوك المنهي عنه والسلوك المرضي عنه فهي لا زالت الموصوفة بالنفس اللوامة. قال الله تعالى: {لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ} {89}. النفس اللوامة هي غير الثابتة على اليقين، ولهذا كان القسم بيوم القيامة ولم يكن بالنفس اللوامة. الكريم عز وجل دائما يقسم بالثواب والآيات العظام ولا يقسم بالمهتزاز، فقد اقسام بيوم القيامة، وبالفجر والعصر، والضحي والليل إذا سجي، والشفع والوتر، ياسين والقرآن الكريم وغيرها من الآيات الثابتة الدالة على الوجود الإعجازي لله تعالى، ولذا فقوله (ولا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ) تعني نفيه القسم بالنفس اللوامة ولا تعني القسم بها كما جاء في قوله (لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ).

---

<sup>88</sup> الفجر، 28.

<sup>89</sup> القيامة، 2.

السبيل الثاني: سبيل العودة عن المفضّل والمحجّب: النفس اللوامة هي التي قد تفعل خيرا ثم تندم على فعله، وهذه النفس هي الراجعة المائلة المتأرجحة سالبا، وفي هذه الحالة كمن يقوم بمعروف ومغفرة ثم يتبعهما بأذى مصداقا لقوله تعالى: {قَوْلُ مَعْرُوفٍ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِنْ صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أَذَى وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَبْطُلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِثَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا لَا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ} 90. إنها النفس التي تتقدم خطوة وتتأخر إلى الخلف أربع خطوات، هذه لم ترتق بعد لأن تكون النفس الخليفة، ولكن لازالت الفرصة أمامها وهي إمام الرحمن الرحيم وبين يديه واسع المغفرة، ويجوز أن تنتقل إلى النفس مطمئنة إذا تولى أمرها مربون ووعاظ للخير وفاعلون للمعروف وناهون عن المنكر.

### ثالثا: النفس الزكية:

التي تتطهر من الخطيئة والذنوب، فهي التي تذب وتتب كلما أذنبت، ولهذا فهي تتطهر بالتوبة حتى توصف أفعالها بالزكية، ولو كانت لم تُذنب قط لكان الوصف لها بالنفس الزاكية التي لم تقع في أفعال الذنوب. قال تعالى: {فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا لَقِيَا غُلَامًا فَقَتَلَهُ قَالَ أَقْتَلْتَنِي نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا} 91. نزلت هذه الآية الكريمة لتوضح من أدرك علم الغيب وهو الرجل الصالح (السيد الخضر صلوات الله وسلامه عليه)، ومن يؤمن بعلم الغيب ويُسلم به بالمطلق إيمان بالكريم المطلق جلّ جلاله وهو {سيدنا موسى صلوات

<sup>90</sup> البقرة، 263، 264.

<sup>91</sup> الكهف، 74.

الله وسلامه عليه). وعليه فالفرق كبير بين من أظهره الله تعالى على علم الغيب وأدركه به فيرى ما لم يره الآخرين، وبين من أظهره على شيءٍ من علم الغيب فآمنا به وسلّم تسليماً صادقاً مطلقاً. ويتضح هذا الأمر في قوله تعالى: {قَالَ أَفَتُلْتَنَفَسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا}. النفس التي قُتلت بالنسبة لسيدنا موسى صلوات الله وسلامه عليه هي نفس زكية، وبالنسبة للسيد الخضر صلوات الله وسلامه عليه، فهي لم تكن كذلك، مصداقاً لقوله تعالى: {قَالَ هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا أَمَا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا وَأَمَا الْعُلَامُ فَكَانَ أَبْوَاهُ مُؤْمِنِينَ فَخَشِينَا أَنْ يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا فَأَرَدْنَا أَنْ يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِنْهُ زَكَاءً وَأَقْرَبَ رَحْمًا وَأَمَا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا} 92. هذه النفس هي التي باهتدائها تُستخلف في الأرض وترث الجنة.

#### رابعاً: النفس الظالمة:

التي لا تقف عند الحد بل تتجاوزها إلى المنهي عنه فتفعله وهذه ظالمة لنفسها أولاً، وللآخرين ثانياً. قال تعالى: {وَلَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ مَا فِي الْأَرْضِ لَافْتَدَتْ بِهِ وَأَسْرُوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ} 93. الكريم جلّ جلاله هو صاحب الحق والعدل، فهو لا يظلم أحداً، وأولئك الذين أسروا

<sup>92</sup> الكهف، 78.. 82.

<sup>93</sup> يونس، 54.

الندامة تكبرا ولم يعتذروا ولم يكفروا عن سيئاتهم هؤلاء لن ينفعهم شيئا ولا ينجيهم من عدل الله فيهم بالعذاب شيئا، فبعد أن يفوت الأوان لن ينفعهم الندم ولو افتدوا بما في الأرض جميعا. وهؤلاء هم الذين أعطيت لهم الفرصة لأن يكونوا من الخلفاء في الأرض لأجل أن يرثوا الجنة من بعدها فحسروا بارتكابهم المظالم كل شيء. اللهم أجعل أنفسنا طاهرة زاكية مطمئنة ولا تجعلها ظالمة ومتجاوزة للحدود المنهي عنها. قال تعالى: {وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنْ رُودْتُ إِلَىٰ رَبِّي لِأَجِدَنَّ خَيْرًا مِنْهَا مُنْقَلَبًا} 94. يظن أن بستانه بما فيه من أشجار متنوعة ومتعددة إنه الجنة التي لا تزول أبدا، وبهذا ظلم نفسه بكفره، يقول الطبري: هذا الذي جعلنا له جنتين من أعناب (دَخَلَ جَنَّتَهُ) وهي بستانه (وَهُوَ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ) وظلمه نفسه: كفره بالبعث، وشكك في قيام الساعة، ونسيانه المعاد إلى الله تعالى، فأوجب لها بذلك سخط الله وأليم عقابه. وقال البغوي: أعطت كل واحدة من الجنتين أكلها أي ثمرها تاما (وَمَا تَظْلِمُ) لم تنقص منه شيئا.

خامسا: النفس الشح:

قال تعالى: {وَأُخْضِرَتِ الْأَنْفُسُ الشُّحَّ وَإِنْ تُحْسِنُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا} 95. أُخْضِرَتِ الْأَنْفُسُ الشُّحَّ: إن النفوس عرضة للبخل، فينبغي أن يكون التسامح بينها كاملا. والشح أكثر من التقليل في العطاء، وكأنه مرتبط بمقابل، فإن توفّر المقابل كان العطاء وإن لم يتوفر لا يحدث العطاء، ولذا فالأنفس الشح هي الأنفس التي لا تتقي الله في الآخر المناظر في الحقوق والواجبات

<sup>94</sup> الكهف، 35، 36.

<sup>95</sup> النساء، 128.

لأسباب لا تتعلق بالإيمان كما هو حال الزوجين عندما يتخلى الزوج عن زوجه بأسباب الكبر أو عدم الرغبة وهي تود أن تستمر معه ولرعاية أبنائها.

سادسا: النفس الأمانة بالسوء:

قال تعالى: { وَمَا أُبْرِئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ }<sup>96</sup> وما أبرئ نفسي، والنفوس مائلة إلى الشهوات أمانة بالسوء. وقال الزمخشري: وما أبرئ نفسي مع ذلك من الخيانة فإني قد خنته حين قذفته وقلت: ما جزاء من أراد بأهلك سوءا إلا أن يسجن، وأودعته السجن تريد الاعتذار لما كان منها أن كل نفس لأمانة بالسوء إلا نفسا رحمها الله بالعصمة إن ربِّي غفور رحيم، استغفرت ربِّها واسترحمته مما ارتكبت. ولذا فالنفس الأمانة بالسوء هي التي لا تفعل الخير، السوء فتنة، فمن يفعله فعل إثما وبهتان كبيرا، والفتنة اشد من القتل، وهذه النفس هي التي وضعها الكريم في امتحان فإن استغفرت وتابت رحمها الله بالاستخلاف في الأرض وإن لم تفعل ذلك خسرت الدنيا والآخرة.

سابعا: النفس المجادلة:

قال تعالى: { يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تَجَادَلُ عَنْ نَفْسِهَا وَتُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ }<sup>97</sup>. يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ، تخاصم عن نفسها، وتحتج عنها بما أسلفت في الدنيا من خير أو شر أو إيمان أو كفر، (وَتُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ) في الدنيا من طاعة بالجزاء الأوفى الذي به تورث في الجنة، ولهذا قال الله تعالى: { وَكَانَ الْإِنْسَانُ

<sup>96</sup> يوسف، 53.

<sup>97</sup> النحل، 111.

أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا {98} والجدل لا يتم ببسر، بل يتم بنقاش يؤدّي إلى البينة التي بها الإنسان يدرك مميزا بين ما يجب ويقدم عليه وبين ما لا يجب ويتعد عنه، ولذلك فالجدل يؤدّي إلى اليقين إذا سادت روح الديمقراطية والمشاورة بكل شفافية بين المتحاورين حيث لا غالب ولا مغلوب إلا سيادة الحق وإحقاقه. وعليه فإن اعتدلت النفس بالجدل مع إحقاق الحق كانت الخليفة وإن مالت عن الحق مالت عن مبررات سيادة الخليفة.

ثامنا: النفس المتحسرة:

قال تعالى: {أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسْرَاتٍ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ} {99}. والحسرة الغم والندم على ما فات، أي من شدة الغم يتحسر الإنسان على ما فات وهو نادم ويا ليته لم يفعل ما فعل، أو يا ليته فعل ما يجب في وقته، ولأن الوقت لا يعود إلى الخلف والفعل حدث فإن الندم يحلّ بالنفس حتى توصف به، وهذه النفس أن كانت نادمة في الزمن الذي يُمكنها من الإصلاح أو التكفير فقد تكسب خيرا على ندمها وتكفيرها على ما قدّمت يداها، وإن لم يسعفها الوقت لكي تُكفّر عما أقدمت عليه فلا ندم ينفعها. ولذلك فالخليفة هو المؤمن الحق الذي إذا ما غضب تملك نفسه عند الغضب، وإذا ما أخطأ كفر عن سيئاته ولهذا فالحسرة من أجل أفعال الخير حسرة خير، والحسرة على عدم فعل الشر، عقابها شديد إن لم يرحم الله ويغفر.

تاسعا: النفس ذات البصيرة:

---

<sup>98</sup> الكهف 54.

<sup>99</sup> فاطر، 8.



{بَلِ الْإِنْسَانُ عَلَىٰ نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُ} 100.  
 البصيرة: ما يُمكن من بلوغ عين اليقين فيما يُدرك ويُتخذ قرار بشأنه  
 عن وعي وبيّنة واضحة أي حجّة بينة واضحة على ما صدر عن  
 النفس من الأعمال، ولهذا لا تنفع المعاذير بما أن النفس على بينة بما  
 حدث، وليتقي الإنسان ربّه الكريم. فإن اتقاه كانت نفسه ذات  
 بصيرة وإن لم يتقه فلا معاذير تنفعه.

قال الفراء منشدا:

كأن على ذي العقل عينا بصيرة... بمجلسه أو منظر هو ناظره  
 يحاذر حتى يحسب الناس كلهم... من الخوف لا يخفى عليهم سرائره

عاشرا: النفس الهاوية:

النفس الهاوية هي المنحدرة عن المستوى القيمي والفضائل التي  
 يرضيها الله تعالى، وإن هوت وأثرت الحياة الدنيا وقعت في الرذيلة،  
 قال تعالى: {فَأَمَّا مَنْ طَغَىٰ وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ  
 الْمَأْوَىٰ} 101 يقول ابن كثير: من تمرد وعتا، وقدم الحياة الدنيا على  
 أمر دينه وأخراه، فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَىٰ أي: فإن مصيره إلى الجحيم  
 وإن مطعمه من الزقوم، ومشربه من الحميم {وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ  
 وَهَيَّ النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ} 102. يقول الطبري في تفسيره: ونهى نفسه  
 عن هواها فيما يكرهه الله، ولا يرضاه منها، فزجرها عن ذلك،  
 وخالف هواها إلى ما أمره به ربّه (فإن الجنة هي المأوى) أي أن الجنة  
 هي مأواه ومنزله يوم القيامة.

<sup>100</sup> القيامة، 14، 15.

<sup>101</sup> النازعات، 37، 38.

<sup>102</sup> النازعات، 40، 41.

وعليه فالخليفة هو الذي لا ينسى نصيبه من الدنيا ولا يملأ يديه منها، أي يجعلها بين يديه ولا يجعلها في قلبه، ويعمل لآخرته وهي الغاية التي لا يحيد عنها أبدا. قال تعالى: {وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفُسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ} 103.

الحادية عشرة: النفس العاملة: العمل فعل خير في كل أوجهه بالنسبة للخليفة، وقد لا يكون كذلك لغيره، ولذا يقول تعالى: {وَقُلْ اْعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ} 104 الآية جاءت موجهة للمؤمنين لتحثهم على العمل، ولكن أي عمل؟، إنه العمل الصالح مصداقا لقوله تعالى: {فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا} 105. ولذلك فالله تعالى يخاطب النفس العاملة للخير، مصداقا لقوله تعالى: {يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مِمَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَرًا وَمِمَّا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ} 106.

وعمل النفس لا يوافق بالضرورة عمل الجسد، فكل ما لا يظهر في أفعال الجسد ويؤثر في المقابل هو من أفعال النفس، فالنوايا من عمل النفوس يقول الصادق الأمين صلى الله عليه وسلم: "إنما الأعمال بالنيات ولكل أمرئ ما نوى"، ومع أن النفس العاملة تحاسب على أفعالها بالنيات، إلا أن الجريمة ما بين البشر يكون الفعل فيها دليلا شاهدا حتى ولو كان الفعل نتاج خطأ، ولهذا أوجب الله

---

103 القصص، 77.

104 التوبة 105.

105 الكهف، 110.

106 آل عمران، 30.

تعالى التكفير عن الخطايا، { وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَقتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَا وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ إِلَّا أَنْ يَصَدَّقُوا فَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ عَدُوٍّ لَكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ فَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِنَ اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا وَمَنْ يَقتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَعَظِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا } 107. والنفس العاملة بعملها تستخلف في الأرض وبعملها ترث الجنة، وبعملها تُفسد الأرض وتسفك الدماء فيها بغير حق، وبعملها ترث جهنم.

والمكر من صفات النفوس التي طالما أشار إليه الله متحديا كيد النفس الإنسانية: مصداقا لقوله تعالى: { وَمَكْرُوهًا وَمَكْرُوهًا وَمَكْرُوهًا وَمَكْرُوهًا وَمَكْرُوهًا خَيْرٌ مِنَ الْكَافِرِينَ أَمْهَلُهُمْ رُؤُودًا } 108 وقوله تعالى: { إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا وَأَكِيدُ كَيْدًا فَمَهْلٍ الْكَافِرِينَ أَمْهَلُهُمْ رُؤُودًا } 109 فالكيد من عمل النفس، وفي سورة يوسف عليه الصلوة والسلام يتعالى عز وجل على كيد النفس الإنسانية فيقول: { كَذَلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ } 110. لأنه يعلم في علم الغيب عنده أن كيد الشر في نفوس إخوة يوسف أقوى من كيد الخير في نفس يوسف فهو يحسب لغضب الله حسابا كما يحسب لرضاه عز وجل، فنفس يوسف عليه الصلوة والسلام تأتي أن تخوض في الباطل الذي هو مباح لنفوس أعداءه. والكره من عمل النفس لأنه لا يظهر في أفعال الجسد لكنه يُحس من

107 النساء، 92، 93.

108 آل عمران، 54.

109 الطارق، 15، 17.

110 يوسف، 76.

قبل الآخر. وقد يتساءل البعض: عمن يحسه؟ بطبيعة الحال تكون الإجابة النفس. ولهذا ليس لحواس الجسد قدرة على الإحساس بأفعال النفوس، وإنما النفوس تحس وتشعر بعمل النفوس الأخرى.

الحادية عشر: النفس الوسوسة:

قال تعالى: {وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعَلْمُ مَا تُوسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ} 111 لقد خلق الله تعالى الإنسان في أحسن تقويم، وفي هذا التقويم ظاهر وهو الشكل الذي صوره عليه وهو يمشي سويا، والباطن الذي يتعرض للامتلاء الاحتمالي على النحو الآتي:

1 . الامتلاء باليقين الإيماني، الذي به يتمكن من إدراك الحقيقة، وبلوغ الغايات العظام، حتى يتمكن من الاستخلاف في الأرض ويكون من الوارثين في الجنة.

2 . الامتلاء الشكي الذي يعتمد على سلامة المدركات العقلية والجدل والحوار إلى أن يحدث التبئُّن وحينها يكفر من يكفر ويسلم من يسلم وجهه لله تعالى.

3 . الامتلاء الظني الذي يملأ النفس بالظنون والوسوس التي بعضها إثم وذلك لفقدانها المعطيات والمبررات الصادقة.

ولذا فالخليفة هو من خلقه الكريم جلّ جلاله أكثر شيئا جدلا، بتذكره وتفكره في خلق السماوات والأرض إلى أن يقف على الحقيقة الظاهرة والباطنة في قوله تعالى: {وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاجْتِزَافِ اللَّيْلِ

---

<sup>111</sup> ق، 16.

وَالنَّهَارِ لِآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ رَبَّنَا إِنَّكَ مَنْ تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْرَجْتَهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ رَبَّنَا إِنَّنا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَقَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ {112}.

وعليه فالخليفة هو الذي يؤمن أنّ ما يقدم عليه من عمل أو ما يجول بخاطره من خواطره الله يعلمها، ولهذا يخافه ويتقيه ويخشاه ويؤمن به ظاهرا وباطنا. وهؤلاء هم الذين جعلهم الله تعالى خلفاء على خلقه؛ لترفعهم عن الدنيا والخطايا والزلات؛ وبما خصهم الله جلّ جلاله من صفات الرفعة والعلو فكان اسم الكريم واردا في حقهم بكل وضوح وجلاء فتبارك الله أحسن الخالقين.

ولأنّ الخالق عزّ وجلّ جعل الإنسان خليفة في الأرض لذا فقد آمن المستخلف فيها بأن يعمل صالحا يرضاه الخالق فيتصدق ويتعبد ويطيع ويزكي ويوحده واحدا أحدا لا شريك له في الملك ولا يتضرع إلا إليه سبحانه وتعالى ربّ العرش العظيم. في الصحيحين من حديث أبي صالح عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: "من تصدق بعدل تمرة من كسب طيب ولا يصعد إلى الله إلا الطيب فإن الله يتقبلها بيمينه ثم يربّيها لصاحبها كما يربّي أحدكم فلوه حتى تكون مثل الجبل" 113. عن سلمان الفارسي رضي الله عنه عن النبي قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "إِنَّ رَبِّكُمْ

<sup>112</sup> آل عمران، 189 . 194.

<sup>113</sup> صحيح البخاري، ج 5، ص 221.

تَبَارَكَ وَتَعَالَى حَيِّيُّ كَرِيمٌ يَسْتَحْيِي مَنْ عَبْدَهُ إِذَا رَفَعَ يَدَيْهِ إِلَيْهِ أَنْ يَرُدَّهُمَا  
صِفْرًا إِنْ رَتَّكُمْ حَيُّ كَرِيمٌ يَسْتَحْيِي مَنْ عَبْدَهُ إِذَا رَفَعَ إِلَيْهِ يَدَيْهِ أَنْ  
يَرُدَّهُمَا صِفْرًا"114.

ولأنَّه الكريم المطلق فكتابه كريم مطلق، قال تعالى: {فَلَا أُقْسِمُ  
بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ}115.  
النجوم هي الكواكب ومواقعها مساقطها عند غروبها قال مجاهد مواقع  
النجوم يقال مطالعها ومشارقتها واختاره ابن جرير وعلى هذا فتكون  
المناسبة بين ذكر النجوم في القسم وبين المقسم عليه وهو القرآن من  
وجوه: أنَّ النجوم جعلها الله ليُهدى بها في ظلمات البرِّ والبحر،  
وآيات القرآن هداية بها في ظلمات الغي والجهل فتلك هداية في  
الظلمات الحسية، وآيات القرآن هداية في الظلمات المعنوية فجمع  
بين الهدايتين مع ما في النجوم من الزينة الظاهرة للعالم وفي القرآن من  
الزينة الباطنة. ومع ما في النجوم من الرجوم للشياطين وفي آيات  
القرآن من رجوم شياطين الإنس والجنِّ والنجوم آياته المشهودة  
العيانية. والقرآن آياته المتلوة السمعية مع ما في مواقعها عند الغروب  
من العبرة والدلالة على آياته القرآنية ومواقعها عند النزول. وفي قوله:  
(وإنَّه لقسم لو تعلمون عظيم) قال ابن كثير: "أي وإنَّ هذا القسم  
الذي أقسمت به لقسم عظيم لو تعلمون عظمتة لعظمت المقسم عليه  
وقوله: (إنَّه لقرآن كريم) هذا هو المقسم عليه وهو القرآن أي أنه وحي  
الله وتنزيله وكلامه لا كما يقول الكفار إنَّه سحر وكهانة أو شعر بل  
هو قرآن كريم أي عظيم كثير الخير؛ لأنه كلام الله، وقيل: فوصفه بما  
يقنضي حسنا وكثرة خيره ومنافعه وجلالته فإنَّ الكريم هو البهي الكثير

114 سنن أبي داود، ج 4، ص 287.

115 الواقعة، 75. 77.

الخير العظيم النفع وهو من كل شيء أحسنه وأفضله، والله سبحانه وصف نفسه بالكريم ووصف به كلامه ووصف به عرشه ووصف به ما كثر خيره وحسن منظره من النبات وغيره ولذلك فسر السلف الكريم بالحسن قال الأزهري: الكريم اسم جامع لما يحمده والله تعالى كريم جميل الفعال وإنه لقرآن كريم يحمد لما فيه من الهدى والبيان والعلم والحكمة، وهذا من إشارة الآية وتبيينها وهو أنه لا يلتذ به وبقراءته وفهمه وتدبره إلا من يشهد أنه كلام الله تكلم به حقاً وأنزله على رسوله وحيا وخاصة الذين كلفوا بالخلافة في أرضه إذ الذي لا يفهمه ولا يفهم معاني كرمه إلا من يستحق أن يكون خليفة؛ وبذلك يكون أجدر بما بما منحهم الله من فهم وإدراك لمعانيه ومبانيه، والسير على نهجه الكريم<sup>116</sup>.

وعليه فكتابه كريم لأنه ممتلئ بالبيان الحق، الذي يرشد للتي هي أحسن وأقوم، وكريم لأنه أعطى كل شيء لِمَا خلق دون أن ينتظر مقابل، فمن اهتدى فإنما يهتدى لنفسه ومن ظل فقد ظل نفسه عن هداها وما ربك بظلام للعبيد.

قال تعالى: {أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ} <sup>117</sup>. لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ: أي كرامة وعلو مكانة على أن يراد بالدرجات العلو المعنوي وقد يراد بها العلو الحسي، وفي الخبر، عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "إِنَّ فِي الْجَنَّةِ مِائَةَ دَرَجَةٍ لَوْ أَنَّ الْعَالَمِينَ اجْتَمَعُوا فِي إِحْدَاهُنَّ لَوَسِعَتْهُمُ" <sup>118</sup>. والدرجات المراد المستويات الرفيعة المترتبة على بعضها البعض والتي

<sup>116</sup> شرح كتاب التوحيد، ج 1، ص 406، 407.

<sup>117</sup> الأنفال، 4.

<sup>118</sup> سنن الترمذي، ج 9، ص 76.

تتميز من حسن إلى الأحسن ومن جيد إلى الأجود ومن الأفضل إلى الأكثر تفضيلاً، والمؤمنون المستخلفون في الأرض لهم درجات ومَغْفِرَةٌ عظيمة وَرِزْقٌ كَرِيمٌ وهو ما أعطى لهم من نعيم الجنة.

والكرم كما نقل الواحدي اسم جامع لكل ما يحمد ويستحسن في بابه فعل وصف الرزق به هنا حقيقة. وقال بعض المحققين: معنى كون الرزق كريماً أن رازقه كريم، ومن هنا وصفوه بالكثرة وعدم الانقطاع إذ من عادة الكريم أن يجزل العطاء ولا يقطع فكيف بأكرم الأكرمين تبارك وتعالى، وجعله نفسه كريماً على الإسناد المجازي للمبالغة، ولم يذكروا لتوسيط المغفرة، والرزق الكريم بمقابلة الإنفاق منه في الأوجه التي بها يُستخلف الإنسان في الأرض وذلك لأجل الإصلاح، والمناسبة في ذلك ظاهرة، وإلى هذا يشير كلام أبي حيان أو يقال: قدم سبحانه الدرجات لأنها بمحض الفضل، وذكر بعدها المغفرة لأنها أهم عندهم من الرزق مع اشتراكهما في كونهما في مقابلة شيء، ويؤيد هذا ما قاله ابن زيد: "المغفرة بترك الذنوب والرزق الكريم بالأعمال الصالحة" فتدبر 119.

قال الله تعالى: { وَأَصْحَابُ الشِّمَالِ مِمَّا أَصْحَابُ الشِّمَالِ فِي سُمُومٍ وَحَمِيمٍ وَظِلٍّ مِّنْ يَحْمُومٍ لَا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ } 120. لقد أوضح الله تعالى من هم أصحاب الشمال بأنهم هم الذين في سموم الحر والعذاب الشديد، وهم مكمورون في ظلامات الدخان الفائر في جهنم اللهم أحفظنا منه وأدخلنا الجنة إنك واسع المغفرة والفضل سبحانه لا إله إلا أنت جل جلالك وتعاليت يا أكرم الأكرمين. (لا بارد ولا كريم) لا بارد المدخل ولا كريم المنظر، والسموم هو الريح الحارة، وهذه الآية

<sup>119</sup> تفسير الألوسي، ج 7، ص 17.

<sup>120</sup> الواقعة، 41. 44.



تضمنت ذكر ما يتبرد به في الدنيا من الكربّ والحر وهو ثلاثة الماء والهواء والظل أما هواء جهنم فهو السموم الشديدة الحر وماؤها الحميم الذي قد اشتد حره وظلها اليحموم<sup>121</sup>. (لَا بَارِدٌ وَلَا كَرِيمٌ): أي لا بارد كسائر الظلال، ولا نافع لمن يأوي إليه من أذى الحر وذلك كرمه فهناك استعارة، ونفي ذلك ليمحقّ توهم ما في الظل من الاسترواح إليه وإن وصف أولاً بقوله تعالى: (مَنْ يَحْمُومٌ) والمعنى أنه ظل حار ضار إلا أن للنفي شأنًا ليس للإثبات ومن ذلك جاء التهكم والتعريض بأن الذي يستأهل الظل الذي فيه برد وإكرام غير هؤلاء فيكون أشجى لخلقهم وأشدّ لتحسّرهم، وقيل: الكرم باعتبار أنه مرضى في بابه، فالظل الكريم هو المرضى في برده وروحه، وفيه أنه لا يلائم ما هنا لقوله تعالى: (لَا بَارِدٌ) والمراد أنهم يستظلون به وهم مهانون<sup>122</sup> وبناء على ذلك أتساءل: هل للخليفة مع كرمه أن يعاقب من خالف نهج الله تعالى؟ بطبيعة الحال الخليفة هو من اتصف بصفات الله تعالى ولهذا فعليه أن يعاقب وفقا للخطأ بعد حكم عادل، ولذلك فهذه الآية الكريمة تؤيد وتوجب العقاب في محله. قال تعالى: {وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ} <sup>123</sup>.

ولأن الله تعالى كريم قال: {إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ} <sup>124</sup>. وهذه المحبة من كرمه جلّ جلاله، فلو لم يكن كريما ما كان توابا ومحبا للتوابين والمتطهرين، فهذا الفرح منه بتوبة التائب يناسب محبته له ومودته له، وكذلك قال تعالى: {وَهُوَ الْعَفُورُ

<sup>121</sup> التخويف من النار، ج 1، ص 82.

<sup>122</sup> تفسير الألوسي، ج 20، ص 236.

<sup>123</sup> النحل، 126.

<sup>124</sup> البقرة، 222.

الْوَدُودُ} 125، وقوله تعالى: {وَهُوَ الْعَفُورُ الرَّحِيمُ} 126. ورد عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ فِيمَا يَرُويهِ عَنْ رَبِّهِ قَالَ: "إِذَا تَقَرَّبَ الْعَبْدُ إِلَيَّ شِبْرًا تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ ذِرَاعًا وَإِذَا تَقَرَّبَ مِنِّي ذِرَاعًا تَقَرَّبْتُ مِنْهُ بَاعًا وَإِذَا أَتَانِي مَشْيًا أَتَيْتُهُ هَرَوَلَةً" 127.

قال تعالى: {إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ مُطَاعٍ ثُمَّ أَمِينٍ وَمَا صَاحِبُكُمْ بِمَجْنُونٍ وَلَقَدْ رَآهُ بِالْأُفُقِ الْمُبِينِ وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ} 128. فالقرآن قول رسول أرسله الله لم يرسله الشيطان وهو ملك كريم ذو قُوَّةٍ عند ذي العرش مكين مطاع ثم أمين فهو مطاع عند ذي العرش في الملأ الأعلى، والشياطين لا يطاعون في السماوات، بل ولا يصعدون إليها، وإبليس من حين أهبط منها لم يصعد إليها. وإن الشياطين تعين الكهانة والسحرة وتخبرهم وتعاونهم بتصرفات خارقة ومقصودهم الكفر والفسوق والعصيان، والأنبياء صلوات الله عليهم تعينهم الملائكة هم الذين يأتونهم فيخبرونهم بالغيب ويعاونونهم بتصرفات خارقة كما كانت الملائكة تعين النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في مغازية مثل يوم بدر أمدته الله بألف من الملائكة ويوم حنين قال تعالى: {لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُمُ مُدْبِرِينَ ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنْزَلَ جُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ} 129، وقال تعالى: {إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ

125 البروج، 14.

126 الملك، 2.

127 صحيح البخاري، ج 23، ص 70.

128 التكوير، 19 . 25.

129 التوبة، 25، 26.

اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْعَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَخْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ {130، وقال تعالى: {إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَتَبَيَّنُوا الَّذِينَ آمَنُوا سَأَلْتَنِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَأَضْرَبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاضْرَبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ} 131. من هذا يتضح أن الخلفاء منصورون بإذنه تعالى وبكل الأحوال كما فعل مع الرسول الكريم في أكثر من موقف ومكان لذلك على الخليفة ألا يخشى أحدا في سبيل تحقيق ما يصلح برعيته ليعينهم على حياتهم وعبادتهم للكريم جلّ جلاله الذي بفضله يستخلفهم في الأرض ويدخلهم الجنة. كن كريم في طاعة الله تفوز بالآتي:

أولا: رضا الكريم المطلق.

ثانيا: تكون من المستخلفين في الأرض.

ثالثا: رضا الصالحين.

رابعا: الفوز بالجنة.

عن جرير بن عبد الله قال لما بعث النبي أتيته لأبأيعه فقال لي: "ما حاجتك يا جرير. قلت: جئت لأسلم على يدك قال: فألقى لي كساءه، ثم أقبل على أصحابه فقال: {إِذَا أَتَاكُمْ كَرِيمٌ قَوْمٍ فَأَكْرِمُوهُ} 132.

من خصائص الاسم الكريم للخليفة:

<sup>130</sup> التوبة، 40.

<sup>131</sup> الأنفال، 12.

<sup>132</sup> سنن ابن ماجه، ج 11، ص 121.

## قضاء الدين والغنى:

الكريم اسم من أسماء الله الحسان وهو ذو الصفة المتعالية بالمكارم العظام، فهو الذي يغني من غير حساب، وهو الذي بكرمه يرحم العباد من حيث لا يحتسبون، قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا﴾<sup>133</sup> ولذلك فالخليفة هو المؤمن بالكريم المطلق ويولي أمره إليه، حتى يخلصه من كل دين ومن كل حاجة وفاقة، فهو على كل شيء قدير، ومن يتمسك بالكريم ليس له بدا إلا أن يكرم الناس بالخيرات التي تتوفر بين يديه، ولهذا الكريم قال اعملوا فالعمل الناجح هو الذي يفك الدين عن المدينين، ويغنيهم عن كل عوز. وفيه ما أخرج مسلم عن أبي هريرة قال: "جاءت فاطمة رضي الله تعالى عنها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم تسأله خادما فقال لها قولي: "اللهم رب السماوات السبع ورب العرش الكريم العظيم ربنا ورب كل شيء منزل التوراة والإنجيل والفرقان فالق الحب والنوى أعوذ بك من شر كل شيء أنت آخذ بناصيته أنت الأول فليس قبلك شيء وأنت الآخر فليس بعدك شيء وأنت الظاهر فليس فوقك شيء وأنت الباطن فليس دونك شيء اقض عنا الدين وأغننا من الفقر"<sup>134</sup>.

## الشفاء:

قال تعالى: ﴿وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا

<sup>133</sup> الطلاق، 1. 3.

<sup>134</sup> تفسير الألوسي، ج 20، ص 302. صحيح مسلم، ج 13، ص 239

تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ {135}. الأكمة هو الذي ولد أعمى، أو أنه الممسوح العين الذي لم يشق بصره ولم يخلق له حدقة، والأبرص هو الذي به الوضح المعروف وتخصيص هذين الأمرين لأنهما أمران معضلان أعجزا الأطباء وكانوا في غاية الحداقة مع كثرتهم في زمنه، ولهذا أراهم الله تعالى المعجزة من جنس الطب. ومن الأدعية الشافية كما روي على لسان موسى عليه الصلوة والسلام: "اللهم أنت إله من في السماء وإله من في الأرض لا إله فيهما غيرك وأنت جبار من في السماء وجبار من في الأرض لا جبار فيهما غيرك وأنت ملك من في السماء وملك من في الأرض لا ملك فيهما غيرك قدرتك في الأرض كقدرتك في السماء وسلطانك في الأرض كسلطانك في السماء أسألك باسمك الكريم ووجهك المنير وملكك القديم إنك على كل شيء قدير" {136}.

وعليه فالخليفة هو من يستمد صفة الكريم بعلمه ومعرفته ليقف على الحق ويُعرِّف الناس عليه، ويعمل بما أظهره الكريم له من علم في كل ما يُفيد العباد، ويشفي مرضاهم ويقوي نفوسهم وحواسهم في مرضات الله تعالى. ولهذا فالعلم والدواء والشفاء مكارم من الكريم المطلق من عمل بها وعمل عليها نال صفة الكريم ورضاه واستخلف في الأرض بعلم من عليهم حكيم كريم.

قال تعالى: {إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ وَخَشِيَ الرَّحْمَنَ الْعَلِيمَ فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ} {137}. هذه الآيات بدأت بالعزة والرحمة ووقف الرسول الكريم على المغفرة والكرم، وماذا كان نتاج ذلك؟ فعن

<sup>135</sup> آل عمران، 49.

<sup>136</sup> تفسير الألوسي، ج 3، ص 50.

<sup>137</sup> ياسين، 11.

عمر بن عبد الله مولى غفرة، أنّ قريشا اجتمعوا ليقتلوا النبي صلى الله عليه وسلم، وليبلغوا منه بعض ما يكره، فقال لهم عتبة بن ربيعة: لا تعجلوا على ابن أخيكم حتى أذهب فأكلمه ورسول الله صلى الله عليه وسلم حينئذ يصلي عند البيت العتيق، فأتاه فجلس إلى جنب رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى قضى صلاته، فقال: يا ابن أخي إنه قد عظم على قومك ما جئتهم به، وقالوا: إنما أراد الشرف والمال، فإن كنت أردت ذلك فانزع عما جئت به، ولك الله علي أن أجمع لك من المال ما تكون به أكثر قريش مالا، وأن يشرفك قومك حتى تكون أعظمهم، وقد قالوا: إن بك جنونا، فإن كنت اعترفت فأعلمني فلا أترك طبيبا إلا طلبته لك حتى يشفيك، فأطعني وانزع عما أنت تذكر، فلما فرغ عتبة من كلامه، فقرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله تعالى: (حم تنزيل من الرحمن الرحيم) إلى قوله: {فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ إِذْ جَاءَهُمُ الرَّسُولُ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمَنْ خَلْفَهُمْ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ قَالُوا لَوْ شَاءَ رَبَّنَا لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً فَإِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ} 138. فرجع عتبة إلى كبراء قريش، فقال: لقد سمعت قولاً مغدق الأعلى مثمر الفرع حديث العهد بالعرش، وإني سمعت السحر والشعر والكهان فما هو شيء من ذلك، وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بأن يأتي جماعتهم فأتاهم وفي يده قبضة من تراب فقرأ من سورة ياسين قوله تعالى: {يَس وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ تَنْزِيلَ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أُنذِرَ آبَاؤُهُمْ فَهُمْ غَافِلُونَ لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ عَلَىٰ أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ

إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَعْنَاقِهِمْ أَغْلَالًا فَهِيَ إِلَى الْأَذْقَانِ فَهُمْ مُقْمَحُونَ وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ وَسَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ وَخَشِيَ الرَّحْمَنَ الْعَلِيمَ فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ {139}. وجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يضع على رأس كل إنسان منهم من ذلك التراب شيئاً وقد أمسك الله عنه أيديهم وألسنتهم ثم انصرف سالماً والحمد لله فقال لهم عتبة: قد كنتم تنفلتون عليه فقد آتاكم فلم تصنعوا شيئاً فقالوا: لكأن عقولنا قد ذهبت فقال: لينظر كل امرئ منكم أي شيء وضع على رأسه فإذا على رأس كل امرئ من التراب فلم يبق من أولئك الذين وضع على رؤوسهم التراب إلا قتل يوم بدر 140. وللخليفة أن يكون رحب الصدر وكريم الكف وواسع العطاء وأن يحذر عدوه ولا يتهاون في الحق؛ لأنه المسؤول أمام ربه وبما كلفه به من إصلاح وخير وتعمير وألا يلتفت إلى أقوال وأفعال الأعداء والخصوم وأن يسير في دربه ونهجه ونسأل الله أن يكون في عونه كما فعل الرسول الكريم فهو جل في علاه كفل الحفظ لخلفائه في أرضه بمنه وكرمه.

فقد جاء في قوله تعالى: {وَإِنْ يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَارِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ} 141. أي أن أعداء الدين الذي جاء به محمد صلى الله عليه وسلم وهو دين الرسالة الخاتمة، عملوا كل ما في وسعهم من أجل أن يعتدوا على محمد ليهلكوه ما استطاعوا وذلك لحفظ الله الكريم إليه من كل شر، لقد سهروا الليالي وعيونهم لم تغمض ومع ذلك فشلوا في

<sup>139</sup> يس 11 . 11.

<sup>140</sup> دلائل النبوة، ج 1، ص 222.

<sup>141</sup> القلم، 51، 52.

مراقبته حيث جعل الله بين أيديهم سدا ومن خلفهم سدا فأغشاهم جميعا حتى عندما حاصروه خرج عليهم وعيونهم مبصرة ولم يستطيعوا بصره حيث أغشاهم الكريم جلّ جلاله.

### كرم الكريم:

كرم الكريم من كرم الله، ولذا فالقاعدة تقول: (أكرم ممّا أكرمك الله به) وذلك لأن ما بين أيدي العباد هو من عند الله، ولم يكن من عندهم، فالله خالق الأشياء كلها، من سماوات سبع وأراضي سبع، وما فيهم وما بينهم كله ملك لله، ولأنه الكريم المطلق فهو الذي بكرمه جعل كل الخيرات ميسرة ودلولة بين أيدي العباد، ولهذا فمن المستغرب وهو الاستثناء ألا يكرم البعض بعضا. قال تعالى: { يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ } 142. (يا أيُّها الإنسان ما غرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ)؟: هذا تهديد، لا كما يتوهمه بعض الناس من أنه إرشاد إلى الجواب؛ حيث قال: (الكَرِيمِ) حتى يقول قائلهم: غره كرمه. بل المعنى في هذه الآية: ما غرك يا ابن آدم بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ، أي: العظيم-حتى أقدمت على معصيته، وقابلته بما لا يليق؟ كما جاء في الحديث: "يقول الله يوم القيامة: ابن آدم، ما غرك بي؟ ابن آدم، ماذا أجبت المرسلين؟". وعن سفيان: أن عمر سمع رجلا يقرأ: (يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ) فقال عمر: الجهل. وقال قتادة: (مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ) شيء، ما غرَّ ابن آدم غير هذا العدو الشيطان. وقال الفضيل بن عياض: لو قال لي: "ما غرك بي لقلت: سُتُورُكَ الْمَرْخَاةَ. وقال أبو بكر الوراق: لو قال لي: (مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ) لقلت: غرَّني كرم الكريم 31.

142 الانفطار، 6، 7.



قال البغوي: وقال بعض أهل الإشارة: إنما قال: (بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ) دون سائر اسمائه وصفاته، كأنه لقنه الإجابة. وهذا الذي تخيله هذا القائل ليس بطائل؛ لأنه إنما أتى باسمه الْكَرِيمِ؛ لينبه على أنه لا ينبغي أن يُقَابَلَ الْكَرِيمِ بالأفعال القبيحة، وأعمال السوء. وقوله: (الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ) أي: ما غرك بالربِّ الْكَرِيمِ الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ، أي: جعلك سَوِيًّا معتدل القامة منتصبها، في أحسن الهيئات والأشكال 143.

#### المقام الكريم:

قال تعالى: {وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ} 144، وقال تعالى: {إِنِّي أُلْقِيَ إِلَى كِتَابٍ كَرِيمٍ} 145. الْكَرِيمِ الَّذِي تَمْلَأُهُ الْمَكَارِمُ وهي الآيات العظام، التي تُظْهِرُ الإعجاز لتمد به العباد وليقتدوا به في الكرم، حتى يستمدوا الصفة من صفاته التي بها يرثون الأرض ويرثون الجنة. والمقام كريم، المجلس اللائق الذي ميزه الله عزَّ وجلَّ عن المقامات السفلى، فهو المقام العالي بالمكارم والفضائل الحسان، ولذا فمن يُرَادُ له أن يكون خليفة للكريم عليه أن يختار الأماكن الخيرة التي تليق به ولا يذهب إلى أماكن الفساد وضياع الأخلاق وفعل المنكرات.

المقام الكريم هو مقام القول الطيب والفعل الطيب والذوق الرفيع، ولأنَّ المقام الرفيع هو المجلس الحسن، ألا ترى إلى قول الله عزَّ وجلَّ لنبيه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (ادع إلى سبيل ربِّك بالحكمة والموعظة الحسنة) وقوله لموسى وهرون: (فقولا له قولاً لنا لعله يتذكر أو يخشى). وكلها وجوه حسان وهذا أحسنها. وقد روى أنه لم يكتب

<sup>143</sup> تفسير ابن كثير، ج 8، ص 342.

<sup>144</sup> الشعراء 58.

<sup>145</sup> النمل، 29.

بسم الله الرحمن الرحيم أحد قبل سليمان. والوصف بالكريم في الكتاب غاية الوصف، ألا ترى قوله تعالى: (إِنَّهُ لَقَرَّانٌ كَرِيمٌ) وأهل الزمان يصفون الكتاب بالخطير وبالأثير وبالمبرور، فإن كان لملك قالوا: العزيز وأسقطوا الكريم غفلة، وهو أفضلها خصلة. 146. فنسأل الله تعالى حسن الخاتمة لخلفائنا والثبات على دينهم الدال على سبق العناية بتعلق الإرادة لتحقيق السعادة داعين ربنا أن يوفق خليفته في أرضه لما يرضي ربه وأن نكون من المتفهمين لحقوق الخليفة علينا وأن نعمل بما يرضيه ويرضي ربنا وأن يتوفنا مسلمين ويلحقنا بالصالحين ويدخلنا الجنة غير مخزيين ولا مفتونين آمين.

كان الرسول الكريم أحلم في النفار من كل حلیم وأسلم في الخصام من كل سليم وقد مني بجفوة الأعراب فلم توجد منه نادرة ولم يحفر عليه بادرة ولا حلیم غيره إلا ذو عثرة ولا وقور سواه إلا ذو هفوة فإن الله تعالى عصمه من نزغ الهوى وطيش القدرة بجفوة أو عثرة ليكون بأتمه رؤوفا وعلى الخلق عطوفا قد تناولته قريش بكل كبيرة وقصدته بكل جريرة وهو صبور عليهم ومعرض عنهم وما تفرد بذلك سفهاهم دون حلمائهم ولا أراذلهم دون عظمائهم، بل تمالاً عليه الجهلة والدون فكلما كانوا عليه من الأمر وألح كان عنهم أعرض وأفصح حتى قهر فعفا وقدر فغفر وقال لهم حين ظفر بهم عام الفتح وقد اجتمعوا إليه: "ما ظنكم بي"، قالوا: ابن عم كريم فإن تعف فذاك الظن بك، وإن تنتقم فقد أسأنا 147، فقال: "بل أقول كما قال يوسف لأخوته: { قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ } 148. قال: "اللهم قد أذقت أول قريش نكالا فأذق

<sup>146</sup> تفسير القرطبي، ج 13، ص 192.

<sup>147</sup> أعلام النبوة، ج 1، ص 289

<sup>148</sup> يوسف، 92.

آخرهم نوالاً"149. وأتته هند بنت عتبة وقد بقرت بطن عمه حمزة ولاكت كبده فصطح عنها وأعطاهما يده لبيعتها. فإن قيل فقد ضرب رقاب بني قريظة صبرا في يوم أحد وهم نحو سبعمائة فأين موضع العفو والصفح والكرم وقد انتقم انتقام من لم يعطفه عليهم رحمة ولا داخلته لهم رقة؟ قيل: إنما فعل ذلك في حقوق الله تعالى وقد كانت بنو قريظة رضوا بتحكيم سعد بن معاذ عليهم فحكم أن من جرت عليه الموسيقى قتل ومن لم تجر عليه استرق فقال رسول الله: "هذا حكم الله من فوق سبعة أرقعة"، فلم يجز أن يعفو عن حق وجب الله تعالى عليهم وإنما يختص عفو بحق نفسه150. وهذا سلوك من استخلفوا في الأرض بين اللين والشدّة تبعاً لما تقتضيه المصلحة فيجعلون لكل ربح شرع حتى يكللوا بالنجاح فيما كلفوا به فتارة باللين وتارة بالقسوة من غير تفريط ولا معصية ودوناً فضاضة ليظهر الكرم الذي ألبسه الله حلتته وأزين بزيتته في سلوكه ومنهجه.

قال تعالى: (الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ) إنه لسان الشاكر الذي اعترف بكرم الكرم وجوده وعطاه بدون منة، وإنه العرفان التام بفضل صاحب الفضل، فقلوه الحمد لله يدل على أنه لا محمود إلا هو جلّ جلاله. والله الحمد والشكر وجوه تتعدد والخليفة هو الشاكر له في كل الوجوه والحمد له على كل حال مع دعواه وتضرعه إليه بالمغفرة والرحمة وهو الرحمن الرحيم.

الأول: أنه تعالى لو لم يخلق داعية الإنعام في قلب المنعم لم ينعم فيكون المنعم في الحقيقة هو الله الذي خلق تلك الداعية.

---

149 أعلام النبوة، ج 1، ص 289

150 المصدر السابق، ص 288.

وثانيها: أن كل من أنعم على الغير فإنه يطلب بذلك الإنعام عوضاً إما ثواباً أو ثناءً أو تحصيل حقّ أو تخليصاً للنفس من خلق البخل، وطالب العوض لا يكون منعماً، فلا يكون مستحقاً للحمد في الحقيقة، أمّا الله سبحانه وتعالى فإنه كامل لذاته، والكامل لذاته لا يطلب الكمال، لأنّ تحصيل الحاصل محال، فكانت عطايه جوداً محضاً وإحساناً محضاً، فلا جرم كان مستحقاً للحمد، فثبت أنّه لا يستحقّ الحمد إلا الله تعالى.

وثالثها: أنّ كل نعمة فهي من الموجودات الممكنة الوجود، وكل ممكن الوجود فإنه وجد بإيجاد الحقّ إمّا ابتداءً وإمّا بواسطة، ينتج أن كل نعمة فهي من الله تعالى ويؤكد ذلك بقوله تعالى: ﴿وَمَا بِكُمْ مِّن نَّعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ﴾ {151}.

ورابعها: النعمة لا تكون كاملة إلا عند اجتماع أمور ثلاثة:

أحدها: أن تكون منفعة، والانتفاع بالشيء مشروط بكونه حياً مدركاً، وكونه حياً مدركاً لا يحصل إلا بإيجاد الله تعالى.

وثانيها: أنّ المنفعة لا تكون نعمة كاملة إلا إذا كانت خالية عن شوائب الضرر والغم، وإخلاء المنافع عن شوائب الضرر لا يحصل إلا من الله تعالى.

وثالثها: أنّ المنفعة لا تكون نعمة كاملة إلا إذا كانت آمنة من خوف الانقطاع، وهذا الأمر لا يحصل إلا من الله تعالى، إذا ثبت هذا فالنعمة الكاملة لا تحصل إلا من الله تعالى، فوجب ألا يستحقّ الحمد الكامل إلا الله تعالى، فثبت بهذه البراهين صحة قوله تعالى الحمد لله.

---

<sup>151</sup> النحل، 53.

وكون الإنسان عاجزا عن حمد الله وشكره فالوجوه التي تدل عليه هي:

الأول: أنّ نعم الله على الإنسان كثيرة لا يقوى عقل الإنسان على الوقوف عليها، كما قال تعالى: {وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا} 152. إذا امتنع وقوف الإنسان عليها امتنع اقتداره على الحمد والشكر والثناء اللائق بها.

الثاني: أنّ الإنسان إنّما يمكنه القيام بحمد الله وشكره إذا أقدره الله تعالى على ذلك الحمد والشكر وإذا خلق في قلبه داعية إلى فعل ذلك الحمد، والشكر، فالعبد لا يمكنه الإتيان بالشكر والحمد إلا عند الإتيان به مرارا لا نهاية لها، وذلك محال، والموقوف على المحال محال.

الثالث: أنّ الحمد والشكر ليس معناه مجرد قول القائل بلسانه الحمد لله؛ بل معناه علم المنعم عليه بكون المنعم موصوفا بصفات الكمال والجلال وكل ما خطر ببال الإنسان من صفات الكمال والجلال فكمال الله وجلاله أعلى وأعظم من ذلك المتخيل والمتصور، وإذا كان كذلك امتنع كون الإنسان آتيا بحمد الله وشكره وبالثناء عليه.

الرابع: أنّ الاشتغال بالحمد والشكر معناه أنّ المنعم عليه يقابل الإنعام الصادر من المنعم بشكر نفسه وبحمد نفسه وذلك بعيد لوجوه:

أحدها: أنّ نعم الله كثيرة لا حد لها فمقابلتها بهذا الاعتقاد الواحد وبهذه اللفظة الواحدة في غاية البعد.

---

<sup>152</sup> إبراهيم 34.

وثانيها: أنّ من اعتقد أن حمده وشكره يساوي نعم الله تعالى فقد ظل.

وثالثها: أنّ الإنسان محتاج إلى إنعام الله في ذاته وفي صفاته وفي أحواله، والله تعالى غني عن شكر الشاكرين وحمد الحامدين، فكيف يمكن مقابلة نعم الله بهذا الشكر وبهذا الحمد، فثبت بهذه الوجوه أنّ العبد عاجز عن الإتيان بحمد الله وبشكره فلهذه الدقيقة لم يقل أحمدوا الله، بل قال الحمد لله لأنّه لو قال احمدوا الله فقد كلفهم ما لا طاقة لهم به، أمّا لما قال الحمد لله كان المعنى أنّ كمال الحمد حقّه ومملكه ولا حمد إلا له عزّ وجلّ، سواء قدر الخلق على الإتيان به أو لم يقدرُوا عليه؛ ونقل أن داود عليه الصّلاة والسّلام قال: "يا ربّ كيف أشكرك وشكري لك لا يتم إلا بإنعامك عليّ وهو أن توفقي لذلك الشكر؟ فقال: يا داود لما علمت عجزك عن شكري فقد شكرتني بحسب قدرتك وطاقتك<sup>153</sup>.

#### حمد الكريم:

يجب علينا أن نبحت عن حقيقة الحمد وماهيته فنقول: تحميد الله تعالى ليس عبارة عن قولنا الحمد لله، لأنّ قولنا الحمد لله إخبار عن حصول الحمد، والأخبار عن الشيء مغاير للمخبر عنه، فوجب أن يكون تحميد الله مغايرا لقولنا الحمد لله، فنقول: حمد المنعم عبارة عن كل فعل يشعر بتعظيم المنعم بسبب كونه منعمًا. وذلك الفعل إمّا أن يكون فعل القلب، أو فعل اللسان، أو فعل الجوارح، أمّا فعل القلب فهو أن يعتقد فيه كونه موصوفا بصفات الكمال والإجلال وفي هذا الأمر يترسخ الإيمان الذي لا يكمن إلا في القلب السليم (إنه

---

<sup>153</sup> تفسير الرازي، ج 1، ص 201.

قلب الخليفة)، وأما فعل اللسان فهو أن يذكر ألفاظا دالة على كونه موصوفا بصفات الكمال وفي هذا الأمر يتضح القول الحقّ (الصدق) الذي به تطمئن القلوب، التي آمنت في الفقرة الأولى وفيه يتميز الكلم للذين لا يقولون إلا ما يفعلون، ومن هنا يتميز الخليفة بقوله الذي يتمثل مع الفعل الحقّ. وأما فعل الجوارح فهو أن يأتي بأفعال دالة على كون ذلك المنعم موصوفا بصفات الكمال والإجلال فعندما يتطابق القلب مع ما يقال مع ما يُفعل تصبح العلامة الصادقة كما في قوله تعالى: {سَيِّمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ} 154، وهذا التماثل هو من صفات الخليفة بالإضافة، وهو المراد من اسمه الكريم جلّ جلاله.

وكما جاء في تفسير الرازي في مسألة الحمد فقد افترق العلماء في هذا المقام إلى فريقين:

الفريق الأول: الذين قالوا: إنّه لا يجوز أن يأمر الله عبده بأن يحمده، واحتجوا عليه بوجه: الأول: أن ذلك التحميد إما أن يكون بناءً على إنعام وصل إليهم أولا وبناءً عليه، فالأول باطل، لأنّ هذا يقتضي أنه تعالى طلب منهم على إنعامه جزاء ومكافأة، وذلك يقدر في كمال الكرم، فإن الكريم إذا أنعم لم يطلب المكافأة، وأما الثاني فهو إعتاب للغير ابتداء، وذلك يوجب الظلم.

والثالث: قالوا الاشتغال بهذا الحمد متعب للحامد وغير نافع للمحمود، لأنّه كامل لذاته، والكامل لذاته يستحيل أن يستكمل بغيره، فثبت أن الاشتغال بهذا التحميد عبث وضرر، فوجب ألا يكون مشروعاً.

---

154 الفتح، 29.

والرابع: أنّ معنى الإيجاب هو أنّه لو لم يفعل لاستحقّق العقاب،  
فإيجاب حمد الله تعالى معناه أنه قال لو لم تشتغل بهذا الحمد لعاقبتك،  
وهذا الحمد لا نفع له في حقّ الله، فكان معناه أن هذا الفعل لا فائدة  
فيه لأحد، ولو تركته لعاقبتك أبد الآباد، وهذا لا يليق بالحكم الكريم.  
الفريق الثاني: قالوا الاشتغال بحمد الله سوء أدب من وجوه:

الأول: أنّه يجري مجرى مقابلة إحسان الله بذلك الشكر  
القليل.

الثاني: أنّ الاشتغال بالشكر لا يتأتى إلا مع استحضار تلك  
النعمة في القلب، واشتغال القلب بالنعمة يمنعه من الاستغراق في معرفة  
المنعم.

الثالث: أنّ الثناء على الله تعالى عند وجدان النعمة يدل على  
أنه إنما أثنى عليه لأجل الفوز بتلك النعمة، وذلك يدل على أنّ  
مقصوده من العبادة والحمد والثناء الفوز بتلك النعمة، وهذا الرجل في  
الحقيقة معبوده ومطلوبه إنما هو تلك النعمة وحظ النفس، وذلك مقام  
نازل 155.

قال تعالى: { قَالَ هَلْ عَلِمْتُمْ مَا فَعَلْتُمْ بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنْتُمْ  
جَاهِلُونَ } 156. قَالَ مجيبا عما عرضوا به وضمنوه كلامهم من ذلك:  
{ هَلْ عَلِمْتُمْ مَا فَعَلْتُمْ بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ } وكان الظاهر على هذا  
الاقتصار على التعرض بما فعل مع الأخ إلا أنّه عليه الصلّاة والسّلام  
تعرض لما فعل به أيضا لاشتراكهما في وقوع الفعل عليهما، فإن المراد  
بذلك إفرادهم له عنه وإذلاله بذلك حتى كان لا يستطيع أن يكلمهم

155 تفسير الرازي، ج 1، ص 207.

156 يوسف، 89.



إلا بعجز، والاستفهام ليس عن العلم بنفس ما فعلوه لأن الفعل الإرادي مسبوق بالشعور لا محالة بل هو عما فيه من القبح بدليل قوله: {إِذْ أَنْتُمْ جَاهِلُونَ} أي هل علمتم قبح ما فعلتموه زمان جهلكم قبحه وزال ذلك الجهل أم لا؟ وفيه من إبداء عذرهم وتلقينهم إياه ما فيه كما في قوله تعالى: {مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ} 157 والظاهر لهذا أنّ ذلك لم يكن تشفيا بل حثا على الإقلاع ونصحا لهم لما رأى من عجزهم وتمسكنهم ما رأى مع خفي معاتبة على وجود الجهل وأنه حقيق الانتفاء في مثلهم، فله تعالى هذا الخلق الكريم كيف ترك حظه من التشفي إلى حقّ الله تعالى على وجه يتضمن حقّ أخوة يوسف عليه الصلّاة والسّلام أيضا والتلطف في أسماعه مع التنبيه على أنّ هذا الضر أولى بالكشف، للناظر أن يرى كيف أوجد الله هذا السلوك في خليفته فلم يدعوا نفسه للثأر من إخوته حين تملكه القدرة بل كان عند حسن ظن ربّه به فهل لنا الاقتداء بهم؟ والظاهر أنّه عليه السّلام لما رأى ما رأى منهم وهو من أرق خلق الله تعالى قلبا وكان قد بلغ الكتاب أجله شرع في كشف أمره فقال ما قال 158.

إكرام الكافر بالجحيم:

قال تعالى: {ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ} 159. قال قتادة: نزلت في أبي جهل وكان قد قال: ما فيها أعز مني ولا أكرم، فلذلك قيل له: ذق إنك أنت العزيز الكريم. وقال عكرمة: التقى النبي صلّى الله عليه وسلّم وأبو جهل فقال النبي صلّى الله عليه وسلّم: (إن الله أمرني أن أقول لك أولى لك فأولى) فقال: بأيّ شيء تهددني! والله ما

157 الانفطار، 6.

158 تفسير الألويسي، ج 9، ص 119.

159 الدخان 49.

تستطيع أنت ولا ربك أن تفعلوا بي شيئاً، إني لمن أعز هذا الوادي وأكرمه على قومه 160. فقتله الله يوم بدر وأذله ونزلت هذه الآية. أي يقول له الملك: ذق إنك أنت العزيز الكريم بزعمك. وقيل: هو على معنى الاستخفاف والتوبيخ والاستهزاء والإهانة والتنقيص، أي قال له: إنك أنت الذليل المهان. وهو كما قال قوم شعيب لشعيب: {قَالُوا يَا شُعَيْبُ أَصَلَاتُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ نَتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَنْ نَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ} 161 يعنون السفه الجاهل في أحد التأويلات على ما تقدم. وهذا قول سعيد بن جبير 162. في هذا إشارة واضحة إلى وجوب ردع الطغاة والظالمين فللخليفة أن يردع هذا الصنف من الرعية فإن من كرم الكريم أن ينزع اللئيم عن طريق السالكين على نهجه القويم ليظهر كرمه ويستقيم الرعية على طريق الحق الذي أمر الله سبحانه بإتباعه وذلك بتوجيه الخليفة لهم ولا يترك المفسدين يعثون في الأرض فساداً.

#### الاستغفار سلاح الكريم:

قال تعالى: {إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ} 163. المراد بالآية قيل: وجعلها بعضهم كناية عن الاستغفار؛ لأن عدة الكريم خصوصاً مثل إبراهيم عليه السلام لا سيما إذا أكدت بالقسم يلازمها الإنجاز وليس بلازم كما لا يخفى، وكان هذه العدة غير العدة السابقة في سورة مريم في قوله تعالى حكاية

160 أخبار مكة للفاكهي، ج 5، ص 57.

161 هود، 86.

162 تفسير القرطبي، ج 16، ص 151.

163 الممتحنة، 4.

عنه عليه السّلام: (سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي) ولعلها وقعت منه عليه الصّلاة والسّلام بعد تلك تأكيدا لها وحكيت ههنا على سبيل الاستثناء<sup>164</sup>. ما يقال في هذا: أن يكون الخليفة كريما حتى مع أعداء الله رجاء في إيمانهم؛ لأنّ هدفه هو أن يتبع المستخلفين ما جاء به الخليفة من ربّه لينجح فيما كلف به. ولأنّ استغفار إبراهيم عليه الصّلاة السّلام لأبيه الكافر بمعنى أن يوفقه الله تعالى للتوبة ويهديه سبحانه للإيمان وإن كان جائزا عقلا وشرعا لوقوعه قبل تبين أنه من أصحاب الجحيم وأنه يموت على الكفر كما دل عليه ما في سورة التوبة<sup>165</sup>.

قال رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "الْمُسْلِمُونَ إِخْوَةٌ لَا فَضْلَ لِأَحَدٍ عَلَى أَحَدٍ إِلَّا بِالتَّقْوَى"<sup>166</sup>. ومن جملة خطبته صَلَّى اللهُ عليه وسلّم عن ابنِ عُمَرَ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَطَبَ النَّاسَ يَوْمَ فَتَحَ مَكَّةَ فَقَالَ: "يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ اللَّهَ قَدْ أَذْهَبَ عَنْكُمْ عُبَيْةَ الْجَاهِلِيَّةِ وَتَعَاضَمَهَا بِأَبَائِهَا فَالنَّاسُ رَجُلَانِ بَرٌّ تَقِيٌّ كَرِيمٌ عَلَى اللَّهِ وَفَاجِرٌ شَقِيٌّ هَيْنٌ عَلَى اللَّهِ وَالنَّاسِ بَنُو آدَمَ وَخَلَقَ اللَّهُ آدَمَ مِنْ تُرَابٍ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: { يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ }"<sup>167</sup> وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "إِنَّ أَنْسَابَكُمْ هَذِهِ لَيْسَتْ بِمَسَبَّةٍ عَلَى أَحَدٍ كُتُّكُمْ بَنُو آدَمَ طَفُّ الصَّاعِ لَمْ تَمْلُؤْهُ لَيْسَ لِأَحَدٍ عَلَى أَحَدٍ فَضْلٌ إِلَّا بِدِينٍ أَوْ تَقْوَى"<sup>168</sup>. وقوله صَلَّى اللهُ عليه

<sup>164</sup> تفسير الألويسي، ج 20، ص 457.

<sup>165</sup> تفسير الألويسي، ج 20، ص 457.

<sup>166</sup> المعجم الكبير للطبراني، ج 4، ص 18.

<sup>167</sup> الحجرات، 13.

<sup>168</sup> مسند أحمد، ج 35، ص 314.

وسلم: "الناس سواء كأسنان المشط، وإنما يتفاضلون بالعافية"169 أي كلهم متساوون في الصور وإنما يتفاوتون بالأعمال. ولأن الله جعل في الأرض خليفة وخلق في أحسن تقويم، إذن بطبيعة الحال في أساس الخلق لا فرق بين عبد وعبد، الكل عبيد الله، ولكن الفرق يأتي عندما يرضى أحد أن يكون عبداً لغير الله ولهذا جاء الإسلام برسالته الخاتمة ليحرر العبيد من قبضة العبيد، والخليفة هو الخليفة حيث ظل الله في أرضه ولكن الناس غير الناس فالتفاوت موجود بين المستخلفين في الأرض في كل زمن وحين، ولهذا يجب على الخلائف أن يتعاونوا على البر والتقوى، ولا يتعاونوا على الإثم والعدوان، وأن يستغفروا الله عن كل خطيئة أو ذنب اقترفوه والحمد لله رب العالمين الذي بكرمه يغفر كل ذنب بمشيئته جلّ جلاله.

قال تعالى: {أَوْمَ يَرَوَا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ إِلَى الْأَرْضِ الْجُرْزِ فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَامُهُمْ وَأَنْفُسُهُمْ أَفَلَا يُبْصِرُونَ}170. ليس المراد من قوله تعالى: (إلى الأرض الجُرْزِ) أرض مصر فقط، بل هي بعض المقصود، ولكنها مرادة قطعاً من هذه الآية، فإنها في نفسها أرض رخوة غليظة تحتاج من الماء ما لو نزل عليها مطر لتهدمت أبنيتها، فيسوق الله إليها النيل بما يتحملة من الزيادة الحاصلة من أمطار بلاد الحبشة، وفيه طين أحمر، فيغشى أرض مصر، وهي أرض سبخة مرملة محتاجة إلى ذلك الماء، وذلك الطين أيضاً لينبت الزرع فيه، فيستغلون كل سنة على ماء جديد ممطور في غير بلادهم، وطين جديد من غير أرضهم، فسبحان الحكيم الكريم المنان المحمود ابتداء. كما قال تعالى: {فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ. أَنَّا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا. ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ

169 أمثال الحديث لأبي الشيخ الأصبهاني، ج 1، ص 208.

170 السجدة، 27.

شَقًّا. فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبًّا. وَعِنَبًا وَقَضْبًا. وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا. وَحَدَائِقَ غُلْبًا. وَفَاكِهَةً وَأَبًّا مَتَاعًا لَكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ {171}. والأرض الجزر التي ورد ذكرها في الآيات الكريمة السابقة هي لأرض اليابسة الغليظة التي لا نبات فيها وهي التي إذا ما هطلت الأمطار عليها أعطت بفضل الكريم المطلق، ولهذا على الكريم بالإضافة أن يعمل بفضل الكريم المطلق الذي جاء بالماء إليه من بلد بعيد سيولا وأنهارا أو أمطارا وليتقي الله ربّه فيما يعمل. قال عِكْرِمَةُ، وغيره: الأرض الجزر: التي لا نبات فيها. وهي مغبرة. قلت: وهذا كقوله: {وَأَيَّةٌ لَهُمُ الْأَرْضُ الْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَاهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ. وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّاتٍ مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ وَفَجْرْنَا فِيهَا مِنَ الْعُيُونِ. لِيَأْكُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ أَفَلَا يَشْكُرُونَ} {172}.

قال تعالى: {وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْفَتْحُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ قُلْ يَوْمَ الْفَتْحِ لَا يَنْفَعُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِيمَانُهُمْ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَانْتَظِرْ إِنَّهُمْ مُنْتَضِرُونَ} {173}.

يقول تعالى مخبراً عن استعجال الكفار وقوع بأس الله بهم، وحلول غضبه ونقمته عليهم، استبعاداً وتكذيباً وعناداً: (وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْفَتْحُ؟) أي: متى تنصر علينا يا محمد؟ كما تزعم أن لك وقتاً تُدَال علينا، ويُنتقم لك منا، فمتى يكون هذا؟ ما نراك أنت وأصحابك إلا محتفين خائفين ذليلين! قال الله تعالى: (قُلْ يَوْمَ الْفَتْحِ) أي: فتح الله وهو يوم أن يقول للشيء كن فيكون إنه اليوم الذي يأذن الله فيه لنا بالنصر، يومها ستجدون ما قلت لكم حقاً، ويومها

<sup>171</sup> عبس، 24 .32

<sup>172</sup> يس، 33 .35

<sup>173</sup> السجدة، 28 .30

يكون النصر حليفنا بإذن الله صاحب الأمر ومالك الملك جلّ جلاله. وإذا حلّ بكم بأس الله وسخطه وغضبه في الدنيا وفي الأخرى، (لا يَنْفَعُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِيمَانُهُمْ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ)، ومن زعم أن المراد من هذا الفتح فتح مكة فقد أبعد النجعة، فإن يوم الفتح قد قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم إسلام الطلقاء، وقد كانوا قريباً من ألفين، ولو كان المراد فتح مكة لما قبل إسلامهم؛ لقوله: (قُلْ يَوْمَ الْفَتْحِ لَا يَنْفَعُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِيمَانُهُمْ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ)، وإنما المراد الفتح الذي هو القضاء والفصل، كقوله تعالى: {فَأَفْتَحَ بَيْتِي وَبَيْنَهُمْ فَتْحًا وَنَجَّيْتِي وَمَنْ مَعِيَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ} 174. وقوله: {قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبَّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَهُوَ الْفَتَّاحُ الْعَلِيمُ} 175. ثم قال: (فَأَعْرَضَ عَنْهُمْ وَانْتَظِرْ إِنَّهُمْ مُنْتَظَرُونَ) أي: أعرض عن هؤلاء المشركين وبلغ ما أنزل إليك من ربك، كقوله: {اتَّبِعْ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ} 176. وانتظر فإن الله سينجز لك ما وعدك، وسينصرك على من خالفك، إنه لا يخلف الميعاد.

وقوله: (إِنَّهُمْ مُنْتَظَرُونَ) أي: أنت منتظر، وهم منتظرون، ويتربصون بكم الدوائر، {أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَتَرَبَّصُ بِهِ رَبُّنَا السَّمِيُّ} 177، وسترى أنت عاقبة صبرك عليهم وعلى أداء رسالة الله، في نصرتك وتأييدك، وسيجدون غدا ما ينتظرونه فيك وفي أصحابك، من وبيل عقاب الله لهم، وحلول عذابه بهم، وحسبنا الله ونعم الوكيل، والله أعلم 178.

174 الشعراء، 118.

175 سبأ، 26.

176 الأنعام، 106.

177 الطور، 30.

178 تفسير ابن كثير، ج 6، ص 374.

وأيضاً فإن فروض الصلّاة أكثر من سائر الأعمال ونقتصر منه على بعض ما تضمنه إكرام الله تعالى للخليفة في أمر العبادات:

. الشهادة: كانت الشهادة توحيدا واعيا وإدراكا تاما بالواحد الأحد عزّ وجلّ، ومساواة تامة بين المستخلفين في الأرض لثلاثين يكون أحد منهم عبدا لغير الله تعالى.

. الصلّاة: ولأنّ الصلّاة تنهى عن الفحشاء والمنكر كانت تؤدى خمس مرات إكراما من الله لخلائفه في الأرض، واعترافا كريما منهم أن يؤدوها في أوقاتها. أن فرض الصلّاة كان رحمة على رسول الله وعلى العباد المستخلفين في الأرض لأن يلتقوا في اليوم الواحد خمس مرات في الجامع الذي لا يفرق بين من آمن وعمل صالحا. ولذا يتفقد المؤمنون بعضهم بعضا كل يوم وليزدادوا رابطة وقوة برابطة الحقّ وقوته.

. الزكاة: على رأس المكارم المادية والروحية، فهي تعطى عينا، وتطهر الأنفس وتصفيها مع الحقّ وعليه. وذلك لأجل أن يتزكى الملك، وتزكى النفس المتزكية ممّا تملك وفقا لما أمر الكريم به. فالزكاة هي مفتاح الكرم المباشر ثم تليها الصدقات التي يزلنا المصائب والبلايا اللهم أحفظنا أجمعين وارض عنا وعن البنين والزوجات والوالدين وصحابتنا ومشايخنا وصحابة رسول الله وأمهاتنا زوجات الرسول صلّى الله عليه وسلّم. وبهذا الكرم كان الإنسان خليفة لله جلّ جلاله، يتزكى ويتطهر وهو بهذا يزداد كرما حتى يخلف الكريم في الأرض ويرثه بالجنّة.

. الصوم: اعتراف بالحقّ الذي غفل الخليفة عنه لأي مسبب من الأسباب فالكمال لله وحده، فجاءت فريضة الصوم ليتذكر الخليفة ذوي العلاقة به من العباد وفقا لما أمر به تعالى، فيصوم حتى يحس

بحاجة الفقير ويقدم على إشباعها ما استطاع في ذلك سبيلا، ويتصدق ليصوّب نفسه عن غفلتها وبعدها يكون له العيد بعد إتمامه صوم شهر رمضان الكريم، وتكون له أعياد في الجنة.

. الحج: الحج احتفال روعي كبير يتم فيه إظهار القوّة واللحمة والوحدة بين العباد المستخلفين في الأرض ليظهروا إيمانهم جهارا نهارا وليلا مخافة من الواحد الأحد، الذي أمر بذلك لمن استطاع إليه سبيلا. فالحج نجاة من الكفر والشرك والتزاما تاما بطاعة الله ورسوله الكريم الذي جاء بالرسالة الخاتمة صلوات الله وسلامه عليه. في الحج يلتقي المسلمون من مشارق الأرض ومغاربها ليتعارفوا مصداقا لقوله تعالى: { يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ } 179.

الجهاد: كرم من كريم لأن يضحي الخليفة بنفسه في سبيل إحقاق الحق الذي يرضها خالقه، وهو ليس بقتال ويحتوي على الآتي:

1 . جهاد النفس حتى لا تنغمس في الرذيلة والشهوات التي تلهيها عن ذكر الله عزّ وجلّ أو تجعلها في حالة غفلة فتعمى بصيرتها التي بها تدرك الله والحقّ جليا.

2 . جهاد المال وهو على المستطاع به إن لم يكن بالنفس قديرا، فيكون صرفه في وجه يرتضيه الله تعالى فيجعل صاحبه وريثا في الجنة بعد استخلاف في الأرض.

3 . جهاد القول بالكلمة المحرّضة على الفداء دون الدين والوطن والشرف والعرض ولذلك قائل كلمة الجهاد ناطق بالشهادة، وقائل كلمة الحقّ مستخلفا في الأرض ووارث في الجنة. قول المعروف

---

<sup>179</sup> الحجرات، 13.



في كل مكان وزمان جهاد يستوجب التقدير والاحترام وذلك لأن الله تعالى مجازي عليه العباد بالاستخلاف في الأرض وإراث الجنة.

4 . جهاد العين الناظرة فيما ترى حتى لا تقدم على حرام أو تشهد زورا.

5 . جهاد اليد بالعمل الصالح وإصلاح ما يفسده المفسدون في الأرض ومنع سفك الدماء فيها بغير حق. اليد الصالحة تبني وتعمل حلال، وتقبض على الأيدي المفسدة وتحول بين اليد التي تحاول الإفساد في الأرض.

6 . جهاد السمع بالبعد عن مشاركة القائلين للكلام الحرام والعاملين عليه، فالخليفة هو الذي يستمع إلى الحق ويتبعه كاملا، ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لَا يَحْزُنْكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِنْ قُلُوبُهُمْ وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّاعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَذَا فَخُذُوهُ وَإِنْ لَمْ تُؤْتُوهُ فَاخْذَرُوا وَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ فَلَنْ تَمْلِكَ لَهُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا أُولَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يُطَهِّرْ قُلُوبَهُمْ هُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ {180}.

7 . جهاد الحواس بتمتعها في كل ما من شأنه حلال ومنعها عن ملامسة الحرام أو المنهي عنه، فمن يفعل ذلك كان من المستخلفين الكرام في الأرض والوارثين الجنة.

8 . جهاد النية وهي التي بها تتطهر النفس من كل ظن حيث أن بعض الضن إثم.

---

180 المائة، 41.

9 . جهاد الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وهو جهاد يُرسخ الخليفة به كرامته ورضاء الله عليه بالعمل على إحقاق الحق وإزهاق الباطل.

10. جهاد الاستغفار على ما فات والتكفير عنه، بالطاعات التامة بالصلاة والصدقة والإسراع على أفعال الخير.

11 . جهاد الحاضر: هو الذي به يعتصم الخليفة عن الطمع في الدنيا على حساب الآخرة فينتقي الله ربه. قال تعالى: {وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَابًا مُؤَجَّلًا وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الْآخِرَةِ نُؤْتِهِ مِنْهَا وَسَنَجْزِي الشَّاكِرِينَ} {181، وقال تعالى: {وَإِنْ كُنْتُمْ عَلَى سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا كَاتِبًا فَرِهَانٌ مَقْبُوضَةٌ فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ الَّذِي أُؤْتِنَ أَمَانَتَهُ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ وَلَا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ وَمَنْ يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ اللَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِنْ تُبَدُّوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفَوُهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ فَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} {182

12 . جهاد المستقبل: بأن يكون له طموح دائم على العمل الصالح ومناصرة المظلوم والقبول بالشهادة في سبيل الله تعالى وفي سبيل الوطن إذا تعرض لاحتلال أو غزو من أجنبي. قال تعالى: {أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ

---

181 آل عمران، 145.

182 البقرة، 283، 284.

بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِهْلًا  
وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ {183.

وعليه فأصحاب المكارم بالجهاد والعمل الصالح لهم حسن  
مآب قال تعالى: {الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبَى لَهُمْ وَحُسْنُ  
مَآبٍ} {184}. قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "ما منكم من  
أحد يدخل الجنة إلا انطلق به إلى طوبى، فتفتح له أكمامها، فيأخذ  
من أي ذلك شاء، إن شاء أبيض، وإن شاء أحمر، وإن شاء أصفر،  
وإن شاء أسود، مثل شقائق النعمان وأرق وأحسن" {185}.

ولأنَّ الله يُريد الخليفة كريماً قال تعالى: {وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً  
إِلَى عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَحْسُورًا إِنَّ رَبَّكَ  
يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا} {186}.

يقول تعالى أمرًا بالاقتصاد في العيش ذمًا للبخل ناهيًا عن  
السرف: {وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ أَي: لا تكن بخيلًا منوعًا،  
لا تعطي أحدًا شيئًا، كما قالت اليهود عليهم لعائن الله: {يَدُ اللَّهِ  
مَغْلُولَةٌ} {187}. أي نسبهه إلى البخل، تعالى وتقدس الكريم الوهاب.

وقوله: {وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ} أي: ولا تسرف في الإنفاق  
فتعطي فوق طاقتك، وتخرج أكثر من دخلك، فتقعده ملومًا محسورًا.  
ومتى بسطت يدك فوق طاقتك، قعدت بلا شيء تنفقه، فتكون  
كالخسير، وهو: الدابة التي قد عجزت عن السير، فوقففت ضعفًا

---

183 البقرة، 133.

184 الرعد، 29.

185 رواه ابن أبي الدنيا في صفة الجنة برقم 146

186 الإسراء، 29، 30.

187 المائدة، 64.

وعجزًا، وهو مأخوذ من الكلال، كما قال تعالى: {فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِنْ فُطُورٍ ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنْقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ حَاسِدًا وَهُوَ حَسِيرٌ} 188 كليلًا عن أن يرى عيبًا. هكذا فسر هذه الآية - بأن المراد هنا البخل والسرف - ابن عباس والحسن وقتادة وابن جريج وابن زيد وغيرهم. وعن أبي هريرة، أنه سمع رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: "مثل البخيل والمنفق، كمثل رجلين عليهما جبتان من حديد من ثدييهما إلى تراقيهما. فأما المنفق فلا ينفق إلا سَبَعَتْ - أو وفرت - على جلده، حتى تُخفي بنانه وتعفو أثره. وأما البخيل فلا يريد أن ينفق شيئًا إلا لزقت كل حلقة مكانها، فهو يوسعها فلا تتسع" 189، وعن أسماء بنت أبي بكر قالت: قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "أنفقي هكذا وهكذا وهكذا، ولا تُوعِي فَيُوعِي اللهُ عَلَيْكَ، ولا تُوكِي فَيُوكِي اللهُ عَلَيْكَ" وفي لفظ: "ولا تُحْصِي فَيُحْصِي اللهُ عَلَيْكَ" 190.

#### إكرام الضيف:

قال تعالى: {فَأَبَوْا أَنْ يُضَيِّقُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقُضَ فَاقَامَهُ قَالَ لَوْ شِئْتَ لَاتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا} 191. الاستطعام كان طلبًا للطعام على وجه الضيافة بأن يكونا قد قالوا: إنا غريبان فضيفونا أو نحو ذلك كما يشير إليه التعبير بقوله تعالى: (فَأَبَوْا أَنْ يُضَيِّقُوهُمَا) دون فأبوا أن يطعموهما مع اقتضاء ظاهر (استطعما أهلها) إياه، وإنما عبر باستطعام دون استضافا للإشارة إلى أن جلّ قصدهما الطعام دون الميل بهما إلى منزل وإيوائهما إلى محل. وذكر بعضهم أنّ

188 الملك، 3، 4.

189 صحيح البخاري، ص 1443.

190 صحيح البخاري، ص 1433.

191 الكهف، 77.

في فَأَبَوْا أَنْ يُضَيِّفُوهُمَا من التشنيع ما ليس في أبوا أن يطعموهما لأنَّ  
الكريم قد يرد السائل المستطعم ولا يعاب كما إذا رد غريبا استضافه  
بل لا يكاد يرد الضيف إلا لئيم، ومن أعظم هجاء العرب فلان يطرد  
الضيف، وعن قتادة أنه قال: "شر القرى التي لا يضاف فيها الضيف  
ولا يعرف لابن السبيل حقه"192. وقيل: إنما خص سبحانه  
الاستطعام بموسى والخضر عليهما السلام والضيافة بالأهل لأنَّ  
الاستطعام وظيفة السائل والضيافة وظيفة المسؤول لأنَّ العرف يقضي  
بذلك فيدعو المقيم القادم إلى منزله يسأله ويحمله إليه. فوجدا (فيها  
جِدَارًا) روى أنَّهما التجأ إليه حيث لم يجدا مأوى وكانت ليلتهما ليلة  
باردة وكان على شارع الطريق (يُرِيدُ أَنْ يَنْقُضَ) أي يسقط والمعنى يريد  
أن يتفتت فيصير حصى انتهى193. وعليه فالمكارم تُجَبِّبُ العباد  
المصائب، اللهم اجعلنا من عبادك الكرماء ولا تجعلنا من المسرفين ولا  
المبذرين ولا البخلاء وزدنا صفاء ونقاء وعنا على الدنيا وارحمتنا  
بالاستخلاف فيها واجعلنا من الوارثين وأرضى عنا وعن الوالدين  
والأبناء والزوجات والصحابة وأمهاتنا زوجات الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ  
وَسَلَّمَ تسليما.

قال تعالى: {ادْفَعِ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةِ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ  
وَقُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ وَأَعُوذُ بِكَ رَبَّ أَنْ  
يَحْضُرُونِ}194. أي قدم الكلمة الطيبة التي تفيد وتنفع وتصلح ولا  
تفسد ولا تثير الغضب، واصبر وما صبرك إلا بالله العظيم، وادفع  
بالحسنة التي هي أحسن الحسنات التي يدفع بها السيئة بأن تحسن إلى  
المسيء ما استطعت، وادفع بالحسنة السيئة، وجوز أن تعتبر المفاضلة

192 تفسير الألوسي، ج 11، ص 356

193 تفسير الألوسي، ج 11، ص 357.

194 المؤمنون، 96.

بين الحسنة والسيئة على معنى أنّ الحسنة في باب الحسنات أزيد من السيئة في باب السيئات ويطرد هذا في كل مفاضلة بين ضدين كقولهم: العسل أحلى من الخل فإنهم يعنون أنّه في الأصناف الحلوة أميز من الخل في الأصناف الحامضة، ومن هذا القبيل ما يحكى عن أشعب الماجن أنه قال: نشأت أنا والأعمش في حجر فلان فما زال يعلو وأسفل حتى استوينا فإنه عن استواءهما في بلوغ كل منهما الغاية حيث بلغ هو الغاية في التدلي والأعمش الغاية في التعلّي 195. وأخرج ابن أبي حاتم، وأبو نعيم في «الحلية» عن أنس أنّه قال في الآية: يقول الرجل لأخيه ما ليس فيه فيقول: إن كنت كاذبا فأنا أسأل الله تعالى أن يغفر لك وإن كنت صادقا فأنا أسأل الله تعالى أن يغفر لي. وقيل: التي هي أحسن شهادة أن لا إله إلا الله والسيئة الشرك، وقال عطاء. والضحاك: التي هي أحسن السّلام والسيئة، وقيل: الأوّل الموعظة والثاني المنكر، واختار بعضهم العموم وأن ما ذكر من قبيل التمثيل، (نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ) أي بوصفهم إياك أو بالذي يصفونك به ممّا أنت بخلافه، وفيه وعيد لهم بالجزاء والعقوبة وتسليّة لرسول الله صلّى الله عليه وسلّم وإرشاد له عليه الصّلاة والسّلام إلى تفويض أمره إليه عزّ وجلّ. وهذا ما يكون عليه الخليفة في تفويض أمره إلى الله عزّ وجلّ، فيكون أكثر صونا واعترافا لربّه ورعاية لمستخلفيه والله يهدي إلى سواء السبيل 196.

قال تعالى: { دَعَوَاهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ وَأَخْرَجُوا دَعَوَاهُمْ أَنْ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ } 197. وقيل: لعلهم يقولون: سبحانك اللهم عندما يعاينون من تعاجيب آثار قدرته تعالى

<sup>195</sup> تفسير الألويسي، ج 7، ص 445.

<sup>196</sup> تفسير الألويسي، ج 7، ص 445.

<sup>197</sup> يونس 10.

ونتائج رحمته ورأفته ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر تقديسا لمقامه تعالى عن شوائب العجز والنقصان وتنزيها لوعده الكريم عن سمات الخلف ويكون خاتمة دعائهم أن يقولوا: الحمد لله رب العالمين نعتا له تعالى شأنه بصفات الإكرام إثر نعته بصفات الجلال، والمعنى دعاؤهم منحصر فيما ذكر إذ ليس لهم مطلب مترقب حتى ينظموه في سلك الدعاء، ولعل توسط ذكر تحيتهم عند الحكاية بين دعائهم وخاتمته للتوسل إلى ختم الحكاية بالتحميد تبركا.

وعليه يكون الخليفة جادا في تهذيب مستخلفيه بدءا بإكرامهم بالتحية وغرسها في نفوسهم، فينشأوا على المحبة والكرم؛ لأنه مسؤول عن تصرفات مستخلفيه أمام فيكون قد نجا من غضب ربه إذا ما نصح وأمر بما يرضي ربه<sup>198</sup>. فنسأل الله الكريم المنان القادر على ما يشاء، أن يخلصنا مما يُسخطه، ويستعملنا فيما يرضيه، من حفظ كتابه وفهمه، والقيام بمقتضاه آناء الليل وأطراف النهار، إنه الأكرم الكريم والأرحم الرحيم، والحمد لله رب العالمين.

اللهم يا الكريم ما لدينا من فضل وكرم هو من فضلك وكرمك فاجعل أنفسنا كريمة الدعاء سخيات العطاء فنكون ممن كرمتهم بالجنة، اللهم اغفر لنا واجعلنا من المكرمين، اللهم يا الكريم أكرمنا بعلم مفيد وعقلٍ سديد ونفسٍ مطمئنة آمنة مستقرة، وأسبغ علينا كرمك فما فضلٍ إلا منك وما من كرمٍ يفوق كرمك يا الكريم. اللهم أكرمنا في الدنيا والآخرة كرما نكون فيه من السعداء أنت ولينا سبحانه فلا نطلب ولا نسعى إلا إليك متيقنين أن كرمك سيصيبنا لأنك أنت الكريم سبحانه جل جلالك.

---

<sup>198</sup> تفسير الألوسي، ج 7، ص 445.

وعليه: فإنّ يحيى هو إجابة من الكريم ولهذا؛ فاسم يحيى ليس  
رسمًا لفظيًا مجردًا، بل هو دلالة عن صفة لذات ابن زكريا وكذلك صفة  
لفعله؟

وسبق أن طرحنا تساؤلات مهمة هي:

هل الجعل للاسم؟

أم أنّ الجعل للصفة؟

أم هو للثنين معا؟

أولًا: يجب العودة إلى الآية (لم نجعل له من قبل سميا)، ونقول:  
إنّ الجعل للسمّة، أي لم نجعل لأحد سمّة من قبل كسمّة يحيى، ومعلوم  
أنّ السمّة هي: السمّة الدالة على الشيء، أو هي أبرز ما يكون في  
شيء معي علامة دالة عليه. والى مثل ذلك يذهب ابن عاشور  
فيقول: "وعندي: أن السّمِّيّ هنا هو الموافق في الاسم الوصفي  
بإطلاق الاسم على الوصف، فإن الاسم أصله في الاشتقاق (وسم)،  
والسمّة: أصلها وسمّة، كما في قوله تعالى: {لَيْسُمُونَ الْمَلَائِكَةَ تَسْمِيَةً  
الأنثى} 199، أيّ يصفونهم أنّهم إناث، ومنه قوله الآتي: {هل تعلم  
له سميا} 200، أيّ لا مثيل لله تعالى في أسمائه. وهذا أظهر في الثناء  
على يحيى والامتنان على أبيه. والمعنى: أنّه لم يحيى قبل يحيى من  
الأنبياء من اجتمع له ما اجتمع ليحيى فإنه أعطي النبوءة وهو صبيّ،  
قال تعالى: (وآتيناها الحكم صبيا)، وجعل حصورا ليكون غير مشقوق  
عليه في عصمته عن الحرام، وآلا تكون له مشقة في الجمع بين حقوق  
العبادة وحقوق الزوجة، وولد لأبيه بعد الشيخوخة ولأمّه بعد العقر،

---

199 - النجم 27.

200 - مريم 65.



وُبُعِثَ مبشراً برسالة عيسى عليه السّلام، ولم يكن هو رسولا، وجعل اسمه العلم مبتكرا غير سابق من قبله. وهذه مزايا وفضائل وهبت له ولأبيه، وهي لا تقتضي أنّه أفضل الأنبياء لأنّ الأفضلية تكون بمجموع فضائل لا ببعضها وإن جلت، ولذلك قيل «المزية لا تقتضي الأفضلية» وهي كلمة صدق<sup>201</sup>.

لذلك، نعتقد أنّ الجعل كان للاسم والصفة معا على النحو الآتي:

الاسم يحيى لمولود زكريا أوّل مسمى بهذا الرسم.

يحيى هي صفة متجددة للابن لأنّه كلّما ذكر عند المؤمنين يحيى حياة جديدة في قلوبهم.

والسؤال: من هو يحيى؟

هو يحيى بن زكريا. من آل يعقوب (يرثني ويرث من آل يعقوب) وهو يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم صلّى الله عليهم وسلّم كما قررنا ممّا ييق.

- نبي من أنبياء بني إسرائيل (وَنَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ).

قال تعالى: { يَا زَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَى لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا }<sup>202</sup>.

فكما سبق أن بينّا أنّ يحيى اسم لم يسمى به أحد قبل أن يسمى به يحيى؛ فهو أوّل اسم من الأوّل جلّ جلاله، أي إنّ اسم يحيى

---

<sup>201</sup> - التحرير والتنوير، ج 1، ص 226.

<sup>202</sup> مريم 7.

لم يسمى به أحد من خلقه؛ فكان يحيى اسم أول من الأول الأعظم تعالى.

ومع ذلك فقد سبقه الكثير من الأنبياء والرسل والصدّيقين والصّالحين، فهو لم يكن أول نبيا ولا صدّيق ولا صالح، بل هو الأول تسمية (يحيى).

ولأنّ الله هو الأول والآخر؛ فهو يخلق ما يشاء أولا وينهي متى ما يشاء آخرا؛ فالأول كونه خلاق لا يكرر خلقه لشيء، ولكنّه:

- يعدّده ويكثره.

- ينوّعه ويفضّله.

- يميتّه ويحييه.

وفوق ذلك الخلاق يخلق كلّ شيء أولا، ويسمي كلّ شيء أولا، ولكنّه قد لا يظهرنا عليه، وهنا مشيئة الله هي التي تسيطر وتهيمن وتحكم أيّ أمرا.

ولأنّّه جلّ جلاله هو الأول؛ فلا أول بالمطلق إلّا هو عزّ وجلّ؛ ومن ثمّ؛ فالأول هو السابق على كل سابق، والقادر على كل قادر، والمهيمن على كل مهيم، والماكر بكل ماكر والكائد بكل كائد، والخالق لكل مخلوق، وهو المحيي والمميت والباعث من جديد، وهو المحاسب والمعذب والمجازي بالجنّة والمعاقب بالتّار وهو الرّحمن الرّحيم.

الأول: "العرب لا تستعمله إلا إلى الله، أو إلى ضميره" 203.

---

<sup>203</sup> مفردات ألفاظ القرآن الكريم - ج 1، ص 446.

الأوّل من أسماء الله الحسنى "يدل على أن كل ما سواه حادث كائن بعد أن لم يكن"204.

الأوّل من النهاية، مهما فكرت عقلا ومهما تأملت عقلا فستصل في النهاية الواعية بأنه الأوّل بلا أول، ومهما تذكرت عقلا لن تبلغ لغيره أول، ولهذا فهو الآخر من البداية، وعليه فالقاعدة تقول: (إنه الأوّل من النهاية والآخر من البداية).

الأوّل اسم من أسماء الله الحسنى، فهو أول لم يسبقه أول فَحَقَّتْ له بذلك الألوهية وعلا به على كل شيء، فدائما يكون للأوّل في كل الأشياء فضل على بقيتها فالأوّل في الفصل الدراسي له الفضل على بقية التلاميذ، فهو الذي يتحصل على المكافأة تقديرا له على جهده وينال بأوليته هذه احترام المعلمين والزملاء في مدرسته.

فمن يبادر بفعل الخير على آخر فيقدم له معروفا ما فيكون هو الأفضل مهما فعل ذلك الآخر من أفعال ليرد جميل ذلك الأوّل؛ ذلك لأنّ الأوّل فعل الخير للآخر دون أي سبب ولم يكن مُلْزَمًا بفعل ذلك، ولكنه تفضل وتكرم، وبادر بفعل هذا الخير بدافع المحبة، أمّا الآخر فدافعه لفعل الخير للأوّل هو شكر الأوّل على فعله السابق ورد جميله عليه، ألا ترى أنّ الوالد يقدم لولده الحب والرعاية، والإنفاق والاهتمام، وليس للولد يد على الوالد تجبره على فعل ذلك ولكنه يفعله بدافع الحب لهذا الولد، بينما الولد عند فعله الخير للوالد في حال كبره إن فعل ذلك، يكون دافعه هو الشكر على ما قدمه له في صغره كما جاء في قوله تعالى: ﴿وَإِخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ إِنَّ

---

<sup>204</sup> شرح أسماء الله الحسنى في ضوء الكتاب والسنة - ج 1، ص 40.

تَكُونُوا صَالِحِينَ فَإِنَّهُ كَانَ لِلأَوَّابِينَ غَفُورًا {205، ومهما يقدم له لا يمكن أن يرد له جميله أو يتساوى معه فيه؛ لأن الوالد هو الأول في تقديم الخير، ولذلك جاءت توصية الله تعالى للإنسان بوالديه ولم تكن هناك ضرورة لتوصيته بولده لأن الإنسان يفعل ذلك بدافع فطري فطره الله عليه قال تعالى: {وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا وَإِنْ جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ} 206 وقال تعالى: {وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنْ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ} 207 وقال أيضا: {وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمَلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا حَتَّى إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِئْتِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ} 208.

هذا الأمر بالنسبة للخليفة فما بالك بالأول المطلق الذي بدأنا بالكثير من النعم أفلا يستحق منا أن نكون شكورين له على نعمه.

وَتَقَدَّمُ الأَوَّلُ المطلق على كل ما سواه في الأزمان، تقدم لا يحده أي حد، قال تعالى: {سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يُخَيِّبُ وَيُمِيتُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ هُوَ الأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ

<sup>205</sup> الإسرائ 24 . 25.

<sup>206</sup> العنكبوت 8.

<sup>207</sup> لقمان 14.

<sup>208</sup> الأحقاف 15.

عَلِيمٌ}209، وهو الأوّل بملكه لكل شيء بل بتقدمه بالملك والخلق وبذلك هو أصل ومصدر الأشياء جميعا.

والخالق هو الأوّل في فعل ما يريد، لا راد لمشيئته ولا مانع لفعله، قال تعالى: {إِنَّهُ هُوَ يُبْدِي وَيُعِيدُ وَهُوَ الْعَفُوُّ الْوَدُودُ ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ}210، فالبدائية تتضمن الخلق والخلق يتطلب القدرة المطلقة، والإله الواحد الذي لا يتعدد، لأنه إن كان هناك أكثر من إله لما كان هذا الكون المنظم الذي يسير وفق قوانين ثابتة لا تتغير فالواضع لها واحد لا يتغير وهي ثابتة لثباته ووحدانيته، قال تعالى: {مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذَا لَدَّهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَّ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ}211، فمثلا إذا تكونت شركة من مجموعة من أصحاب رؤوس الأموال وكبرت تفرعت فإنه لا بد أن يأتي يوم ويختلف فيه هؤلاء الشركاء على نظام العمل أو الوارد والصادر أو غيرها عندها يصر كل فرد منهم أن يفرض رأيه وينتج عن هذا الخلاف تفكيك الشركة، والكون كذلك لو كان هناك أكثر من إله واحد يخلق وينظم ويقدر لما كان بهذا الإبداع وهذه المتانة في الخلق والتصوير، ولكن الخالق واحد وهو الأوّل لم يسبقه شيء ولن يعقبه شيء فهو الأوّل وهو الآخر ليس قبله ولا بعده شيء، وهذا من رحمة الله بنا وكرمه، إذ أنه واحد وإلا لكانت الحياة متناقضة وغير مستقرة بنا بسبب اختلاف الآلهة وتعددتها.

---

209 الحديد 1 . 3.

210 البروج 13 . 16.

211 المؤمنون 91.

والله سبحانه وتعالى هو الأوّل الذي يُعد ولا يتعدد، فيمكن أن يُعد بقولنا الله واحد أحد الفرد الصمد، وقد وصف الله تعالى نفسه بالأحادية على لسان رسوله الكريم - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - حينما سُئِلَ عن الله فقال: {قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ اللهُ الصَّمَدُ} 212، وبالمقابل لا يمكن أن يتعدد فلو كان هناك العديد من الآلهة أو كان هناك حتى إلهًا آخرًا فما كان هو الأوّل كما هو، ولتضاربت الأمزجة والقدرات ففسد الكون واختل نظامه وذهب كل إله بما أراد، قال تعالى: {لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ} 213، وهو الأوّل والأوحد الذي تعددت صفاته وأفعاله فهو القادر على فعل كل شيء في آن واحد فلا يقف الزمان ولا المكان عائقًا أمام إرادته وقدرته عزّ وجلّ، قال تعالى: {فَعَالٌ لِمَا يُرِيدُ} 214.

وبما أنّ الله فردٌ صمد لا يتعدد فمن البديهي أن يكون أوّلًا وليس هناك من يسبقه أو من يليه، فحكمه لا يتوارث بل هو ملكٌ أزلي لا ينازعه فيه أحد، وليس هناك من يشبهه ولا يُقَارَنُ به ومن كان على ذلك فهو الأوّل بلا منافسٍ له ولا منازع.

والأوّل هو الذي لا تأتي الأعداد قبله ولا يتأثر بالإضافة والنقص، فالواحد هو الأوّل الذي يؤثر فيما سواه ولا يتأثر بما سواه، فالعدد واحد عندما نضيفه إلى نفسه أو نكرره مرتين يتكون العدد اثنين وزيادة واحد إلى الاثنين يتكون العدد ثلاثة وبذلك تكون النتيجة أن العدد واحد هو المكوّن والمكوّن لكل الأعداد التي بعده

<sup>212</sup> الإخلاص 1، 2.

<sup>213</sup> الأنبياء 22.

<sup>214</sup> البروج 16.

وهي تتأثر به زيادة فيكون عددا جديدا أو نقصا فيكون عددا سابقا، فمثلا العدد ثلاثة عندما ننقص منه واحد ينتج العدد اثنين وفي حال زيادة واحد على العدد ثلاثة يتكون العدد الجديد أربعة، وبهذا يكون الواحد هو الجزء الأول وبأولويته يكون مؤثرا في تركيب الأعداد، في حين أنه لا يتأثر بها لأنه غير مركب، ولو كان العدد واحد مركبا لتغير وتبدل من حال لحال آخر بدخول المؤثرات عليه سلبا وإيجابا.

وبهذا فإن الله هو الأول الذي لا يتغير ولا يتبدل بل هو ثابت أزلي، ولو لم يكن ثابتا كما هو لما ثبت نظام خلقه كما أراده فلا يمكن لأي مخلوق أن يتدخل في هذا النظام أو يدعي أنه يستطيع أن يفعل مثله أو يغير شيء منه، قال تعالى: {أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الضَّالِّينَ أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَلْ لَبِثْتَ مِئَةَ عَامٍ فَانظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانظُرْ إِلَى حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَ آيَةً لِلنَّاسِ وَانظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} 215، وقال تعالى أيضا مبينا عجز المخلوق عن فعل أفعال الخالق: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاستَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسئَلْهُمْ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ} 216.

<sup>215</sup> البقرة 257، 259.

<sup>216</sup> الحج 73.

ومن الملاحظ أن كل ما كان مركبا من أجزاء متداخلة فإنه لابد أن يتفكك ويعود إلى أصله الأول وهي أجزائه الأولية التي تكوّن منها أساسا إما بقوة فاعلة خارجة عنه أو أن يصيبه الضعف نتيجة تقدم السن، أو العطل نتيجة كثرة العمل، فمثلا الماكينة الكبيرة والرئيسية في المصانع والمعامل تتركب من عدة أجزاء وأجهزة متداخلة ومتكاملة ومن مجموعها تتكون هذه الآلة الكبيرة، وبسلامة كل جزء من هذه الأجزاء يمكن لهذه الآلة أن تقوم بوظيفتها التي صُنعت من أجل القيام به قياما تاما وإنجازها على الوجه المطلوب، ومن البديهي أن قوة وجودة هذه الآلة تتأثر في حال تلف إحدى الأجزاء المكونة لها، والصانع لهذه الماكينة يمكنه إصلاحها تفكيكها وإتلافها إذا أراد ذلك، بدون أي إرادة للماكينة أو تدخل منها في ذلك. لأن الإنسان الصانع للماكينة بالنسبة لها هو الثابت وهي المتغيرة، وبذلك فإن الثابت يمكنه أن يتصرف فيما هو أقل منه في دائرة النسبية أما المتغير فيفتقد لذلك لأنه لا يستطيع أن يؤثر فيما هو أعلى منه في هذه الدائرة.

فصاحب الشركة بالنسبة للموظف فيها هو ثابت والموظف متغير فالثابت يمكنه أن ينهي عقد المتغير فيها ولا يمكن للمتغير أن يفعل نفس الشيء معه، والله المثل الأعلى.

فما بالك بالثابت المطلق وهو الأول المطلق الذي لم يسبقه أول الواحد الأحد الذي لم يلد ولم يولد الصمد الباقي الذي لم ولن يتغير فالواحد كما عرفنا لا يتغير ولا يتبدل بحال من الأحوال، وهو الصمد الباقي على حاله، قال تعالى: {قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ اللَّهُ الصَّمَدُ} 217 فالله هو واحد لا إله سواه، وقد زاد الله تأكيدا على هذا المعنى وهو معنى البقاء والثبات والأولية والأحدية بقوله: (لم يلد)

---

<sup>217</sup> الإخلاص 1. 4.



أي أنه لم يتغير من حالة العزوبة إلى حالة الزواج أو من حالة اللا أبوة إلى حالة الأبوة ومن حالة الفردية إلى حالة الثنائية، فالابن عادةً يحمل من جينات والده الوراثية فيكون بذلك شبيهاً له في شكله وأفعاله، والله تعالى منزّه عن الشبه والمثيل فمن ذا الذي يشبه الأول أو يدعيه!

وبقوله (لم يولد) تأكيد قوي على أن الله تعالى واحد لا يتركب من أجزاء ولا يتجزأ إليها، فالولادة عملية تحتاج إلى أبوين موجودين من قبل وجود المولود، أو على الأقل إلى أم لتحمله ومن ثم تلده كما كان من معجزة مولد نبي الله عيسى عليه الصلاة والسلام، لذلك فالمولود لا يمكن أن يكون أولاً لأنه دائماً مسبوق بالوالدين وهما السبب القريب لولادته على اعتبار أن السبب البعيد للولادة هو الله وإرادته بإتمام وتكليل عملية التزاوج هذه بإنجاب الولد، فكم من عملية تزاوج لم يكن نتاجها الإنجاب لعدم إرادة الخالق لذلك، قال تعالى: {لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنِائًا وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذُّكُورَ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنِائًا وَيَجْعَلُ مَنْ يَشَاءُ عَقِيمًا إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ} 218.

وكذلك فالولادة تقتضي أن يكون المولود مركباً من خليتين أساسيتين هما الخلية الحيوانية المذكرة والخلية الحيوانية المؤنثة وباتحاد كل منهما يتم تشكيل الخلية الملقحة الأساس الأول للمولود، فإذا بقيت كل من الخلية الحيوانية المذكرة أو المؤنثة مفردة فإنه لا يمكنها أن تكون جنيناً دون أن تتحد مع الخلية الثانية، وعلى ذلك فالله تعالى بقوله: (لم يولد) فإنه ينفي عن ذاته العلية التركيب والتجزئ وينزهها عنهما فيكون ذلك دليلاً على أوليته وثناته وبقائه وصمديته على اعتبار أن المركب يتحلل ويتلاشى وهذه سنة كل المخلوقات من دون

---

<sup>218</sup> الشورى 49، 50.

الخالق عزّ وجلّ أما غير المركب فهو الباقي الأبدي ولا يكون ذلك إلا  
الأوّل المطلق الواحد الذي لا يتركب وهو الله جلّ جلاله وفي ذلك  
قال تعالى: {كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ وَيَبْقَى وَجْهَ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ  
وَإِكْرَامِ} 219.

ولا يمكن أن يكون هناك أول آخر في دائرة المطلق فالأوّل  
المطلق هو الله عزّ وجلّ ولا مثيل له ولا شبيهه أو نظير في الأوّلية أو  
غيرها من صفاته وأفعاله الإلهية، وبذلك قال تعالى: (وَمَ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا  
أَحَدٌ)، والكفاء هو المساوي وبذلك لا يوجد من يساوي الله في أي  
شيء أو حتى يدانيه فيها.

أما الأوّل في دائرة النسبية فيمكن أن يتكرر ويتعدد، فالأوّل في  
فعل ما، قد لا يكون أولا في فعل آخر وقد يكون معه أول آخر في  
نفس الفعل وهذا يكثر في نطاق الأوّل بالإضافة، وهو الأوّل الذي  
يستمد أوليته من طاعته وعبوديته للأوّل المطلق الذي أوجده على  
وجه هذه الأرض من أجل رسالة عظيمة وهدف سامٍ هو إعمار  
الأرض، واستخلفنا في هذه الأرض قال تعالى: {وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ  
لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا  
وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا  
تَعْلَمُونَ} 220 وقال أيضا: {يَا دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ  
فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ  
الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ هُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ  
الْحِسَابِ} 221 وسيدنا داوود عليه الصّلاة والسّلام خليفة لله حيث

<sup>219</sup> الرّحمن 26، 27.

<sup>220</sup> البقرة 30.

<sup>221</sup> ص 26.

اصطفاه الله هو وجميع الأنبياء والرسل وختمهم بسيد الخلق سيدنا محمد صلى الله عليهم وسلم أجمعين، وترك للباقي من العباد حرية اختيار أن يكون خليفة له بإتباعه الأوامر واجتناب النواهي، أو عدم اختيار ذلك بارتكابه للمعاصي والشور.

والاستخلاف لم يكن لكل من خلق الله ويخلقه، فالخليفة لا يكون فيها من لا يتصف بصفات الله عز وجلّ قولاً وفعلاً وأن يكون هذا المستخلف ربانياً فلا يمكن أن يكون الكافر والظالم والكاذب والخائن خليفة للحقّ العادل المجيد الودود.

وعليه فالخليفة لا بدّ أن يكون أولاً في طاعته لأوامر الله تعالى وأن يكون مجال التسابق والأولية بينهم هو هذه الطاعة والانصياع التام للأول المطلق، وألا يكون مجال تسابقهم وأوليتهم في مسابقة غناء أو رقص أو قتل وإسراف في الرذائل والشور ممّا يتسابق فيه الناس الآن فلا يحصلون من وراء هذه المسابقات التي لا يراد بها وجه الله تعالى إلا على مضيعة للنفس والوقت وغضب الخالق عز وجلّ.

ولكن ما الحكمة من معرفتنا بأنّ الله هو الأوّل. الحكمة في ذلك أنه في معرفتنا بهذا الاسم وإيماننا به توضيح من الخالق لهذا المخلوق بأنه مهما علا وتقدم واخترع وأبدع في الدنيا فإنّ هناك من هو قبله والأول عليه في كل شيء، ويؤكد الأولوية للخالق في كل ما شيء ويبقى الإنسان مسبق بهذا الإله في كل ما يقوم أو يفكر به، وهذا من شأنه أن يصل بالإنسان إلى التواضع، والمراقبة، والضعف، وفي ذلك توضيح:

أولاً: التواضع:

مهما ارتفع شأن الإنسان في الدنيا فإنَّ اسم الأوَّل في حقِّ الله يرجعه إلى ميدان التدبير ودائرة التواضع، فبماذا ارتفع شأنه أو اسمه. هل حصل له ذلك لقوَّة أو لعلم أو لجاه وسلطة. فإن كان قويا فهو ضعيف لقوَّة الله لأنه الأوَّل في القوَّة والأسبق، فالإنسان الذي تميز بقوته البدنية على الكثير يصبح مغترا بها ونراه متفاخرا بقوته، يرمق غيره أحيانا بنظرات التغطرس والغرور، ولكن إذا التقى صدفة مع من هو أقوى منه من البشر تراه قد انكمش على نفسه وخفف من تغطرسه لعلمه بأن هذا الذي أمامه يفوقه قوَّة، فما بالك بالقوي الأوَّل الذي يفوق كل شيء إذا التفت قليلا إلى التمعن في اسم الأوَّل في حقِّ الله تعالى لأدرك أنه الأوَّل حتى في القوَّة، فهو الذي يفوق كل شيء قوَّة، بل وأنه قادر على سلب هذه القوَّة من غيره لأنه هو مالکها ومعطيها لمن شاء، فمن الممكن أن يتعرض هذا المعتر بقوته لحادث فتزول عنه هذه القوَّة ببتير أحد أعضائه مثلا أو إصابته بشلل جزئي أو كامل، أو حتى عند تقدمه بالسن وترهل عضلاته ماذا سيبقى من قوته العضلية. فالقوَّة التي كان يملكها من الخالق لها وله القوي الجبار الذي لا حد لقوته ولا نهاية لها، فقوته ليست كقوَّة الإنسان إنما هي قوَّة مطلقة تعاقب وتحاسب وتخلق وتراقب، قال تعالى: {كَذَابِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ} 222. وقد أمرنا الله بالتواضع وعدم الاختيال والتكبر على الآخرين في أكثر من آية قال تعالى: {وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمَسَّ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاعْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ} 223 فيأمرك الله هنا أيها الخليفة بأن

222 الأنفال 52.

223 لقمان 18 . 19.

لا تعرض بوجهك عن تكلمه تكبرا واستحقارا له، وأن تتواضع مع كل الناس في كل ما تفعل.

وإن كان تفاخر الإنسان بعلمه فأين علمه من علم الخالق السابق بعلمه كل علم، هو العليم الذي لا حدود لعلمه المطلق فالخالق هو المعلم الأوّل لكل أمورنا، فلا علم لنا إلا ما أَرَادَهُ اللهُ لَنَا.

وإن تفاخر بالجاه والسلطة يكفي أن يفكر من الذي وهب له هذا. أو أن يقارن بين ما يملك هو وما يملك الملك الحقّ. فسيخرج بنتيجة واحدة وهي أن ما يملكه لا يصل حتى لنقطة في بحر ملك الخالق المطلق، وهذا لأنه الأوّل فهو المعطي ممّا لديه وهو الوهاب لمن يريد بما يريد، فالملك الأوّل لكل شيء هو للأوّل الخالق المالك، والملك الذي يأتي بعد ذلك في الدنيا لأشخاص محدودين هو ملك زائل ومحدود، ومن الممكن أن يزول عنهم بمجرد أن يشاء المالك الأوّل، قال تعالى: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكِ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعْزِزُ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾<sup>224</sup>، فالأولوية لله تعالى في كل شيء تمنحه القدرة والحقّ المطلق في التصرف والإرادة فلا مجبر له عزّ وجلّ ولا رقيب عليه.

وإن كان سبب تفاخره لشكلٍ جميلٍ وخلقاً حسنة فلا تلبث أن تزول بتوالي السنين وتقدم العمر، أو أنها تزول بحادث عارض إذا شاء الخالق، ويبقى الإنسان على الحال التي أَرَادَهَا الأوّل لها أن تكون عليه إما عقاباً وإما ابتلاءً وفي كلا الحالتين ليس على الإنسان فعل أي شيء أمام قدرة الخالق عزّ وجلّ.

---

<sup>224</sup> آل عمران 26.

والخليفة بالإضافة هو من كان التواضع لبنة أساسية في أساس تركيب شخصيته، فهو صفة لا يمكن ألا تظهر في تصرفاته أو أن تقبع داخله دون إحساس الآخرين بها، وقد اتصف به كل الأنبياء والرسل والصالحين، لأنه من المستحيل أن يجتمع حب الله وحب العباد مع التكبر والغرور في قلب واحد.

والأول في الخلق مدرك لما سيكون عليه الناس من تضارب في النفوس والشخصيات لذلك فقد خلق في الأرض والسماء دلائل ماثلة أمام أعين كل الناس من شأنها أن تُشعر الإنسان بضعفه وضالته فلا ينظر لنفسه ولغيره نظرة رضا وتواضع، قال تعالى: وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَنْ تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَنْ تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا {225}، فلا يحتاج الإنسان إلى أكثر من نظرة يوجهها إلى الجبال الشاهقة التي هي من خلق الخالق ليتراجع عن ما يستشعره من غرور وتكبر في الدنيا، هذا الشعور الذي لا يمكن أن يتمكن من نفس خليفة الله بالإضافة، الذي يكون لديه من الإيمان ما يردعه عن الكبرياء والغرور، فهو دائم التفكير في خلقه وتكوينه وهو على درجة من العلم تكفيه هذا الشر، فعلم الخليفة وإدراكه لكل ما حوله من شأنه أن يرقى به عن هذا الشعور المريض الذي يؤدي بصاحبه إلى التعاسة والخسران.

فإذا وجدت شخصا يمسك بيد عاجز بكل حب وتواضع ليعينه على السير في الطريق، أو إذا وجدت شخصا يجالس يتيما أو ضعيفا يسمع شكواه وينشغل بجمه، أو وجدته رغم مركزه المرموق إلا أنه ذو نفس شفافة تتوق لحب الناس جميعا ومساعدتهم هنا تكمن بعض ملامح الخليفة بالإضافة.

---

225 الإسراء 37.

وإذا عمرت الأرض فبالأيدي المترابطة ولا ترتبط الأيدي البشرية إلا إذا تواضع الغني والمسؤول والسلطان والملك لكيلا يتكون حاجز بين النفوس بسبب تكبر بعضهم وغرورهم.

وأساس إدراك التواضع هو إرجاع كل نعمة تحل بنا من مال أو أولاد أو علم أو جاه أو قوة أو جمال أو غيرها إلى المعطي الأوّل وهو الله سبحانه وتعالى، وهذا المفهوم الذي عاش به الأنبياء والرّسل أجمعين، كقول سيدنا موسى عليه الصّلاة والسّلام في الآية الكريمة: {فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰ إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ} 226، حين يصل الإنسان إلى هذه المرحلة من التيقن من فقرنا إلى الله نكون قد وقفنا على أرضٍ ثابتة لن نزل بنا في بحر التكبر والغرور، بل شعورنا بالتواضع يعري حقيقة احتياجنا لمخلّق عزّ وجلّ.

ثانياً: المراقبة:

من المعروف أنّه عندما يشعر المرء أنّه مراقب ممن هو أعلى شأن ومكانة منه فإنه يحافظ على التزامه إما خشية وإما احترام وإما الاثنين معاً، إذن فوجود الرقيب ينتج عنه انضباط الشخص الذي يعود عليه وعلى من حوله بالفائدة، فكيف إذا أدرك المرء أن الرقيب الأوّل هو الخالق!

ومن فضل العلم على الإنسان أنّه يفتح مداركه لوجوب مراقبة النفس وإلزامها أحياناً بما تستصعبه وتعوّدها على وجود رقيب ومحاسب، وأن كل المساحات في الدنيا ليست ملعباً لكي تلهو فيها وتتمرد، إذ أن المعرفة بالشيء تُبطل الجهل بالنتائج، والإنسان يدرك أنه إذا ترك نفسه دون أي رقابة فإنها ستذهب إلى ما تهوى دون رادع

---

226 القصص 24.

أو محاسب لها في الدنيا، فتتحكم فيه الشهوات وتذله المغريات لعدم وجود ما يردعها أو يمنعها من الخوض في تلك الأمور.

ومن شأن اسم الأوّل أن يمدنا بالسبب الكافي لضرورة مراقبة الذات والتحكم فيها، فهو المراقب الأوّل للنفوس في هداها وفي ضلالها، فلا أحد من الممكن أن يفلت من هذه المراقبة، وبالتالي لا يمكن أن يفلت أحد من نتيجة هذه المراقبة التي يتولاها خالق النفوس والعالم بها، قال تعالى: قال تعالى: {وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعَلْمَا نُوسُوسُ بِهِ نَفْسَهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ ذَلِكَ يَوْمُ الْوَعِيدِ وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ} 227، فالآية السابقة توضح لنا عدة أمور هامة منها:

1- أن الخالق ربّط ما بين عملية الخلق والعلم بما يخالج النفس وذلك للتأكيد على أنه خالق النفوس، ومراقبها بعلمه ودقته وقيوميته على ذلك، فهو الأوّل في علمه بما في الأنفس والضمائر فلا تخفى عليه خافية، وكيف ذلك وهو العليم بما في الصدور من خير أو شر.

2- رصد الخالق لما في النفوس البشرية يؤكدها قرّبته من صاحب النفس عينه، والقرب تأكيد أيضا على الحرص على مراقبة كل صغيرة وكبيرة.

3- السائق والشهيد هما إثباتان على عمل الإنسان في الحياة الدنيا سواء كان خيرا فله من يدونه وإن كان شرا فله من يدونه، وهذا تأكيد ثالث على حرص مراقبة الخالق لخلقهم وتسجيل أعمالهم وذلك

---

227 ق 16 . 21.



لغرض الحساب، فمعنى الحساب مفهوم من قدوم السائق والشهيد يوم الحساب لكشف الأعمال.

والمراقبة لا تأتي ولا تصح إلا من القائم على الأمر، فمثلا القائد يراقب جنوده، والأب يراقب أبنائه، والمدير يراقب موظفيه، والأستاذ يراقب طلابه، والخالق يراقب كل أولئك العباد مهما كانت مكانته لأنهم مولاهم والمحاسب لهم يوم يقوم الحساب، ولا يصح حساب بلا مراقبة تبدأ مع الإنسان وتنتهي مع نهاية حياته، والمراقب بالتالي لا بد أن يكون متقدما للجميع في القدرة والعلم والحكمة، وأن تكون مراقبة لا تنتهي بنهاية الخلق أو عند حد معين أو زمن معين، بل لا بد أن يكون قائما حيا أزليا، قال تعالى: { مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنْتُمْ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُمْ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوْفَّيْتَنِي كُنْتُمْ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ } 228.

فبما أن الخالق له أولوية المراقبة فوجب بذلك علينا أن نتسابق بمراقبة أنفسنا أمام الله تعالى المحاسب لنا ولكل ما نقوم به من أقوال وأفعال، والخليفة بالإضافة من كان سباقا في مراقبة ذاته، والأول في الحكم على ما يصدر منه من أقوال وأفعال، مما يساعده على أن يكون الأول في وزن حياته والوصول إلى حياة كريمة يرضاها الله وترضاها نفسه، وأن يكون على يقين أنه لم يُخلق سدى بل أن هناك امتحانا سيجريه وحسابا سيلاقيه وأنه إذا طلب الفوز والنجاح داوم على مراقبة ذاته وحثها على المكرمات ونهاها عن المنكر والذائل من القول والفعل ونأى بها عن كل ما هو دافع للخسارة والهلاك، قال تعالى: { يَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِنْ مَنِيٍّ يُُمْتَسِّمُ

كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّى فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى أَلَيْسَ ذَلِكَ  
بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى {229}.

ثالثا: الضعف:

هذا الضعف المحمود الذي لا بدّ أن يستشعره كل إنسان أمام  
المولى عزّ وجلّ، وبالمقابل يستشعر أيضا سلطة الخالق عليه كونه جلّ  
وعلا الأوّل في علمه وحكمته وقوته وقدرته وحسابه، فمن شأن ذلك  
أن يعيش هذا الضعف الآدمي تجاه القوّة الإلهية العظيمة التي بدأت  
خلقه.

والمؤمن الحقيقي هو من يردعه هذا الضعف عن استغلال  
سلطته وقوته عن التحكم واستغلال من هم أدنى منه مرتبة، بل يكون  
حاضرا في ذهنه أنه ليس الأوّل ولو كان كذلك في مركزه في الحياة  
الدنيا وأن هناك من هو الملك والمهيمن عليه، قال تعالى: {هُوَ اللَّهُ  
الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ  
الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ} {230}.

والضعف له نوعان:

أولا: ضعف محمود وهو الضعف المتصف به خلفاء الله، وهو  
ضعفٌ يلزم الخليفة تجاه الخالق، فلا يتكبر ولا يتجبر في الأرض بما  
أعطاه ومنحه الخالق عزّ وجلّ، هو ضعفٌ جميل من شأنه أن يُشعر  
الخليفة بمدى قوّة المولى وسلطته عليه. وعليه كلما استشعرت بالضعف  
أمام خالق العباد ازددت قوّة أمام العباد.

---

229 القيامة 36 .40.

230 الحشر 23.

ثانيا: ضعفٌ مذموم وهو الضعف الذي يصيب الإنسان تجاه عدة أمور منها: الضعف أمام مغريات الدنيا وزينتها فلا يملك نفسه أمامه بل تملكه نفسه وتتحكم فيه، فتتهوي به إلى مستنقع الرذائل والفساد، أو الضعف أمام إنسان آخر يملك سلطة أو قوّة تفوقه فلا يستطيع النطق بالحقّ بل يشعر بالخوف أمامه أكثر من شعوره بالخوف من الخالق العظيم.

فخليفة الله من ينمي خوف الله في قلبه لردع أي مفسدة قد تجره لها الحياة الدنيا، فهذا الخوف من الله تعالى من شأنه أن يزرع في قلبه قوّة وشجاعة يستطيع أن يكون فيها الأوّل والمتقدم في فعل وقول الحقّ، والأمر بالعدل والخير والنهي عن المنكر.

والأوّل في حقّ الله يتضمن صفات وأفعال أخرى في حقّه مثل:

هو الأوّل في علمه:

هناك فرق كبير بين علم محدود مقيد له حد معين يقف عنده وبين علم مطلق لا حدود له، والعلم في حقّ الله تعالى هو علم لا حدود له وفوق كل علمٍ آخر، قال سبحانه وتعالى: ﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾<sup>231</sup>، فلا يرتفع علم عن علم الله لأنه الأوّل في علمه فاستحقّ الكمال، والأوّل استوجب أن يشمل علمه بالماضي والحاضر والمستقبل، وأكبر دليل على أنه الأوّل في علمه أنه يعلم بالأشياء قبل حدوثها فكيف لا يعرف وهو الخالق والمدبر لكل شيء. وهذا هو علم التقدير والغيب في حقّ المولى عزّ وجلّ، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنزِلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ

---

<sup>231</sup> يوسف 76.

حَيْرٌ}232، وكذلك قوله تعالى: {قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ  
وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ}233، فأين علم  
الإنسان الذي يمكن أن يصل لهذه الدرجة من العلم والإدراك ولو كان  
عالم العلماء جميعا. والناظر في سير هذا الكون والنظام الذي حُلق  
عليه لأدرك أن الخالق هو الأول لعلمه، فهناك فرق بين الشريعة التي  
أنزلها الله تعالى والتي من المفترض أن يسير عليها الكون وبين القوانين  
التي وضعها الإنسان، فالأولى تحفظ الحقوق ولا تتغير بتغير الأشخاص  
أو الأزمان أو الأمصار والثانية لا تلبث أن تتبدل حسب توافقها مع  
المصالح والأهواء.

والإنسان يجب أن يكون عالما بأنه محاسب على جهله إذا كان  
نتيجة تكبره أو إعراضه أو تلاهيه، أما من كان الجهل خارجا عن  
إرادته فهو غير محاسب، قال تعالى: {وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى  
حَتَّى يَبْعَثَ فِي أُمَمٍ رَسُوْلًا يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَى  
إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ}234، أي أن العلم بالشيء شرط لاستحقاق  
الإنسان العقاب، فالعلم أولا وقبل أي شيء والجزاء ثانيا لرفع الحجّة.

والدليل الثاني على أن الله هو الأول في علمه أنه يستطيع أن  
يوقف علمنا عند حد معين قال تعالى: {وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ  
وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ لِيَبْلُوكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ  
عَمَلًا وَلَئِنْ قُلْتُمْ إِنَّكُمْ مَبْعُوثُونَ مِنْ بَعْدِ الْمَوْتِ لَيُقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا  
إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ}235، فالله قد أوقف مداركنا عند بداية

---

232 لقمان 34.

233 النمل 65.

234 القصص 59.

235 هود 7.

المخلوقات عند العرش والماء، أما ما قبل ذلك فهو في علم العليم المطلق لأن ذلك من لوازم اتصافه بصفة الكمال، فلن تفيدينا أي شيء معرفتنا بما قبل ذلك، وهذا يدل على محدودية علم المخلوق في هذا الكون الذي خلقه الله بعلمٍ حكمةٍ مطلقين، فالأول في الملك والخلق هو الأول في العلم والحكمة، وهما بلغ علم الإنسان ومداركة فإنّه يبقى مداره الذي يتجول فيه خياله محدود بإرادة الأول سبحانه وتعالى، وهذا ينطبق على جميع ما خلق الخالق، قال تعالى: {وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ} {236}، فبالرغم من أن الملائكة مخلوقات قريبة من الله تنفذ جميع أوامره وتسبح له وتطيعه إلا أن الله تعالى لم يجعلها ذات علمٍ مطلق بل أنه حدد لها ما يجب أن تكون على علم به وحجب عنها ما أراد.

وقد خص الخالق العلم بالأولوية، إذ أنّ أول ما أنزل من القرآن الكريم على الرسول - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - كلمة (اقرأ) والقراءة هي سبيل المعرفة والفهم وهي أول طرق الهداية والصلاح، قال تعالى: {اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ} {237}، إذن المعلم الأول هو العليم عز وجلّ للبشرية بما فيهم الرسل والأنبياء، لأنّه المدرك الأول لكل ما نعلمه وما لا لم نصل إليه بحواسنا، وهذا طبيعي في حقّ العليم الذي لا يعزب ولا يغيب عنه أي شيء، فلا يعجز عن إدراك أي شيء سرا كان أو علنا فهو الأول في الإدراك والعلم بقدرته سبحانه

<sup>236</sup> البقرة 31، 32.

<sup>237</sup> العلق 1. 5.

وتعالى، ولذلك فإن كل علوم الخلق التي تم اكتشافها والوصول إليها وما لم يتم الوصول إليها بعد هو المحيط به قبلهم لأنه المقدر للمستقبل والخبير فقد أحاط علمه بالظواهر والبواطن والسر والعلن والممكن والمستحيل وبكل الأزمان والأماكن فلا يخفى عن علمه وإدراكه أي صغيرة أو كبيرة، قال تعالى: {قُلْ إِنْ تُحِبُّوا مَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْذِرُوهُ يَعْزِمُ اللَّهُ وَيَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} 238.

يجب أن يكون الخليفة من السابقين للعلم والمعرفة، العلم الذي يحث عليه العليم لما فيه خير هذا المتعلم، هذا العلم الذي يسير بالخليفة إلى الاستقامة كأن يكون من الأوائل في معرفة صفات الخالق وما حرّم وحلّل وما يقرب العبد من ربه وما يبعده عنه، وأن يقوده هذا العلم للبحث عن مفاتيح حسن الخلق الذي من شأنها أن تبعده عن الغرور والتجبر والظلم، وأن يكون من أوائل أتباع الرسول الكريم عليه الصلاة والسلام في قوله: "بُعِثْتُ لِأَتَمِّمَ حُسْنَ الْأَخْلَاقِ" 239، وحديث رسول الله عليه الصلاة والسلام يوضح أمراً هاماً، إذ أنه يبين أن الأخلاق أولاً من خلق الله تعالى يضعها فينا ويأتي الرسول عليه الصلاة والسلام ليكمل ويهذب ما بدأ الله به، وذلك مدعاة لنا بالإيمان بأن الله هو الأوّل في خلق كل شيء.

الأوّل هو الحي المطلق:

والمقصود بالحياة في حقّ الله هي الحياة الأزلية والبقاء الأبدي، وهي بالطبع غير الحياة على الأرض التي لها أول تبدأ بها ولها آخر تنتهي إليه، فالخالق هو الأوّل الأزلي الباقي لا نهاية له، قال تعالى:

<sup>238</sup> آل عمران 29.

<sup>239</sup> موطأ مالك ج 5، ص 386.

{اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ} 240، فارتباط الحياة بدوام القيام دليل على تكامل الحياة لديه عزّ وجلّ، وعظمة وجلال الخالق الأوّل عزّ وجلّ، وكذلك قوله تعالى: {وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ وَكَفَى بِهِ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ الرَّحْمَنُ فَاسْأَلْ بِهِ خَبِيرًا} 241، وفي هذه الآية دلائل بيّنة على أزلية حياته وهي:

أ- طلب من العبد أن يتوكل عليه، وبالطبع لا يمكن أن نتوكل على من لا حياة له أو من كانت محدودة حياته، لأنّ التوكل هو اعتماد تام على الأوّل جلّ جلاله حيث لا أوّل غيره يمكن التوكل عليه، وبالتوكل الصادق على الله تعالى تكون الإجابة المحقّقة لأفعال الخير الحسان.

ب- نفي الموت عن جلاله تأكيد على دوام الحياة فلا يمكن أن يجتمع الفناء والحياة معاً، لأن كل منهما مقابل للثاني، وفي انتفاء الموت عنه إثبات صريح لحياة المولى الأزلية.

ج - خبرته بذنوب عباده تدل على مراقبته الدائمة، وقيامه على أمور الخلق جميعاً والمراقبة تتطلب الحياة التي تصل ما بين الخالق والمخلوق، إذ أنّ المخلوق يعمل ويقدم والخالق يراقب لكي يحاسب، هذه المعادلة المتوازنة هي في الحقيقة تتضمن أولوية الخالق في الحساب والجزاء.

د- عملية الخلق لا تتم إلا ممن كان قائماً وحياً من قبل القيام بهذه العملية أصلاً، وهذه العملية بالذات تؤكد اسم الأوّل في حقّ الله

---

240 آل عمران 2.

241 الفرقان 58، 59.

تعالى، إذ أنه لا يمكن أن يكون المخلوق سابقا الخالق، والمتأمل في هذا الكون يصل إلى حقيقة أزلية وألوية وجود الله تعالى قبل أي شيء آخر، قال تعالى: {أَوْ خَلَقْنَا مَا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ فَسَيَقُولُونَ مَنْ يُعِيدُنَا قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ وَيَقُولُونَ مَتَى هُوَ قُلْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَرِيبًا} 242.

ولا يكون خليفة الخالق إذا لم يكن قلبه حيا بذكر الله، وأن لا يكون الأول في إحياء كل أشكال الخير والمعروف في نفسه أولا وفي من حوله ثانيا، فحياة الخليفة تكمن بدرجة إيمانه وحبه للمولى عز وجل، قال تعالى: {وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ثُلَّةٌ مِنَ الْأُولَى وَقَلِيلٌ مِنَ الْآخِرِينَ عَلَى سُرُرٍ مَوْضُونَةٍ مُتَكَبِّرِينَ عَلَيْهَا مُتَقَابِلِينَ} 243، فخلفاء الله كانوا وما يزالوا يتسابقون إلى مرضاة المولى وبذل كل ما لديهم من أجل أن يسارعوا إلى حب ولقاء الله عز وجل، قال تعالى: {وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَهْمُهُمْ إِلَىٰ رَجْعِهِمْ رَاجِعُونَ أُولَئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ هَاهُنَا سَابِقُونَ} 244.

الأول هو القيوم:

نلاحظ دائما أن رب الأسرة هو القائم على أمور عائلته، ينظر إلى احتياجاتهم ويراقب زلاتهم ويحثهم على المنفعة والفائدة، لأنه المسؤول الأول عنهم في الدنيا، وكذلك نجد أن رب العمل يشعر بمسئوليته الأولى تجاه موظفيه، فيهتم بشؤونهم وينظر إلى أمورهم نظرة

<sup>242</sup> الإسراء 51.

<sup>243</sup> الواقعة 10 . 16.

<sup>244</sup> المؤمنون 60، 61.



اهتمام ورعاية مما يجعله دائم الاطلاع على أمورهم، فكيف بالذي هو الأول على كل أول وفوق كل العباد.

فمسؤولية الخلق تتطلب ربًا يكون هو الأول في مسؤوليته عنهم هذه المسؤولية التي لا يمكن القيام بها إلا من كان عظيمًا وسابقًا لكل شيء لا ينشغل بشيء عن شيء، قال تعالى: {اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ} {245}، فقد ربط الله قيامه على أمور عباده بالحياة الأزلية التي لا نوم ولا كسل ولا خمول فيها، مما يجعله عالماً بأدق التفاصيل راعياً لكل الخلق في آن واحد، فاستحق بذلك أن يكون ربًا عظيمًا واحداً لا يتعدد.

ولأنه كان الأول استحق رعاية الخلق والقيام على أمورهم وكان له إحيائهم وإماتتهم وقتما يشاء وكيفما يشاء، فمن له الحق في التدخل في أمور الغيب وتقدير الأشياء سواء عز وجل.

وعلى خليفة الله أن يكون حاملاً لمسئوليات عدة، تبدأ من نفسه، ويعلمه أن كل جوارحه سيكون مسؤولاً عنها، وتنتهي في حمله لمسئولية هذا الكون بأكمله الذي حمل أمانته، قال تعالى: {إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا} {246}، فهو المسؤول الأول عن هذه الأمانة، لذلك لا بد أن يُثبت كفاءته في تحمل هذه المسؤولية بالاستقامة وبالإصلاح والتعمير وبالأمْر بالمعروف والنهي عن المنكر، ومن يفرط في هذه الأمانة أو يهمل فهو الخاسر الأول في الدنيا والآخرة عند الخالق سبحانه وتعالى.

---

<sup>245</sup> البقرة 255.

<sup>246</sup> الأحزاب 72.

هو الأوّل في الرحمة:

ورحمته واسعة عظيمة أزلية لا تتغير حسب الزمن والمكان، وبما أنها أوّلية وأزلية فقد وسعت كلّ شيء وعمت الخلق جميعاً، فرحمته مطلقة لا يتدخل فيها أي أحد من خلقه، قال تعالى: {وَكَتَبْنَا لَنَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ إِنَّا هُنَا مُّهِمٌّ قَالِ إِلَيْكَ قَالَ عَدَايُ أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ} 247، فرحمته أعم وأشمل للمتقين الذين يسعون لنيل رضاه وحبه والقرب منه، فهناك رحمة عامة للبشر أجمعين تتمثل في حسن خلقتهم التي خلقهم الله بها وبنعمه التي لا تعد ولا تحصى، وبرزقهم، أما المؤمنين فقد خصهم الأوّل برحمة لا يستحقها إلا من كان تقياً صالحاً، قال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا} 248.

فقد بدأ الخلق جميعاً برحمته، بالرغم من غناه عن كلّ ما خلق في الدنيا، وهو البادئ برحمة الناس عامة والمسلمين خاصة، فبداية الرحمة من عنده هي إرسال الرّسل للهداية، وهو رحيم بقبول توبة التائب ورجوع العاصي.

والرحمة تستوجب أن يكون المرحوم ضعيفاً، والرحيم قويا لأنه البادئ بهذه الرحمة والمالك لها بالمطلق.

فعلى الخليفة أن يرحم نفسه أولاً بإبعادها عن الضلال فينجيها من النار ويفوز بالنعيم، ويرحم من حوله ثانياً بحفظهم من لسانه ويده

<sup>247</sup> الأعراف 156.

<sup>248</sup> الأحزاب 41 . 43.

وبنصح الضال منهم، وأن يكون رحيمًا بجميع ما خلق الخالق من كائنات حية ومن أرض حية تنمو تثمر من أجله ورحمةً به من الخالق عزّ وجلّ.

هو الأوّل في القدرة:

بما أنّه الأوّل خالق الخلق فتطلب ذلك أن يكون قادرًا على كلّ أمر، وأن يستسهل كلّ صعب، فكلّ ما نجده نحن البشر أمرًا مستحيل الحدوث يتحول إلى ممكن بأمر من الأوّل.

قال تعالى: {أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا ثُمَّ قَبَضْنَاهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ اللَّيْلَ لِبَاسًا وَالنَّوْمَ سُبَاتًا وَجَعَلَ النَّهَارَ نُشُورًا وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَّاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا لِنُحْيِيَ بِهِ بَلْدَةً مَيِّتًا وَنُسْقِيَهُ مِمَّا خَلَقْنَا أَنْعَامًا وَأَنَاسِيَّ كَثِيرًا} {249}، وكلّ إرادة للخالق تُنفذ بلمح البصر إذ أنه الأوّل في الإرادة والمشیئة، قال تعالى: {إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ} {250}، وهذا أعظم دليل على أن الله تعالى هو الأوّل، لأنّه إن لم يكن كذلك لاحتاج إلى جهد ووقت ومعونة لتنفيذ ما يريد، لكنه عزّ وجلّ تجلّى بعظمته عن كلّ ذلك.

ولكننا نجد أن بعض الناس تتناسى هذه القدرة بتجاهلها فضل الأوّل فيما وصلت إليه من ابتكارات أو اختراعات أو اكتشافات، وكأنّ هذا الشخص له الفضل الأوّل في الوصول والقدرة على ذلك! فهل تفوق قدرة المخلوق على قدرة الخالق. ما لهم كيف يفسرون

<sup>249</sup> الفرقان 45 . 49.

<sup>250</sup> النحل 40.

الأحداث ويفهمون ما قد وهبهم الأوّل لهم من قدرات بسيطة بالنسبة لما عنده تعالى.

وهو الأوّل في خلق المخلوقات جميعا فكانت له القدرة المطلقة عليهم ولا يمكن لأي أحد مهما علا شأنه في الدنيا أن يخرج من هذه دائرة قدرة الأوّل عليه، ومن ثمّ وهب الله تعالى بعض القدرات الثانوية للإنسان لكي يبدع بها في الحياة، وأول هذه القدرات هي:

### التحكم في النفس:

فالخليفة هو من يروض نفسه أولا على محاربة ما تشتهي، بذلك يستطيع أن يصل إلى تصالح بينه وبينها فترضى وتنأى عن الفساد وتحسن فن الإنصات للخالق الذي كرمها وإذا أنصتت النفس للخالق صلحت وطاعت وفازت، قال تعالى: { وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَهَيَّ النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ } 251، والفوز لها هي الجنة تنعم فيها.

أما إذا أعرضت النفس عن الخالق ضاعت في ظلمات الشرور والمهالك، فكان لها سوء العقاب وخسارة المآب، قال تعالى: { انظُرْ كَيْفَ كَذَبُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِنْ يَرَوْا كَلِمًا آيَةً لَا يُؤْمِنُوا بِهَا حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوكَ يُجَادِلُونَكَ يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْأَوْنَ عَنْهُ وَإِنْ يُهْلِكُونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وَقَفُوا عَلَى النَّارِ فَقَالُوا يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبُ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ } 252

<sup>251</sup> النازعات 40، 41.

<sup>252</sup> الأنعام 24 . 27.

## القدرة على تحصيل العلم:

وجني الفائدة منه لتعود عليه وعلى من حوله، فلا بد أن يكون على معرفة بأن البشر هم عبارة عن فرع ولا بد أن يرجع إلى الأصل إلى الأوّل عزّ وجلّ ليتمّ الجزاء، قال تعالى: {إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا وَعَدَّ اللَّهُ حَقًّا إِنَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ بِالْقِسْطِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ} {253، فالرجوع لا يتم إلا من التابع إلى المتبوع ومن الفرع إلى الأصل.

## هو الأوّل في الغنى:

بما أنه الأوّل فهو المعطي لكلّ شيءٍ وبعطائه هذا هو غني عن أي شيء، قال سبحانه تعالى: {قَالَ رَبَّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى} {254، وقال تعالى أيضا: {وَرَبِّكَ الْعَنِّي ذُو الرَّحْمَةِ إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَسْتَخْلِفْ مِنْ بَعْدِكُمْ مَا يَشَاءُ كَمَا أَنْشَأَكُمْ مِنْ ذُرِّيَّةٍ قَوْمٍ آخَرِينَ} {255، الآية السابقة منه نفهم أن الله تعالى:

أ- غني عن كلّ شيء، والغنى يأتي دائما من انعدام الحاجة للغير ولا يأتي ذلك إلا إذا كان المدبر الأوّل لكلّ الأمور، فلن يضر الله تعالى كفر كافر قال تعالى: {إِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنْكُمْ وَلَا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ وَإِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى

---

253 يونس 4.

254 طه 50.

255 الأنعام 133.

ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ {256}، فانعدام الحاجة تثبت أولوية الخالق في كلِّ أمر.

ب- كلِّ ما خلق الخالق فقير إليه تعالى، فالغني من الناس هو بفضل ما عند الله والفقير منهم هو بسبب منع الخالق عنه، فالله تعالى يغني الإنسان بالمال والحكمة والقوة والرحمة لأنه تعالى فوق كلِّ الخلق.

وخليفة الله إذا وصل إلى هذه الدرجة من العلم فإنه بالتأكيد استغنى عن كلِّ من يُعْتَقَد أنهم متحكمون بأموره، وبهذا الغنى يكون الخوف منهم وخشيتهم قد فارقا قلب الخليفة لمن هو مستحقُّ لهذا الخوف وهذه الخشية، فحاجتك إلى الله تنتفي معها أي حاجة أخرى لأيِّ شيءٍ آخر، قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِلَىٰ اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾ {257}، والعيش بهذا الغنى يُسَعِد المرء فلا يتذلل لأي كان من البشر مهما وصلت مكانته لكي ينال ما يريد، فتغلب كرامته وعزة نفسه كلَّ العقبات والصعوبات.

هو الأوّل في خبرته:

لا يملك الخبرة إلا من كان أولاً في كلِّ أمر، فالخالق هو الأوّل في الخلق لذلك تبع ذلك أن يكون خبيراً بصيراً بمن خلق، قال تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا﴾ {258}، ففي الآية السابقة توضيح وتوثيق لخبرة الخالق الدقيقة في عباده، إذ أنه لم يجعل رزقهم واحد لسبب وهو أنه بما أنّ الله هو الأوّل في خلق البشر فهو الخبير بنقاط ضعفهم، قال تعالى: ﴿الْمَالُ

---

256 الزمر 7.

257 آل عمران 109.

258 الإسراء 30.

وَالْبُنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا {259، فهو إذن على علم تام ومطلق بأن نقص المال تعذيب لمن أحبه وملكه، ولكن هذا الإنسان إذا كان ممن يحسنون فهم المصائب لما تعسرت حياته، لأن في فهم المصيبة فهم رسالة الخالق له بالاستقامة والثبات وهذا بجد ذاته أكبر مكافأة له من الله عز وجل.

ولا أحد يستطيع أن يعلم بخبرته البشرية أي الأمور التي يملكها أو التي يفتقدها فيها خير له أم شر، لذلك على المرء أن يترك أمره أوله وآخره للأول المطلق يتصرف كيفما يشاء به فهو الخبير بما ينفعنا وإن بدا لنا غير ذلك، قال تعالى: {قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ لَكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًا بَلْ كَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا} 260.

فكما أن خبرته مطلقة فمعناه أن كماله مطلق كما ذاته، فالخالق لم يكتسب شيئا ناقصا بل الكمال لديه في كل أمر وكل صفة وهذا لا يكون إلا لمن كان أولا في المقدمة دائما لا يسبقه أحد أبدا.

وخليفة الله لا بد أن تكون لديه عين خبيرة وقلب خبير بما هو نافع وبما هو ضار، فالصلاح للإنسان لا يأتي هدية من أحد بل هو نعمة من الله تعالى علينا إذا سعينا إليه والسعي لا بد أن يكون على دراية لا عن تبعية عمياء دون معرفة، قال تعالى: {قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ وَنَدْرَ مَا كَانُوا يَعْبُدُونَ فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ} 261، وقال تعالى أيضا: {قَالَتْ رُسُلُهُمْ أِنِّي إِلَهُ شَأْنٌ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَى

---

<sup>259</sup> الكهف 46.

<sup>260</sup> الفتح 11.

<sup>261</sup> الأعراف 70.

أَجَلٍ مُّسَمًّى قَالُوا إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا تُرِيدُونَ أَنْ تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ  
يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَاتُّونَا بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ {262، هذه التبعية التي تلغي العقل  
وتُسقط الروح في بئر الجهل والضلال.

هو الأول في العظمة:

وعظمته هذه لا تتجزأ ولا تنتهي بزمن أو بموطن، بل باقية أزلية  
كما الله تعالى، يرينا إياها في كل ما حولنا، قال تعالى: {نَحْنُ  
خَلَقْنَاكُمْ فَلَوْلَا تُصَدِّقُونَ أَفَرَأَيْتُمْ مَا كُفِّرُوا بِنِعْمَةِ رَبِّهِمْ وَلَكِن لَّحِقُوا  
بِغِيَابِهِمْ هُم مِّنْكُمْ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ عَلَىٰ أَنْ نُبَدِّلَ أَمْثَالَكُمْ  
وَنُنشِئَكُمْ فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَةَ الْأُولَىٰ فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ  
أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ أَأَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ  
حُطَامًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ إِنَّا لَمُعْرِمُونَ بَلْ نَحْنُ مُحْرِمُونَ أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ  
الَّذِي تَشْرَبُونَ أَأَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنزِلُونَ لَوْ نَشَاءُ  
لَجَعَلْنَاهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ أَأَنْتُمْ أَنْشَأْتُمُ  
شَجَرَتَهَا أَمْ نَحْنُ الْمُنشِئُونَ نَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذَكِّرَةً وَآمِنًا لِلْمُقِيمِينَ فَسَبِّحْ  
بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ {263، فالأول تعالى هو من بدأ الخلق بإبداع،  
فكان عظيما في خلقه، قال تعالى: {إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ  
وَاجْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْمُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ  
وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ  
فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَّاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ  
وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ {264، كذلك قوله تعالى: {الَّذِي  
أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ

262 إبراهيم 10.

263 الواقعة 57. 74.

264 البقرة 164.



سُلَالَةٍ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ  
وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ {265}.

وعظيما في رحمته، هذه الرحمة التي بدأت بخلقه للكون برحمته  
وللإنسان أيضا الذي هداه السبيل للفوز بالنعيم، قال تعالى: {وَعَدَ  
اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا  
وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ وِرْضَوَانٌ مِنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ  
الْعَظِيمُ} 266، وبما أنه الأول في فتح أبواب رحمته فهي رحمة مطلقة  
لمن استحقها وهي رحمة تزرع الأمل في قلب كل إنسان أراد أن يستند  
إلى المولى ويلتجأ إليه عز وجل، لذلك فهو المتحكم بما يوزعها كيفما  
يشاء بعلمه المطلق وعدله الكبير ولا أحد يستطيع أن يتدخل فيها،  
قال تعالى: {مَا يَفْتَحُ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكُ  
فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ} 267.

وعظيما في عقابه، هذا العقاب الذي لا يمكن أن يعاقب به  
أي إنسان مهما امتلك من سيادة أو سلطان، لأن الخالق هو أول  
من خلق العقاب لمن استحقه بذلك كيف يكون للمخلوق أن يصل  
إلى أن يكون له هذا العقاب في الأرض، وقد جعل الله العقاب  
الحقيقي والخالد يوم الحساب لأن الدنيا ليست دار بقاء ولا يستحق  
أن تكون كذلك، قال تعالى: {وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَا  
لَيْتَنِي لَمْ أُوتِ كِتَابِيهِ وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيهِ يَا لَيْتَنِي كَانَتِ الْقَاضِيَةَ مَا أَغْنَى  
عَنِّي مَالِيهِ هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيهِ خُدُوهُ فَعُلُوهُ ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلَّوهُ ثُمَّ فِي

---

265265 السجدة 7.

266 الصافات 76.

267 فاطر 3.

سَلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ إِنَّهُ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ  
الْعَظِيمِ {268}.

وعظيما في مكافأته للمتقين، ورحمته فمهما قدّم الإنسان من  
خير وحبّ لله لا يمكن أن يرقى إلى مكافأة الخالق له، لأنّه الأوّل في  
كرمه وحبّه ورحمته، ولذا فالأوّل دائما سابقا لغيره بيدئ للشيء، قال  
سبحانه وتعالى: {يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَى نُورُهُمْ بَيْنَ  
أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ بُشْرَاكُمُ الْيَوْمَ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ  
فِيهَا ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ} {269}، وكذلك قوله تعالى: {وَعَدَ اللَّهُ  
الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا  
وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ  
الْعَظِيمُ} {270}.

ولابدّ للخليفة أن يستحقّ أن يكون عبدا لهذا الرّب العظيم  
الذي بدأ الكون بعظمته وسينهيه بعظمته عزّ وجلّ.

هو الأوّل في سمعه وبصره:

فبصره وسمعه مطلقان لا حد زماني أو مكاني لهما، وهو الأوّل  
في سماع كلّ ما في الظاهر والباطن فلا تخفى عليه شيء في الأرض ولا  
في السماء، وهو الأوّل في إدراك كلّ شيء ببصره اللا محدود، وإحاطة  
كلّ شيء بسمعه المطلق، فكان له بذلك العلم المطلق بكلّ شيء  
بالسر والعلن وبما في الصدور وما تنطق الألسن، لا يخفى عليه شيء،  
قال تعالى: {قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ

---

268 الحاققة 25 .33.

269 الحديد 12.

270 التوبة 72.

وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ {271، وقوله تعالى كذلك: {أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةَ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ هُوَا عَنِ النَّجْوَى ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا هُوَا عَنْهُ وَيَتَنَجَّجُونَ بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَةِ الرَّسُولِ وَإِذَا جَاءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحْيِكَ بِهِ اللَّهُ وَيَقُولُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا اللَّهُ بِمَا نَقُولُ حَسْبُكُمْ جَهَنَّمُ يَصَلُّوْنَهَا فَبئسَ الْمَصِيرُ {272، وسمعه وبصره يشمل المسلم والكافر والمذنب والتائب بل يشمل كل ما خلق سبحانه وتعالى ولا يقتصر على البشر، بل إنه تعالى الأول في إحاطة الخلق بسمعه وبصره، وبالتالي علمه يشمل كل شيء، فلا يختلط ولا تختلف عليه الأصوات ولا تتشابه، ولا ينشغل سمع عن سمع فهو الأول المطلق في سمعه.

والخليفة من كان سمعه لله وفي الله وكذلك بصره، لا يجعلهما يقودانه للضلال والمعصية، فينتهي بسمعه عن كل ما هو مؤذٍ ومُفسِد، ويغض بصره عن ما حرم الله ونهى، فيكون بذلك بصره لله وسمعه لله، وطاعته لله رب العالمين، والسمع مرسال الإيمان إلى العقل والقلب فبه يدرك كل منهما الحق، قال تعالى: {أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ {273، فالسمع من الدعائم الأساسية للعلم الذي يصيب العقل فينيره وينأى عنه التخبط في ظلمات الضلال، فيكون سمعا لكتاب الله وسنة رسوله

271 المجادلة 1.

272 المجادلة 7، 8.

273 الحج 46.

الكريم عليه الصلّاة والسّلام، قال تعالى: {وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ} 274، وإذا أدرك الخليفة أن الله هو الأوّل في بصره تمسّك بمراقبة نفسه ومحاسبتها قبل أن يحاسب من الآخرين في الدار الدنيا أو أن يحاسبه الله يوم يقوم الحساب، ولهذا يمضي الخليفة في الدنيا خائفاً من أن يراه الأوّل في ما لا يجب أن يكون عليه، وإذا وصل الخليفة إلى أن يعيش متيقنا بأنه على مرأى من الخالق عزّ وجلّ فلا يستهين بذلك بل يداوم على مراقبة نفسه وإلزامها بما أمر الله سبحانه وتعالى، وأن يكون نظره موجهها إلى ما في ملكوت الله من إبداع وعظمة وقدرة، قال تعالى: {قُلِ انظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا تُعْجِبُ الْآيَاتِ وَالنُّذُرِ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ} 275، وقال سبحانه تعالى أيضاً: {وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ} 276.

الأوّل هو إجابته:

إجابته للدعوات تسبق حتى رجاء الإنسان بذلك أحياناً، وتأتي رحمة له ومنجاة من أي كرب، قال تعالى: {أَمْ مَنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ أَئِنَّهٗ مَعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ} 277، والخالق هو الأوّل في حبه لإجابة عباده الصالحين ودليل ذلك قرّبه منهم وسماع دعواتهم في أي حال وأي وقت، قال تعالى: {وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ} 278، فمطلوب من العبد الدّعاء بقلبٍ ملؤه الرجاء والضعف والحاجة للخالق عزّ وجلّ، فيهديه

274 الأعراف 204.

275 يونس 101.

276 الذاريات 20، 21.

277 النمل 62.

278 غافر 60.

هذا الخالق المجيب الذي لا يرد من لجأ إليه الإجابة، قال تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ {279}.

وهو الأوّل في زرع الأمل في قلوب اليائسين واخضرار القلب بمغفرة الخالق للذنوب، فهو المجيب لكلّ عائد عن ذنبه مستغفرّ خائف من بطشه عزّ وجلّ، قال تعالى: ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنُّوا فَأُولَئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ {280}.

وخليفة الله من كان مجيباً لدعوة الخير أينما كانت، فلا يبخل بما عنده من معرفة وعلم على من طلبه بل يجيبه بما أراد، وأن يكون من دعاة الأمر بالمعروف استجابة لقول الله تعالى في كتابه الكريم: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ {281}، وألا يكون مجيباً لدعوة الضلال والفساد يلهث وراء دعوة الملذات ومغريات الدنيا التي تفسد عليه آخرته.

يجب على الخليفة توحيد الخالق والإيمان بأن بدايته ومرجهه إلى الأوّل الذي لا سابق له، قال تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مَا مِنْ شَفِيعٍ إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ ذَلِكَمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا وَعَدَّ اللَّهُ حَقًّا إِنَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ بِالْقِسْطِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِنْ حَمِيمٍ

---

279 البقرة 168.

280 البقرة 160.

281 آل عمران 110.

وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ} 282، قال تعالى: {وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ  
الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ فِي السَّمَاوَاتِ  
وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ} 283.

وبما أنّ الله هو الأوّل الذي لا ثاني ولا حتى لاحق له عزّ وجلّ  
فاستحقّ بذلك التعظيم والإجلال، فمن حقّ الخالق علينا أن يكون  
نعظّمه ونقدّسه، لكننا نجد في بعض الأشخاص ابتعادا وتلاهي عن  
ذلك، ومن العجيب أنّنا نجدهم متوجهين بذلك الشعور لجهات  
أخرى لا تستطيع له شيئا إذا أراد الله بهم أمرا، فنجدهم يستشعرون  
بالرهبة الممزوج بالضعف والحاجة تجاه من يعلوهم مكانة في العمل أو  
في أي مجال آخر، بالرغم أنّه يجب أن يتذكروا أنّهم ليسوا بأوائل في أيّ  
شيء بل الله هو الأوّل بعطائه لهم هذه المراكز، فهو بذلك المستحقّ  
الأوّل لهذا الاحترام وهذه الرهبة والطاعة بالوحدانية والعبادة والقيام  
بأفعال الخير الحسان.

ومن آثار اسم الأوّل في حياة الخليفة ما يلي:

#### 1- أن يكون الأوّل في الخير:

فلا يرضى الخليفة أن يكون من أواخر الداعين والساعين إلى  
الخير، أو المانعين له، أو الغافلين عنه بالفساد والشرور التي تملأ قلوب  
الكثير من البشر المبتعدين عن حب ورضا الخالق، فتراه في مجال عمله  
محورا للمعروف وأساسا له لا يجتمع مع دعاة الفساد والردائل إلا كي  
يدعوهم للخير والتوبة لعلمهم يستجيبون، زارعا في كلّ أرض يحط بها

---

<sup>282</sup> يونس 3، 4.

<sup>283</sup> الروم 27..

أَمْلا للفلاح وبدورا للخير والرضا والصلاح، ولا يتأتى ذلك إلا بالتالي:

. أن يسعى للصلح في أي خصام فيكون بذلك الأول في السلام، كما حدثنا رسولنا الكريم - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - عَنْ عَطَاءِ بْنِ يَزِيدَ اللَّيْثِيِّ عَنْ أَبِي أَيُّوبَ الْأَنْصَارِيِّ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "لَا يَجِلُّ لِرَجُلٍ أَنْ يَهْجُرَ أَحَاهُ فَوْقَ ثَلَاثِ لَيَالٍ يَلْتَقِيَانِ فَيُعْرِضُ هَذَا وَيُعْرِضُ هَذَا وَخَيْرُهُمَا الَّذِي يَبْدَأُ بِالسَّلَامِ" 284، فالسلام لا يعني كلمة تخرج من الفم فقط بل هي ملامسة القلوب بالإحساس بحلاوة الرجوع للحب والصفاء، والمصافحة تعني ارتقاء الإنسانية فوق كل شيء آخر، وفيها دعوة لنشر الأمن والسلام بين كافة المسلمين ولو علم المسلمون معناه الحقيقي لما بخل مسلم بالسلام على آخر ولما خطر ببال أحدهم خاطر معيب في حق أخيه البادئ بالسلام، والخالق يجب أن يعم السلام بكل معانيه بين الخلق أجمعين.

وأن ينطق بالحق لأن الحق موطن الخير، فلا يصمت حينما يجب أن يتكلم بالحق فتضيع بذلك الحقوق وتعم الفوضى ويسير الناس في ظلمات جهل الحقوق والواجبات.

وعلينا أن نفرق بين السلام الذي يؤسس على المحبة والإرادة والحق والعدل، وبين الاستسلام الذي يؤسس على تنازلات تحت الضغوط غير المتوازنة.

وطوبى لمن كان سباقا للخير داعيا له، قال تعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ

---

284 صحيح البخاري ج 19، ص 22.

الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِينَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ {285، ولما كانت هذه مكافأة الداعي للخير ذلك مدعاة لأن ندرك مدى عمق أثره في المجتمع بصفة عامة وفي نفس الإنسان بصفة خاصة، فلا يمكن لداعي الخير إلا أن يبدأ بإصلاح وتهذيب نفسه فأسوأ شيء أن تدعو لمكرمة أو فضيلة أنت تفتقد إليها.

ومن شروط رضا الأول علينا واستجابة دعواتنا أن نكون من المسارعين في الخير، لا أن نكون ممن يتباطؤون في فعل الخير أو يغفلون عن أدائه.

2- أن يكون الأول في الالتزام والحرص على رضا الله تعالى وأن لا يكون من أواخر من يسعون إلى الله بكلِّ ود وحب، قال تعالى: {وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ أُولَئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ} {286، وكذلك قال تعالى: {فَاسْتَجِبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ} {287، فاستجابة دعوة المسلم مرهونة بإسراع العبد لفعل الخير والعمل عليه.

3- أن يكون أول الصابرين عند حلول المصائب، التي يكون بحلولها فيصلا لمن كان مؤمنا حقا ومن كان ضعيف الإيمان، فعند بداية نزول المصيبة نجد هناك من يحتسب أمره للخالق ويصبر، ونجد

<sup>285</sup> التوبة 71، 72.

<sup>286</sup> المؤمنون 60، 61.

<sup>287</sup> الأنبياء 90.



من لا يَحْتَمِلُ ذلك فيغيب عنه الصبر والتحمل فيسعى لطلب العون من غيره، كاللجوء لبعض الشيوخ والأولياء.

لكنَّ الخليفة هو من وكلَّ أمره لله في أوّل الأمر وآخره، قال تعالى: {وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاغِبُونَ} أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المُمْتَدُونَ} 288، فيما أن الدنيا كانت دار امتحان وبلاء للإنسان فهو معرّضٌ فيها لحلول مصيبة عليه في أي وقت أو حتى أن تتوالى المصائب وتتكاثر الهموم فوقه، ولكن في فهم حكمة المصيبة يكمن قوّة الإيمان وصبر الإنسان، وهي بمثابة مرسال من المولى عزّ وجلّ لهذا الإنسان، وبالمقابل فالإنسان يختار الرد الذي يناسبه للرد على هذا المرسال، والفائز منهما هو من كان رده على هذا المرسال كما جاء في الآية القرآنية السابقة، فكانت للمصيبة الأثر الإيجابي الفعّال في حياة المؤمن الصادق.

4- أن يكون أوّل المضحين بالنفس والمال في سبيل الله:

إذا تيقن الإنسان أنّه وما يملك لله فلن يضمن بشيء في سبيل الله تعالى، بل سيرخص عليه كلّ ما ملك في الحياة الدنيا ونفسه معها، قال تعالى: {وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُولَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدُ وَقَاتَلُوا وَكَلَّا وَعَدَّ اللَّهُ الْحُسْنَى وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ} 289، وكذلك قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ تُؤْمِنُونَ

288 البقرة 155، 157.

289 الحديد 10.

بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَبِجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذَلِكَ خَيْرٌ  
لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ يَغْفِرَ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ  
تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ وَأُخْرَى  
تُحِبُّوهَا نَصْرٌ مِنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ {290، فالإسراع  
بالجهاد بالنفس والمال يأتي بالبشرى والخير على المسلم، لأنه يستحق  
ذلك بمسارعته وراء رضا المولى وحبه.

#### 5- الإسراع في الاستغفار:

تحاصرنا الزلات والأخطاء أينما اتجهنا، فالإنسان بطبعه كثير  
الخطأ والزلات سواء كان في حق ربنا الكريم أو في حق أنفسنا أو في  
حق الآخرين، وعندها نكون بحاجة لمن يشد على أيدينا ويدلنا على  
طريق الصلاح، ولا أعظم ولا أفضل ولا أسبق من الله تعالى في ذلك،  
لكن علينا أن نسرع إليه أولاً بقلبٍ يحبه ويتمنى رضاه ومغفرته، بقلبٍ  
خاشع خائف من خالقه عز وجل، قال تعالى: {فَمَنْ تَابَ مِنْ بَعْدِ  
ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَحِيمٌ} {291، فعمر  
الإنسان محدود والذنب مفعور إن شاء الله إذا أسرع العبد في  
الاستغاثة بالله والاستغفار من ذنبه والرجاء بقبول توبته.

#### 6- أن يكون أول المستعدين للقاء الأول:

أكثر الناس يعيشون اللحظة الراهنة فقط مستمتعين بما تأخذهم  
النشوى بعيدا عن الواقع الذي يجب أن لا يتناسوه، فيتوه عن بالهم  
رحيلهم عنها في أية لحظة شاء رب العالمين ذلك، والخليفة هو من  
كان يعيش الحاضر بتعقل مع دمه بالمستقبل الذي سيرحل فيه

<sup>290</sup> الصف 10، 13.

<sup>291</sup> المائة 39.

بالتأكيد عن الدنيا فيُعد لهذه اللحظة كلّ ما يحتاجه من انضباط مع الخالق وحب له ومشاركة في مرضاته، لأنك العبد إذا أحب الله تعالى أعطاه الله الأمان بذلك من عذابه، قال تعالى: {الَّذِينَ آمَنُوا وَهُمْ يَقْتُرِبُونَ إِلَى اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ} 292، فقد استحقّ الأمان بإيمانه الصحيح، هذا الإيمان الذي ثبت في قلبه محبة المولى عزّ وجلّ ومحبة رسوله الكريم عليه الصلّاة والسّلام، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ: "أَنَّ أَعْرَابِيًّا قَالَ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَتَى السَّاعَةُ قَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَا أَعَدَدْتَ لَهَا قَالَ: حُبُّ اللَّهِ وَرَسُولِهِ قَالَ أَنْتَ مَعَ مَنْ أَحْبَبْتَ" 293.

فبذلك كلّه يكون خليفة الله على خلق طيب وهذا ما سعى إليه خالقنا العظيم من بعث رسولنا الكريم - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - الذي أوضح الصورة التي يجب أن يكون عليها المؤمنون حين قال: {وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ} 294، بما أن رسولنا الكريم قدوة لنا فلا بدّ أن نكون من أوائل المتصفيين بحسن الخلق.

والأخلاق قابلة للتغيير والتحسين فهي مرآة النفس البشرية، فلا يقوم الإصلاح المرجو في أرجاء الأرض إلا بتهديب هذه النفس وتقويمها وردعها، قال تعالى: {وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا} 295، فأما الإصلاح لها وبها وإما الفساد لها وبها، فالنفوس البشرية متباينة حسب استيعاب كلّ إنسان لرسالة خلقه في هذه الأرض، فمنهم من أحب حمل الأمانة بوعي كامل وفهم عميق لهذه

292 الأنعام 82.

293 صحيح مسلم ج 13، ص 91.

294 القلم 4.

295 الشمس 7، 8.

المسئولية، ومنهم من أتلف هذه الأمانة وأضاعها في أحضان الدنيا فضاع بضياح هذه الأمانة العظيمة.

وفي معنى اسم الأول رسالة لكل متجبر وظالم بأن هناك الأول في القوة والجبروت فهو الأعلى والأجل والأعظم، وهو المعيد لهم لحسابهم وعقابهم فيقفون بين يديه يوم الحساب ضعافا وجلين، ولنا في القرآن الكريم عبر وقصص تثبت ضعف الإنسان أمام قوة الله، فكم كانت قوة فرعون وتجبره إذ أنه جعل نفسه إلهًا بما وصل إليه من غرور وجبروت على الناس، قال تعالى: { أَذْهَبَ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى فَقُلْ هَلْ لَكَ إِلَى أَنْ تَزَكَّى وَأَهْدِيكَ إِلَى رَبِّكَ فَتَخْشَى فَأَرَاهُ الْكُفْرَى فَكَذَّبَ وَعَصَى ثُمَّ أَدْبَرَ يَسْعَى فَحَشَرَ فَنَادَى فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْأَخْزَةِ وَالْأُولَى إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِمَنْ يَخْشَى } 296، وكأنه ملك الأرض والخلق بقوته، أو كأنه الأول في قدرته وعظمته! لكن الله تعالى رد عليه جحوده وكفره وأظهر له ولمن حوله مدى ضعف الإنسان أمام عظمة الأول، ليكون عبرة للبشرية جمعاء، قال تعالى: { وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْيًا وَعَدُوًّا حَتَّى إِذَا أَذْرَكَهُ الْعَرَقُ قَالَ آمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي آمَنْتُ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ الْآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلَقَ آيَةً وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ عَنْ آيَاتِنَا لَعَافِلُونَ } 297، فقد خلق الإنسان ضعيفا أمام الخالق عز وجل محتاجا لمن هو أقوى منه، يستند إليه دائما ليشد أزره، ولو أنه خلق قويا لاستغنى بقوته وشقي ولكن الله تعالى خلقنا ضعفاء ليرحمنا من انتقامه، ويا سبحان الله حتى ضعف الإنسان نعمة

<sup>296</sup> النازعات 16 . 26.

<sup>297</sup> يونس 90 . 92.

من نعم الله تعالى لأنها تجعلنا نفتقر ونعود إلى الأول وهنا تكمن السعادة الحقيقية.

والإنسان قوّة إذا آمن بالقوي المطلق واستند على قوته في الكلمة والفعل والأمر والنهي، وفي الإدراك والتدبر وفي التفكير والتذكر حتى يتعظ بكلّ معطيات القوّة.

والخليفة هو من أوائل من وصلوا إلى الخالق مطمئنين به راضين بحكمه، وهو من كان شاغلا نفسه بالحق فلم تشغله نفسه بالباطل، قال تعالى: {الَّذِينَ آمَنُوا وَمَ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ} {298}، فما أكثر ما نجد أنفسنا تائهين في الحياة الدنيا لاهئين خلفها لا ندرك مدى الخسارة التي تنزل بنا.

وكأنّ اسم الأول في حقّ الله تعالى يحمل في معناه رسائل للعباد جميعا ويخاطب الإنسان قائلا: إليك يا عبدي فتدبر هذه الرسائل:

#### الرسالة الأولى:

إنّ مرحلة الطفولة رسالة لمرحلة الشباب، والشباب رسالة لمرحلة الكبر والعجز، إذ أن أول القوّة ضعف وبداية الضعف قوّة، قال تعالى: {اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ} {299}، والله حكمة في ذلك ليعيش الإنسان جميع المراحل والأعمار بمختلف الشعور والأحاسيس التي من شأنها أن تتدرب ذاته على التواضع عند امتلاك القوّة والصبر عند الضعف، وبعلمه المطلق عزّ وجلّ أدرك أن الإنسان يحتاج إلى رسالة تلفت نظره إلى أن الحياة

---

<sup>298</sup> الأنعام 82.

<sup>299</sup> الروم 54.

لا تدوم، فالشباب حيوية ونشاط وحب للحياة فإذا دام للإنسان وصل به إلى التكبر والغرور وتناسى آخرته بحماس شبابه، وفورة القوة وتأججها في نفس الشباب ستلهي البعض عن عجزهم عن فهم رسالة الشباب تلك فلا يقرؤون إلا العنوان دون النظر في محتوى الرسالة الإلهية الموجهة لهم، لأن الخالق أراد منا أن نكون قوة للحق والعدل والمحبة وأن نتوجه إلى الخالق شاكرين وحامدين هذه النعمة التي أنعمها علينا، فلا تذهب قوانا سدى في الشرور والمفاسد، بل يجب أن نطوعها من أجل الخير وإعمار الأرض التي هي أمانة لدينا تحملناها منذ بدء الخليقة إلى يوم الحساب فلا مفر من المحاسبة على التفريط فيها وإهمالها بالفساد، وفي الشباب قوة تدعم هذه الأمانة وتعين على حملها والمحافظة عليها بالدعوة للحق والعدل والمحبة والسلام، فالدنيا لا تقوم ولا تصلح إلا بهذه الهمم الجبارة التي لا تخشى إلا خالقها عز وجلّ وباستقامة الشباب تستقيم الحياة وتصلح، وإذا تم ذلك تحققت رسالة الشباب على الأرض وكانت عوناً للحق لا عوناً على الحق كما يحدث في بعض الحالات، إذ يكون موعد الإنسان مع الشباب هو موعد للتكبر واللهو والفسوق، فتضيع معه الرسالة ويضيع بضياعها هو، وهناك حالات أخرى يكون الموعد بدخول سن الشباب دعة للاستقامة وهؤلاء هم من يحسنون قراءة الرسائل ويدركون المعنى الجوهرى لها، لا من يتفاخر بقتل العضلات وتوزيع الشرور بقوته وغروره الفاسد الذي يجلب الدمار والهلاك لنفسه ولمن حوله، لذلك فالشيخوخة تأتي ختماً نهائياً للشباب وذروة الحماس، فيكون الهدوء بعد العاصفة والتأمل بعد الضجيج فيسكن الإنسان لذاته ويرجع إليها محاسباً أحياناً ومعاتباً أخرى، حينها يكون قد وعى جزءاً من الرسالة وبدأ بالندم على ما فات إذا كان ممن يتأججون بنار الطيش والرغبة في الاستمتاع بالحياة بالشكل الخاطيء.

## الرّسالة الثانية:

العقاب رسالة لكلّ ضعيف النفس أمام الشهوات ومغريات الدنيا، فبداية الذنب قد يكون خطأ صغيراً ثم يبدأ الإنسان تصاعدياً تجاه الأكبر من الذنوب، ورسالة الخالق عزّ وجلّ لكلّ مذنب هي العقوبة كي يرتدع ويتوب ويقلع عما كان فيه من أذى لنفسه ولمن حوله وهي في جوهرها رسالة رحمة، إذ أن إحلال العقوبة من شأنها أن تحد من اندفاع الإنسان اللاعقلاني نحو الجريمة والمعصية وفي هذا الحد رحمة للإنسان، قال تعالى: {وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ} 300، فالبشر بطبيعتهم يميلون نحو السّلام وحب الحياة والعقوبة إذا تم تطبيقها حقاً فإنها تكفل لهم الحياة الكريمة التي يتمنوها، لكن في بعض الأحوال يتغلب الشيطان بوسواسه على طبيعة الإنسان التي خلقه الله تعالى عليها وهي ميّلة للسّلام والحقّ، فيتغلب الشر بذلك على الخير في نفسه، ويصبح عبداً للشر والضلال اللذان يقودانه لخسارة نفسه ورضا ربّه عليه، وبذلك يخسر الدنيا والآخرة، فتأتي العقوبة كرادع له ورسالة تحمل عقاباً قد يكون أحياناً روحياً قبل أن يكون عقاباً جسدياً، وإذا طُبقت العقوبة بالشكل الصحيح وصلت الرّسالة في الوقت الصحيح وبالشكل الصحيح، فهذه الرّسالة تنطوي على مضمون حب الخالق للسّلام والعدل، ومن كان محباً لهما فقد أحبه الله لذلك، ولا بدّ أن يكون أول طريق الإصلاح هو عدم التسبب والتراخي في العقوبات، بل بتنفيذها بالشكل المحدد لا زيادة ولا نقصان في حدود تقوى الله تعالى.

## الرّسالة الثالثة:

---

<sup>300</sup> البقرة 179.

يكفي أن يتأمل الإنسان في كيفية حياة نبتة صغيرة قد نمت بين الجبال الشاهقة والجو القاسي الذي قد لا يحتمله العديد من الأشجار الضخمة ليستوعب رسالة الخالق له بالدعوة بالتعايش فيما بيننا باختلاف ألواننا وأجناسنا ومراكزنا، فلا يمتنع غني في التعامل مع من هو أقل منه غنى ولا يرفض صاحب سلطة أو مركز مرموق أن يناسب إنسان عادي المركز أو متواضع المكانة لأنّ الفاصل الوحيد بين البشر في القانون الإلهي هو تقوى واستقامة الإنسان بغض النظر عن جنسه أو لونه أو شكله، قال تعالى: { يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ }<sup>301</sup>، إذ أن الإنسان من الممكن أن يقرأ الدعوة للتعارف والمحبة من هذه النبتة البسيطة التي قد تنمو وتكبر وتذبل دون أن تشير لأي معنى إذا لم ينصت الإنسان لرسائل الطبيعة التي ترسلها لنا بأمرٍ من الخالق عزّ وجلّ.

وأروع ما يكون إذا خاضت البشرية هذه التجربة التي لا خسران فيها، إذ لا خسارة في تجربة الحب الجماعي والأخوة والصدقة أن تكون بديلا للنزاع والضعينة بين البشر.

فأول هذه الرسالة هي الدعوة للمحبة وآخرها حب التعايش جنبا لجنب مع بعضنا البعض فيسعد الصحيح العليل بزيارته والغني الفقير بمساعدته والشاب الشيخ بمساندته وغيرها من صور التعايش التي تدعو لها هذه الرسالة الإلهية.

الرسالة الرابعة:

---

<sup>301</sup> الحجرات 13.



الموت رسالة للحياة، والحياة رسالة للموت، فكلّ منهما بداية للآخر فلا تبدأ كلّ منها إلا بالآخر، قال تعالى: { كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ } 302، فرسالة الحياة تبدأ بإحياء الإنسان من شيء ميت، وبقدرة الخالق عزّ وجلّ تُبثّ فيه الروح وتدب فيه الحياة، ويولد هذا الإنسان وينمو ويكبر متناسبا أصل حياته وبداية خلقه لاهيا في الدنيا لاهثا خلف أيامها، ثم يأتي الموت لتبدأ حياة جديدة مختلفة عما كان فيها، حياته هذه تبدأ للحساب، قال تعالى: { اللَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ } 303، وقال تعالى أيضا: { مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ } 304، وهذه الرّسالة هي أصل كلّ الرّسالات الأخرى، فالله هو الأوّل في الإحياء والإماتة والحساب، وهو بذلك يرسل للإنسان بأن يكون أولا في محاسبة نفسه في الحياة، بل بمحاسبة نفسه كلّ ليلة على ما قدم في نهاره من خير أو شر، وأن يكون ميزانا لأفعاله وأقواله، فأوّل النّاس في الحكم على نفسه هو الإنسان نفسه لأنه غير قادر على خداع ذاته وغشها الأمر الذي قد يستعمله مع من حوله.

وأوّل كلمات هذه الرّسالة الاستقامة في الحياة طريق النجاح، وأوّل درجة يعتليها الإنسان للصعود إلى الآدمية هي تحقّق رسالة الخالق لنا في الأرض على الشكلّ الصحيح، فالحياة لا تدوم لكنك تختار فيها أي المكانين ستقيم إقامة أبدية إما الجتّة وإما النار، كلّ إنسان حسب ما سبق أن قدّم في حياته، حتى الرّسل والأنبياء لا يمكن أن تكون حياتهم أبدية على الأرض بل كلّ منهم وله أجل قد

302 البقرة 28.

303 الروم 11.

304 الجاثية 15.

أتاه لأنّ الخلد للأوّل المطلق والآخر المطلق، قال تعالى: {وَمَا جَعَلْنَا لِشَرٍّ مِنْ قَبْلِكَ خُلْدًا أَفْأَنْ مِتَّ فَهُمْ الْخَالِدُونَ كُلِّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَنَبَلُّوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْحَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ} 305.

#### الرسالة الخامسة:

أول الشرور هو العصيان والغرور، قال تعالى: {إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ طِينٍ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ إِلَّا إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِإَيْدِيٍّ اسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ قَالَ فَاحْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلَى يَوْمِ الدِّينِ قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمٍ يُبْعَثُونَ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ قَالَ فِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمْ الْمُخْلِصِينَ} 306، فما من مفسدة أو ضلال إلا وكان الشيطان وراءها، فأول وأصل الشرور والضلال هو العصيان والتكبر على أوامر الخالق عزّ وجلّ، فما من عاصي ولا متكبر إلا وكان خاسرا لأنّه بخسران رضا وحب الله يكون قد خسر كلّ شيء آخر، ومن عصيان وتكبر الشيطان وحقّده تولدت الوسوسات التي تؤدّي بالناس إلى طريق الضلال والهلاك، وتنشر في الأرض الشرور والمفاسد، التي نهانا الله عزّ وجلّ عنها، والتي تبيح للإنسان أن يكون تابعا للشيطان، الذي يأمر التابع له بالفحشاء والمنكر فيضله عن طريق الحقّ الذي أراده الله أن يكون عليه: قال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُواتِ الشَّيْطَانِ وَمَنْ يَتَّبِعْ خُطُواتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ

<sup>305</sup> الأنبياء 34، 35.

<sup>306</sup> ص 73 . 81.

وَأَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ {307، فبذلك كان الشيطان أول ساعٍ للشر والضلال بعصيانه لأوامر الله تعالى، وتكبره عن السجود للإنسان بالتالي تولدت الشرور الأخرى كالطمع والبخل والكذب والنفاق وغيرها من وسوساته للإنسان بغرض تضليل بني آدم عن طريق الحق والخير، فبداية بذرة الشر أنبت العديد من أصناف الشرور التي استولت على بعض النفوس البشرية الضعيفة، بالرغم أن الأول بالإطلاق كان سابقا بتنبيه بني آدم لهذا الشر وتحذيره له من الابتعاد عنه، قال تعالى: {أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ وَأَنْ اعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنْكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا أَفَلَمْ تَكُونُوا تَعْقِلُونَ} {308، وكذلك قال تعالى: {وَيَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ فَوَسَّوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِنْ سَوْآتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَكَتَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ فَدَلَّاهُمَا بِغُرُورٍ فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنهَكُمَا عَنْ تِلْكَمَا الشَّجَرَةِ وَأَقُلْ لَكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُبِينٌ} {309، فالله كان أولا في توضيح الخير من الشر للإنسان، فكان أولا بهدايته له ورحمته به بتعليمه التمييز بين الحق والباطل وأولا بإهدائه العقل للتمييز قبل كل شيء آخر، فكان خيره وكرمه وحكمته سابقة لنزعة الشر التي

<sup>307</sup> النور 21.

<sup>308</sup> يس 60 . 62.

<sup>309</sup> الأعراف 19 . 22.

دعا إليه الشيطان للانتقام من البشر بإغوائهم، لذلك فقد انقسم  
البشر إلى قسمين، أولهما:

تابعٌ للأول المطلق ومطيعٌ له في أوامره وهذا هو الناجي والفائز  
بسباقه لحب الأول وتغلبه على وسوسة الشيطان، فيكون بذلك  
الخليفة الذي أَرَادَهُ الخالق عزَّ وجلَّ في الأرض حافظًا لها راعيًا حقَّها.

وثانيهما:

تابعٌ للشيطان يُملي عليه ما يؤدِّي به للهلاك والخسران، مبعدا  
عن حب المولى عزَّ وجلَّ لاهثًا وراء ملذات ومفاسد هي سبب  
هلاكه، قال تعالى: {فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ إِنَّهُمْ  
اتَّخَذُوا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنََّّهُمْ مُهْتَدُونَ} 310.

فالفائز من الفريقين هو الخليفة الذي وجد سعادته بالقرب من  
الأول المطلق، بعد أن بحث عنها وسعى إليها، فكان الله الأول في  
رحمته به وهدايته له وحفظه من كل الشرور، ومكافأته بجنة الخلد التي  
وعد بها خلفائه الذين سعوا في الأرض بالخير والصلاح، منفيين إرادة  
الخالق عزَّ وجلَّ، فكان الخالق عند وعده لهم، قال تعالى: {وَهُوَ  
الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ  
لِيَبْلُوكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ} 311،  
وأيضًا قال تعالى: {أَمْ مَنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ  
وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ أَئِنَّةَ مَعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ} 312.

---

<sup>310</sup> الأعراف 30.

<sup>311</sup> الأنعام 165.

<sup>312</sup> النمل 62.

فجميع رسائل الأوّل عزّ وجلّ يدركها خلفائه الذين رضا الله عنهم ورضوا عنه، فأتم الله عليهم نعمته، فأدركوا الحياة كما أرادهم المولى ولم تدركهم الحياة، فكان سمعهم من سمع الأوّل، وبصرهم ورحمتهم كذلك، وما يزال خلفاء الأوّل يتسابقون على الفوز بحب الله ونيل رضاه وما يزالون يتوافدون لرحاب الله يختارون لذلك أقصر الطرق وهي حبه وحب رسوله الكريم - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فهذا الحبّ هو سبيل الاستقامة، والاستقامة سبيل النجاح، والنجاح هو الفوز بشرف خلافة الأرض كما أرادنا الأوّل عزّ وجلّ.

والخليفة الحقّ من كان أولا في فتح أبواب الخير وأول في إغلاق أبواب الشر بما استطاع، فيقذف الأوّل المطلق في قلبه نور البصيرة الذي به يدرك الخليفة حب الخالق وأمانه.

الأوّل هو الآخر وهو البداية والنهاية، ولأنّه البداية والنهاية فهو الذي لم يكن من بعده آخر، وهو الباقي الدائم الذي يوحد ولا يتعدد، ولأنّه الباقي فكلّ شيء هالك إلا وجهه، ولأنّ الحياة منتهية إثباتا، فإن ذلك يعنى أن كلّ مخلوقاتها منتهية، وبما أن كلّ مخلوقاتها منتهية، والمخلوقات كم عددي، إذن كلّ كم في الدنيا مُنتهٍ حتى حبات الرمل، وقطرات الماء ورذاذه.

إنّ الحياة الدنيا التي نود التعرف عليها والتطور فيها لن تكون باقية إلى ما لانهاية، بل إنها منتهية. ولأننا نعرف إثباتا أن للحياة نهاية فلا نتفق مع الذين يقولون غير ذلك. فلا تحليل إلا لوجود، ولا تحليل إلا بوجود، ولكلّ شيء بداية ونهاية، وهكذا يستمر الوجود، والتفكير، والتغيير، والتحليل إلى النهاية، وأنّ الذين يعتقدون في وجود اللامتناهي رياضيا، هم كمن يلهث وراء السراب من أجل أن يروى ظمأه. ولهذا يحدث الاختلاف مع البعض الذين يحللون القضايا

والمسائل الرياضية، وهم معتقدون في وجود اللامتناهي، ومن أجل ذلك أطرح السؤال الآتي:

هل اللامتناهي موجود.

قد تكون إجابتهم بنعم، وقد تكون بلا، فإذا كانت الإجابة بنعم. فإنهم فتحوا لنا المجال بأن نطالبهم بإثباته، وإذا أثبتوه، أثبتوا أن له بداية ونهاية، وإذا كانت له بداية ونهاية، فإنه أصبح موجود (المتناهي)، ولم يكن اللامتناهي، أما إذا كانت الإجابة بلا، إذن نفوا وجود اللامتناهي. وبما أنه أصبح غير موجود، إذن لا حجة لهم علينا، ولنا عليهم حجة.

والمنطق العلمي وخاصة الرياضي منه، لا يعترف بمسلمات إلا بعد إثبات. وعليه إذا اعتبروا إن اللامتناهي مسلمات، فإنهم اعترفوا بأنه مثبت، وإذا كان مثبتا كان موجودا، وبما أنه موجود، إذن له بداية ونهاية، وإذا كانت له بداية ونهاية، فإنه لم يكن اللامتناهي. يقول الله تعالى في سورة الحديد: (هو الأوّل والآخر) سبحانه وتعالى أنّه البداية التي لم يكن من قبلها شيء، والآخر بلا نهاية الذي جعل للنهار بداية ونهاية، وللليل بداية ونهاية، وللعمر بداية ونهاية، وللتفكير بداية ونهاية، ولكلّ الوجود بداية ونهاية. وعليه إذا كان لكلّ شيء بداية ونهاية، والأعداد شيء، إذن للأعداد بداية ونهاية. وإذا سلمنا بأن لكلّ بداية نهاية، وان للأعداد بداية، إذن لا بدّ وان تكون لها نهاية، ولكن هل تستطيع قدراتنا العقلية المحدودة (التي لها بداية ونهاية) أن تكتشف هذه النهاية، أو لا تكتشفها. هذه مسألة تتعلق بمدى استخدامنا لقدراتنا العقلية، التي تتطور وتتغير عبر الزمن إلى النهاية، فما نعتبره استحالة اليوم، قد لا يكون كذلك غدا. ولذلك لا مكانة في العلم للأحكام المطلقة مسبقا.

اللامتناهي رياضيا لا وجود له إلا افتراضا، وبما أنه افتراض، إذن لم يكن مثبتا بعد، فالافتراضات العلمية التي تصاغ بهدف دراسة المواضيع ليست يقينية. بل أنها احتمالية شكية، قد تثبتتها الدراسة وقد تبطلها. وإذا كان لكل كم نتيجة محددة ودقيقة، على سبيل المثال: إذا كان أي كم هو نتيجة حاصل الجمع، أو الطرح، أو القسمة، أو الضرب، وسواء في الترتيب أو التكميب، أو غيرها من المسائل الحسابية، وبما أنه بالإمكان الحصول على هذه النتيجة كحاصل للعمليات الحسابية السابقة، إذن لا مكان بينها إلى اللامتناهي إلا افتراضا. وبما أنه كذلك، إذن لا مصادق لوجوده. وإلا هل هناك كم حسابي يقبل القسمة والجمع والطرح، ولم تكن له نتيجة (نهاية). لا وجود لذلك. ولهذا اللامتناهي على قيد الوجود لا وجود له إلا افتراضا.

إن افتراض وجود اللامتناهي، مثل الافتراض الذي يقول (يظل المستقيم مستقيما مهما امتد). هذا الافتراض لا مصادق له، لأن المستقيم إذا امتد إلى مهما، لا يمكن أن يكون مستقيما، بل يكون دائرة وهكذا حال أي مستقيم يبتدىء بنقطة وينتهي بنقطة.

يقول أرسطو يجب التمييز بين اللامتناهي بالقوة. وبين اللامتناهي بالفعل، وهو يقر بوجود الأول، وينكر وجود الثاني. وهذا يعني عدم اعترافه بوجود اللامتناهي إلا نظريا، أما واقعا فلا وجود له. وهذا حال الفكر اليوناني عامة الذي ينظر إلى العالم على أنه متناه. وعليه أتساءل: كيف يؤمن أرسطو بوجود اللامتناهي بالقوة، ولا يؤمن بوجود اللامتناهي بالفعل. إذا كان المتناهي موجودا بالقوة يكون بالضرورة موجودا بالفعل. وإذا لم يكن موجودا بالفعل، فلا وجود له بالقوة. وإلا هل يحق لنا أن نقول إن الصلاة تنهى عن الفحشاء

والمنكر وهي في حقيقتها من الناحية الفعلية لا تنهى عن الفحشاء والمنكر. إذا كانت كذلك فإنها لم تكن الصلّاة. الصلّاة هي التي تنهى عن ذلك بالقوّة والفعل. وإذا وجدنا مسلماً يصلي ولم ينته عن ارتكاب الفواحش والمنكرات، فالعيب هنا لم يكن في الصلّاة، بل العيب في المصلي الذي لم يدخل الإيمان قلبه بعد. ولما يدخل الإيمان قلبه سينتهي عن ارتكاب كلّ ذلك، وتكون الصلّاة في هذه الحالة حقيقة تنهى عن الفحشاء والمنكر والبغي.

وفق المنطق العلمي لكلّ بداية نهاية، والذي لا بداية له ولا نهاية لا يقبل القسمة ولا الجمع ولا الطرح بنتائج دقيقة ومحددة، وليس له منتصف أو مركز يحدد نزوعه وتشتته ممّا يجعله معدوم التعامل الحسابي.

ونورد القضايا المنطقية الآتية عن المتناهي واللامتناهي:

القضية الأولى:

كلّ ما له بداية له نهاية.

للمتناهي بداية.

إذن للمتناهي نهاية.

هذه القضية منطقية وفقاً للمسلمات الحسابية التي تم التعرف

عليها والبرهنة بها.

القضية الثانية:

كلّ ما له نهاية له بداية.

اللامتناهي ليست له نهاية.



إذن اللامتناهي ليست له بداية.

هذه قضية منطقية صادقة. وذلك لفقدان اللامتناهي معطيات

الإثبات، وهي البداية والنهاية.

القضية الثالثة:

كلّ ما له بداية ونهاية يقبل التعامل الحسابي.

الامتناهي له بداية ونهاية.

إذن الامتناهي يقبل التعامل الحسابي.

القضية الرابعة:

كلّ ما له بداية ونهاية يقبل التعامل الحسابي

اللامتناهي ليست له بداية ونهاية

إذن اللامتناهي لا يقبل التعامل الحسابي.

هذه قضية صادقة إثباتا.

وبناء على هذه القواعد هل للزمان بداية ونهاية. نعم، للزمان بداية ونهاية، حتى وأن لم نعرف تاريخ بدايته ونهايته. لأننا نعرف من الزمان ما هو ماض، وما هو حاضر، وما هو مستقبل. وهذا يدل على قبول الزمان للقسمة والجمع والطرح. يقول الله تعالى في سورة يونس عليه الصلّاة والسلام: {وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِّنَ النَّهَارِ} 313. وبما أنّ النهار جزء من اليوم، والساعة جزء من النهار، ألا يكون النهار واليوم جزءان من الزمان. ولأنّ الإجابة بنعم

---

313 يونس 45.

فتكون البرهنة أيضا بنعم، إن للزمان بداية ونهاية، ونحن الذين لم  
نتمكن من معرفتهما. لأننا لم نؤت من العلم إلا قليلا. وفي هذا الأمر  
أقول كلّ متعدد متناهي وكلّ ما ينتج عن القابل للتعدد متناهي إلا  
الواحد الذي لا يتعدد باعتباره هو الأوّل والآخر.

وعليه يكون الزمان متناه مصداقا لقوله تعالى في سورة  
الأعراف: {يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي  
لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ ثَقُلَتْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا  
بِعَنَّةٍ يُسْأَلُونَكَ عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ  
النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ} 314. ربّي، الأوّل والآخر. وهو الواحد الذي لا  
يتعدد، وبالتالي لا يقع في شك الفلاسفة والرياضيين المتجادلين على  
النهاية واللانهاية. ولهذا قدرات الله لا تحصى ولا تعد بالقدرات  
البشرية المخلوقة، ولا هي موضع مقارنة، ولا يمكن أن تدخل في  
حساباتنا المتناهية بقصورها أمام قدرته. وهكذا دائما المخلوق أقل  
قدرة من خالقه.

وبناء على ذلك هل للأعداد بداية ونهاية. الأعداد مهما كبرت  
فإنها تبتدئ بواحد وتنتهي بواحد، إذن الواحد هو البداية، والنهاية،  
وإذا لم نصل بقدراتنا العقلية إلى معرفة وجود النهاية العددية، فإن  
ذلك لا يعنى إثبات عدم وجودها، بل انه دليل على قصور قدراتنا  
العقلية، والفكرية، التي لم يستخدم منها إلا القليل جدا من سعتها  
الإدراكية، والاستيعابية، وهذا يتطلب منا عدم اليأس، ويدفعنا إلى  
البحث الجاد، والتقصي الدقيق، من أجل التعرف على نهاية الأعداد،  
كما تعرّفنا على بدايتها، ولذلك لا نئس مثل الذين {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ  
آمَنُوا لَا تَتَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ قَدْ يَمْسُوا مِنَ الْآخِرَةِ كَمَا يَمْسُ

---

314 الأعراف 187.

الكُفَّارُ مِنْ أَصْحَابِ الْقُبُورِ}315. والآخرة هي التي تكتمل بها البداية، وتنتهي، كما تبتدئ الأعداد (أي أعداد) بواحد، وتنتهي به، ممّا يجعل الواحد ككلّ، أو كجزء هو البداية والنهاية.

وما لانهائية، هو الذي لا يشاهد، ولا يحس به، وهو احتمال، لم يخضع للإثبات، وإذا عرفناه أصبح نهاية، والأعداد سواء بالسلب، أو بالإيجاب تستمر في تضاعف إلى النهاية (نهاية الشيء المحدود، أو نهاية الذي يقوم بفعل العد) ولا يبقى إلا الأوّل الواحد الأحد.

ومثالا على ذلك: إذا اتجه أحد المتخصصين في دراسة الرياضيات من نقطة معينة على الأرض في اتجاهها مستقيم، فإنه بالضرورة يصل إلى النهاية، لأن لكلّ بداية نهاية، ولكنه لو انحرف قليلا، أو كثيرا عن خط سيره، فإنه يجد نفسه مستمرا في اتجاهه، دون أن يمر بنقطة النهاية، وكأن الأرض ليست دائرية، وهكذا في كلّ دورة على الأرض إذا لم يصل إلى نقطة البداية التي وضعها أو أنطلق منها، وفي هذه الحالة قد يحكم على الأرض بما لانهائية، وهو يعرف مسبقا أنها منتهية.

وعليه أتساءل: هل في دراستنا للأشياء والمواضيع في دائرتنا، أو فلنكنها المنتهى، تكون غير منتهية. نحن نعرف أن كلّ شيء ندرسه، أو خاضعا للدراسة، لا يخرج عن حيز من الزمان، والمكان، وهو أيضا لا يخرج عن حيز تفكيرنا وقدراتنا العقلية. إذن كلّ ما ندرسه ونبحث فيه، هو في إطار محدود، مع فارق حدوده مع غيره، إذا قورن به، وبما أن ما ندرسه في إطار محدود، ألا يكون لم ندرسه حدود ونهايات. إذا قمنا بإحصاء عدد سكان الصين على سبيل المثال، فمهما كان

---

315 الممتحنة 13.

عددهم فإن له نهاية، لأن المكان الذي استهدفناه محدد، إذن مسبقاً نعرف أن لعدد سكان الصين نهاية، مع أننا لا نعرف عددهم بعد. وإذا قمنا بتعداد سكان العالم، وحيواناته، وطيوره، وأسمائه، ونباتاته، وحتى حبات رمل، ألا نصل إلى النهاية. بالتأكيد سنصل، لأن كل هذه الكائنات في رقعة جغرافية محددة بالكرة الأرضية المنتهية، إذن لا بد وأن تكون لها بداية ونهاية، مع العلم أن بعض الذين سيشاركون في التعداد قد ينتهوا قبل أن يعرفوا النهاية، وإذا خرجنا بقدراتنا العقلية إلى التعرف على ما هو خارج الأرض، فإننا سنعرف بقدر ما تستوعبه عقولنا وتفكر فيه، ولا نستوعب ولا نتعرف على ما هو خارج عنها. وبما أن لكل شيء بداية. إذن لا بد وأن تكون له نهاية. وبما أن التطور شيء (سواء كان مادياً أو مجرداً) إذن لا بد وأن تكون له بداية ونهاية. وعليه لا وجود في الحياة الدنيا إلى ملامنها، بل الوجود إلى النهاية، وهذا يستوجب التعرف على شيئين:

#### الأول المتعرف عليه بالمتعرف به:

عندما يكون الموضوع معرفة سابقة سواء كانت هذه المعرفة مادية أو فكرية، فيكون هو المتعرف عليه، ويكون هذا الموضوع هو المعرفة التي يتم استيعابها بالعقل وهو المتعرف به. فالمتعرف عليه لو لم يكن له بداية ونهاية ما عرفناه معرفة علمية، ولهذا عندما تتوفر المعلومات عن الموضوع، يمكن التعرف عليه بالعقل باعتباره المتعرف به.

#### الثاني: غير المتعرف عليه بالمتعرف به:

عندما يتمكن العقل من البحث والتقصي العلمي يمكن أن يتعرف على الجديد بالمتعرف به (بالعقل)، في حدود القدرات

والاستعدادات كبدائية ونهاية أدراكية. وغير المتعرف عليه هو الذي لم يُكتشف بعد حتى يعتبر معرفة علمية ولهذا يُعتبر بالنسبة للمدركات العقلية مجهولا، والعقل معروف كوسيلة للتعرف به، وعندما يتعرف العقل (المتعرف به) على الجديد يصبح غير المتعرف عليه معروفا.

إن المعرفة الممكنة هي المعرفة المتاحة، أما المعرفة غير الممكنة هي المعرفة غير المتاحة. مثل معرفة اليوم الآخر في الحياة الدنيا، هي معرفة نظرية فقط، ولا يدركه إلا المؤمن الذي يدرك الله (الأول والآخر). وفي الوقت ذاته لا يعرفه عمليا لأنه غير قابل للمشاهدة والملاحظة، وهذه معرفة غير متاحة. وهذه التي أطلقنا عليها (غير المتعرف عليه بالمتعرف به). وكلّ معلومة لم يتم التعرف عليها بعد وهي في الإمكان تندرج تحت (المتعرف عليه بالمتعرف به) إلى النهاية. وكلّ معلومة يعجز الإنسان عن معرفتها تندرج تحت (غير المتعرف عليه بالمتعرف به)، وذلك لقصور العقل (المتعرف به) عن إدراكها، وهذه نهاية للفكر الإنساني وذلك لمحدودية قدراته ومدركاته. كلّ شيء عرفناه يكون هو المتعرف عليه. وكلّ شيء هو موجود ولم نتمكن من التعرف عليه سواء في الأرض أو في السماوات أو ما بينها، يكون غير المتعرف عليه.

عندما يتأمل المفكر في المجرد يمكن أن يتعرف على الجديد. القوانين الفيزيائية التي أصبحت بين أيدينا في المعامل والمختبرات هذه نُقلت من مجرد إلى مجرّب (خاضع للتجريب) في مثل هذه الحالة أنتقل العقل من غير المتعرف عليه إلى المعرفة. أما إذا انتقل العقل من المتعرف عليه إلى معرفة أخرى جديدة مثل النظر إلى الإبل والجبال والأرض كمتعرف عليها، وانتقل منها إلى معرفة الكيفية التي بها خلقت تكون المعرفة الجديدة معرفة مجردة تمت معرفتها بالمعرفة المجرّبة التي تشاهد وتلاحظ.

إذن المشكلة هي عدم التعرف، وإذا عرفنا، عرفنا النهاية كما عرفنا الله الأول والآخر، وإذا لم نعرف، ليس معنى ذلك أن للأشياء مالا نهاية، بل إن للأشياء نهايات ولكن لم نعرفها بعد، وإذا لم نتمكن من معرفتها، فإن ذلك لا يعنى مالا نهاية، بل يعنى قصور قدراتنا عن معرفته إلا الله ندركه بآياته دون أن يكون مشاهداً.

وإذا كانت للأرض بداية ونهاية إثباتاً من خلال معرفة مساحتها، وحجمها، ألا يكون لما عليها، بداية ونهاية. وبما أن لانطلاق الرصاصة من فوهة البندقية، إلى الهدف الذي يمكن أن تصل إليه، بداية ونهاية، ألا يكون لما بينهما أيضاً بداية ونهاية. وإلا كيف نقبل بأن لها بداية ونهاية في الحالة الأولى، ولا نقبل أن يكون لها في الحالة الثانية (الحالة المحصورة بين نقطة الانطلاق، ونقطة إصابة الهدف) وهكذا يعتقد البعض بقولهم عندما تتجزأ المسافة المقطوعة إلى أجزاء، تتجزأ هي الأخرى إلى مالا نهاية. إنها مسألة خيالية لا يمكن أن تتفق مع الواقع المشاهد، والمقاس، أو أنها أضحوكة خيالية، وإلا كيف تكون لانطلاق الرصاصة، بداية ونهاية، وتكون المسافة بينهما (بين نقطة الانطلاق ونقطة الوصول إلى الهدف) غير منتهية.، وهكذا لكل الأشكال الهندسية، بداية ونهاية من خلال تحديد مساحتها ومحيطاتها وأحجامها المحددة لها، فكيف هي الأخرى تكون محددة ومعروفة بدقة ثابتة، بداية بوحددة القياس، ونهاية بوحددة القياس، ويكون لما بينهما مالا نهاية.

هل المسافة العددية المحصورة بين 1، 2، التي تتجزأ إلى أجزاء هي الأخرى تتجزأ إلى درجة أطلق عليها مالا نهاية، هل هذه المسافة تساوى المسافة بين 2، 3، وتساوى المسافة بين 3، 4، وهكذا بقية المسافات بين الأعداد إلى النهاية. بالتأكيد أن العدد 1، هو البداية

لما يأتي من بعده من أعداد، ويكون العدد 2 نهاية للأعداد الجزئية التي أتت بعد العدد 1، وهكذا إلى النهاية، إلا الأول والآخر هو واحد أحد يعد ولا يتعدد، ولأن المسافات المحصورة بين الأعداد متساوية، باعتبارها محددة، وبدقة واحدة، إذن لا بد وأن يكون لها بداية ونهاية. وإلا هل يمكن أن يكون للشيء الواحد بداية ونهاية، ويكون للمحصور بينه مالا نهاية..، وإذا لم تكن للأعداد المتجزئة (المحصورة بين الأعداد الصحيحة، بين 1، 2، 3، الخ) نهايات لا يمكن أن نصل لأي عدد صحيح.

الكون بما فيه من يابس وماء وهواء وخلاء، أثبت العلماء أن له بداية، والتي عرفوها بالانفجار العظيم، ومنهم من اعتبرها النقطة الصفرية التي بدأ منها الامتداد، وعرفوا حديثا أن للامتداد العظيم أيضا نهاية يقف عندها، ويعود منها إلى نقطة البداية الأولى بالانكماش، ومع أن العلماء الروس هم الذين اثبتوا ذلك حديثا، إلا أن الله عز وجل قد قال في الكتاب الحكيم في سورة الأنبياء: ﴿يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعَدًّا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ﴾ 316 السماء التي بسطت كانبساط أوراق الكتب وسجلاتها أثناء لحظة الانفجار العظيم، والتي امتدت إلى ما عرفناه، وما لم نعرفه بعد، ستطوى بقدرة الخالق الأول كما تطوى أوراق الكتب وسجلاتها، إلى أن تنتهي إلى الحجم الذي بدأت منه، وكأنها ذرة، ثم تنتهي إلى ما يراد إليها أن تكون عليه بقدرة الخالق العظيم الذي قال في سورة العنكبوت: ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ

قَدِيرٌ} 317 فإذا عرف الإنسان الكيفية التي عليها نشأ الخلق (الذي تكون أو تأسس أو بدأ عليها)، يعرف بالضرورة أن لهذا الخلق لا بدّ من نهاية، لأن معطيات تكوين الخلق محددة بعمر زمني لا بدّ وأن تنتهي إليه، وهكذا تنتهي أعمار المخلوقات بمختلف أنواعها، وأجناسها وفصائلها، وخصائصه وقوانينها. وهذا ذكرني لحديث جرى بين أحد أساتذة الفلسفة من السودان الشقيق وبينني حينما سألته أين مكان الإقامة. فقال: مؤقتا في طرابلس. فسألته: ودائما أين. فقال في الخرطوم. فقلت له ألا تعتقد إن وجودك مؤقت أينما كنت. فقال نعم لكلّ بداية نهاية.

إن التفكير الإنساني في حالة تطور ونضج، وتغير بالسلب والإيجاب حسب الموقف والظرف، ولهذا لا ينبغي أن يوضع على التفكير الإنساني سقف ليحد منه، بل ينبغي أن يُحفز على التفكير الحر، ليكون مبدعا ومنتجا ومتطورا. وعليه نقول إن التفكير الإبداعي المتطور لا حدود ثابتة له، ولكن له نهاية.

الأوّل هو الواحد البداية والنهاية:

تبتدئ الأعداد بواحد فيكون الصدارة، وتختتم به ويكون النهاية، وجميع الأعداد هي مواليد الواحد خلقا، فلولا الواحد الأوّل ما عرفنا الاثنين اللذين يتكونان من  $1 + 1$ ، والواحد دائما مستقل عن كلّ واحد من حيث أنه واحد، ومن تكرار الواحد القابل للتكرار والمثيل تتكون الأعداد والأرقام ممّا خلق الأوّل المطلق، تكرار 1، 1، 1 بالجمع تساوى ثلاث، وثلاث بطرح واحد تساوى اثنين، وهكذا، إذن أي عدد لا يمكن أن يكون هو المقصود إذا سحب منه الواحد،

---

<sup>317</sup> العنكبوت 20.



أو أضيف إليه، على سبيل المثال إذا كان العدد المقصود هو 4 أو 5، أو 9، فإنه لا يمكن أن تتكون هذه الأعداد إلا بالواحد، وإذا سحب من كلٍّ منها تصبح، 3، 4، 8، وهكذا تنتهي هذه الأعداد وغيرها ويبقى الواحد الدائن جلّ جلاله، وإذا انتهى الواحد كعدد انتهى الوجود أو الموجود، وكانت النهاية، ولم تكن ما لانهاية.

إذن بالواحد تكون البداية، وبه تكون النهاية، وأي عدد لا يمكن أن تكون له بداية ولا نهاية إلا بالواحد، فالرقم 8 بدايته واحد، ويستمر الواحد في تضاعف إلى أن يصل إلى الرقم أو العدد 7 وإذا إضافة واحد إلى 7 يجعلها 8 ويكون نهاية لها، إذن الواحد هو البداية والنهاية بالنسبة إلى العدد 8 وإلى أي عدد.

وعلينا أن نفرق بين الواحد الذي يتعدد والأول الذي لا يتعدد، فالذي يتعدّد يتعدّد بالمقارنة والمثيل والشبيه، والذي لا يتعدد ليس له بمقارن ولا مثيل ولا شبيه، إنّه الأول المطلق جلّ جلاله.

وعرف الرياضيون الأعداد الصحيحة المتكون جميعها من الواحد، وهي 1، 2، 3، 4، 5، 6، 7، 8، 9. وهكذا تتكرر الأعداد وتتكاثر في حركة دائرية، من العدد 1 إلى العدد 9، ممّا جعلها تنتهي عند 9 وتستأنف الدورة العددية بالواحد. إذن لهذه الأعداد بداية ونهاية. وبعد التعرف على الصفر كنقطة بداية افتراضية، تكونت دائرة عددية أخرى تبتدئ بالعدد 10 الذي يتكون من تزاوج الصفر مع الواحد، والذي عرف بالعدد الموالي للعدد 9، وبداية دائرة عددية جديدة تنتهي عند العدد 19، وتبتدئ دائرة أخرى بالعدد 20 وتنتهي عند العدد 29 وهكذا تبتدئ الأعداد وتنتهي في دوائر عشرية، إلى أن تتضاعف وتصل إلى الدائرة المئوية، التي تنتهي بدائرة الألف، وتبتدئ بعدها دوائر العشرة آلاف وتنتهي، والمائة ألف،

والمليون وتنتهي، وهكذا تتضاعف الأعداد وتتكاثر، وتستمر الدوائر بداية ونهاية، ولا يمكن أن تبتدئ دائرة إلا وأن تنتهي، ومن يعارض ذلك نقول له لو أعددت طول حياتك لن تجد دائرة عددية تبتدئ ولم تنتهي. وكلّ دائرة لا يمكن أن تبتدئ إلا بواحد، ولا تنتهي إلا به، وإلا هل يمكن أن تنتهي دائرة العشرات، أو المئات، أو غيرها بدون الواحد. العدد 99 مئوي، لا يمكن أن يكون إلا بالواحد، ولا تقفل دائرته (تنتهي) إلا بزيادة واحد، والعدد 999 آلفي، هو الآخر لا يمكن أن يكون إلا بالواحد ولا ينتهي إلا به. على سبيل المثال: إذا شاهدنا سباق جرى على مضمار ملعب كرة القدم الذي مساحته تساوى طوله  $\times$  عرضه، فتكون مساحته محدودة (منتهية) وطوله بالأمتار له بداية ونهاية ولا تتجاوز 400 متر تقريبا، فإذا بدأ السباق من نقطة الصفر الافتراضي وقطع المتسابقون مساحة 5000 متر طولي، فهل يعنى ذلك أنّ طول مضمار كرة القدم تمطط إلى أن أصبح يساوى 5000 متر. وإلا كيف قطع المتسابقون هذه المسافة الطولية. بدون شك أنهم قطعوها نتيجة تكرار عدد الدورات على المضمار، الذي يساوى طول المضمار ضرب عدد الدورات عليه، والتكرار لا يزيد طول المضمار ولا ينقصه، لأن طوله محدد، وله بداية ونهاية. وكلّ من له بداية ونهاية له منتصف، ويتجزأ إلى نقاط، لأنه متكونا منها (من نقاط)، فالمستقيم على سبيل المثال مهما امتدّ بدايته نقطة ونهايته نقطة، وتقترب نقاط البداية والنهاية في حالتين:

الأولى: الحالة الموجبة:

كلّما زاد طول المستقيم، أو الخط الرياضي والهندسي المتشكّل (المرتسم) في الاتجاه الموجب، كلّما اقترب من نقطة البداية التي انطلق منها، والتي سيتصل بها عندما يستمر في اتجاهه إلى النهاية ويرسم

دائرة، وكلّما نقص، نقص عن الاتجاه الموجب، وزاد ابتعاداً ولم يرسم دائرة.

الثانية: الحالة السالبة:

كلّما نقص طول المستقيم، أو الخط الرياضي والهندسي المرسوم في الاتجاه السالب، كلّما اقترب من نقطة البداية التي انطلق منها، والتي سيتصل بها عندما يصل إلى النهاية (في حالة العودة)، وكلّما زاد، زاد عن الاتجاه السالب، وزاد ابتعاداً.

لا عدد إلا لكم، ولكلّ كم نهاية، فإذا كان الكم بشر، فإن للبشر بداية ونهاية، وإذا كان الكم حيوان، أو نبات، أو سمك، أو طير، أو أي جماد، فإن لكلّ ما ذكر بداية ونهاية. وعليه إذا كان كلّ ما يعد له بداية ونهاية، ألا يكون للعدد نهاية. ومن يخالف أنّ للأعداد نهاية، أطالبه إثبات ذلك (إثبات مالا نهاية).

وعليه كلّ الأعداد تزيد وتنقص وتكرر بالواحد، وبما أنّها كذلك إذن تبدئ وتنتهي به، وإذا أصر البعض على أنّ للأعداد مالا نهاية، اطرح عليهم السؤال الآتي: ألا يكون بين كلّ الأعداد ما تسمونه بما لانهاية. إذا كانت الإجابة بنعم، إذن لا يمكن أن يحصل الانتقال من عدد لآخر على الإطلاق، فالمسافة بين الصفر الافتراضي، والواحد تساوى ما تسمونه مالا نهاية، والمسافة بين الواحد والاثنين كذلك وهكذا. ومع ذلك أن التوليد العددي يزداد نتيجة التكرار من الواحد ككلّ والواحد كجزء، والواحد كمتجزئ، 1، .01، .001، .0001، .00001، .000001، .0000001، ويستمر التوليد العددي إلى النهاية، وإلا لا يمكن أن نصل إلى العدد صفر ولا العدد 2. وإذا كانت الإجابة بلا. إذن اعترفوا أن للأعداد نهاية، وهي

الواحد ككلّ، وكجزء، وكمتجزئ، والذي جعل الرياضيين يؤسسون نسب التقريب عليه، وجعلهم يطوون المسافة في تنقلهم من عدد إلى الذي يليه، ولهذا كلّ الأعداد تتولد من الواحد وتعود إليه، إذن الواحد هو البداية والنهاية وهو الأوّل والآخر. وان الله تعالى يعلم بكلّ كم وعدد كما جاء في سورة مريم سلام الله عليها: {إِنَّ كُلَّ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتَى الرَّحْمَنُ عَبْدًا لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا وَكُلُّهُمْ أَتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا} 318 كلّ ما خلق في السماوات والأرض معلوم عدده عند الله، وبما أن كلّ الأعداد تم إحصائها من عنده، إذن كلّ الأعداد لها نهاية، وكلّ الأعداد يتم التعامل معها فرادى (واحدًا واحدًا)، ولهذا كلّ الأعداد تعود إلى الواحد الأوّل. ونحن نعرف أن لكلّ شيء نهاية، ولكن لم نعرف متى تكون نهايته، ولا كيف تكون، ولكن للرحمن كلّ شيء معلوم، مصداقا لقوله تعالى في سورة الجن: {لَيَعْلَمَ أَنْ قَدْ أَبْلَغُوا رَسُولَاتِ رَبِّهِمْ وَأَخَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَى كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا} 319. إن الله سبحانه وتعالى أحصى كلّ شيء تعدادا أي كلّ ما خلق معروف له كما وعددا. وكلّ من يحمل في معناه واحد تكون له صورة وشكل كالإنسان، والغزالة، الطير، الشجرة، البحر، الجبل، السمك، إلا الواحد الذي خلق الواحد، لا يمكن أن تكون له صورة ولا شكل، إنّه الأوّل والآخر جلّ جلاله. وكلّ مخلوق لا يمكن أن يشاهد خالقه، أو صانعه، فالإنسان الذي صنع القلم، أو المقعد، أو الحاسوب، أو السيارة، أو الطائرة، يمكنه مشاهدتها بنظره السليم، وهي لا يمكن أن تشاهده، ويمكنه استخدامها أو التخلص منها في أي وقت يشاء، وهكذا المخلوقات

---

<sup>318</sup> مريم 93 - 95.

<sup>319</sup> الجن 28.

بالنسبة لخالقها الذي يشاهدها ولا تشاهده ويجيها ويميتها متى يشاء  
وفي أي مكان كيفما شاء.

وعليه الواحد هو الحقيقة التي لا تتمركز الجموع إلا به، ولا  
تنشئت إلا به، ولا تبتدئ أو تنتهي إلا به، لأنّ الجموع هي تكرار  
الآحاد، أو التقائها على قيم، أو في مضامين. والقيم هي المضمون  
الذي تكونه الجموع، ويحتويه الواحد، وكلّما زاد الواحد في الاتجاه  
الموجب كلّما كان للتطور شأن ومعنى، وكلّما زاد الواحد في الاتجاه  
السالب كلّما حدث الانكماش والتخلف. وكلّما نقص الواحد في  
دائرة النسبية من الاتجاه السالب كلّما ازداد الأمل. وكلّما نقص  
الواحد من الاتجاه الموجب كلّما حبط العمل. ولهذا تصف المجتمعات  
كلّ من التطور العمراني والتطور الثقافي والتطور العلمي بالتطور  
الموجب، وعند زيادة أي وحدة أو مفردة على ذلك تعد على سلم  
التطور الموجب، وأي نقص من ذلك يعد على سلم التأخر. وتصف  
المجتمعات في ذات الوقت كلّ من التطور في الانحراف والجريمة،  
والتطور الاستهلاكي بالتطور السالب وعند زيادة أي وحدة أو مفردة  
على ذلك تعد على سلم التأخر، وأي نقص من ذلك يعد على سلم  
التطور الموجب.

وعليه قد يتساءل البعض: ما هو الفرق بين العدد، والمعدود،  
والعاد (الذي يقوم بفعل العد). وهل هذه متناهية. العدد هو المقدار  
وجمعه أعداد، وهو المجرد من التمييز، فعندما أكتب على سبيل المثال:  
1، 2، 3، 4، 5، 6، أكتب أعدادا، وهذه الأعداد عندما تكتب  
على كميات أو كائنات تميز وتصبح هذه الكميات أو الكائنات هي  
المعدودة، ويكون الذي أحصاها بهذه الأعداد هو ألعاد، فإذا قلت أنا  
ألعاد نكون أنا المعدود من الآخر، وبما أنني معدود من الآخر فيكون

الآخر متناهيًا وتكون لي نهاية. إذن ألعاد والمعدود شيء واحد ولا فرق بينهما إلا أنا وأنت، أما العدد فهو فكرة ذهنية مجردة إذا لم يوحد مع معدود، وعندما نفرق بين ألعاد والمعدود من جهة والعدد من جهة أخرى نكون قد فرقنا بين الفكرة المفترضة والواقع المثبت، وبما أن ألعاد والمعدود متناهيان، فكذلك العدد، وذلك لأنه يقع في دائرة الممكن، ولا يقع في غيرها، ولأنه يقع في دائرة الممكن إذن هو متناه. ولأنّ الزمان والحركة متناهيان ولا شيء من الموجودات يقع خارجهما، فإذن كل ما يقع فيهما متناهٍ وفقا للقضية الآتية:

الزمان والحركة متناهيان.

والعدد يقع فيهما.

إذن العدد متناهٍ.

وبما أنّ كلّ الأعداد تبتدئ بواحد وتنتهي به، إذن من أين أتى غير المتناهي. فالأعداد 1، 10، 100، 1000، 10.000، 100.000، 1.000.000، 10.000.000، 100.000.000، 1.000.000.000، وغيرها من الأعداد التي تُكتب أو تُعد، كلّها متناهية، وأن لم تكن متناهية فلا تُكتب، وإذا كانت كذلك فمن أين أتى افتراض غير المتناهي. وبما أن العدد متناهٍ والعاد والمعدود كذلك، فهل يؤدي المتناهي إلى مالا نهاية. إذا كان المتناهي كما بالجمع أو بالضرب أو الترتيب والتكعيب فلا بدّ وأن يؤدي إلى كم، وكذلك إذا كان بالطرح أو التقسيم فلا بدّ وأن يؤدي هو الآخر إلى كم، والكم متناهٍ، إذن المتناهي لا يؤدي إلا إلى متناهٍ.

من

### صفات النبي يحيى

لقد بيّن الله عزّ وجلّ عددا من الصفات ليحيى نعتقد أنّها صفات مفسرة ومبينة للمهمة التي كلف بها يحيى، يقول الحقّ جلّ وعلا:

- (فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَى مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ).

- (وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَى رَبَّهُ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَى).

هذه الآيات تشير إلى عدد من الصفات هي:

#### 1 - مبشّر:

الصفة هنا تعود على يحيى حسب سياق الآية (يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَى)

لأنه:

هو البشارة

فهو مُبَشِّر

فكريا ستفرحه البشارة بيحيى المبشر لأبيه وللناس، والبشر في اللغة "البشرُ الطَّلَاقَةُ" وقد بَشَّرَهُ بالأمر يَبَشِّرُهُ فَرَحٌ وفي التنزيل العزيز فَاسْتَبَشِرُوا بِنِعْمِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَفِيهِ أَيْضًا وَأَبَشِرُوا بِالْجَنَّةِ، والبشارة

المطلقة لا تكون إلا بالخير وإنما تكون بالشر إذا كانت مقيدة كقوله  
تعالى فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ 320.

فالفرح سيتحقق عند زكريا ومن معه من المؤمنين بالبشارة  
الإلهية يحيى، كما إن يحيى بشر برسالة عيسى، بل بُعث مبشرا برسالة  
عيسى عليه السلام 321.

وإذا أقررنا أنه مبشّر برسالة عيسى احتاج كلامنا لحجة أو لمنطق  
يسنده، ولأن النص الصريح المؤكد على ذلك غير متوافر فيما قرأنا  
لذلك فتحكيم المنطق والعقيدة الصحيحة كفيلا بإثبات أو نفي ذلك،  
وعقيدتنا تدفعنا إلى القول بأن يحيى بشر بمضامين رسالة عيسى وكان  
هذا أهم مهماته في نبوته لأنه كان معاصرا لنبي هو أبوه زكريا ولرسول  
هو عيسى صلى الله عليهم وسلم.

## 2 - مصدق:

مُصَدِّقٌ: التصديق اعتراف يعقبه تسليم بالأمر بعد إزالة اللبس  
والغموض والظنون عنه، والتعرف عليه هو كما هو، ولذا فالمصدق  
بالحق يوصف بأنه صدّيق، ولهذا، التصديق اعتماد للمصدق به، ممّا  
يجعل المصدق متهمياً للأخذ به والدفاع عنه والدعاية له.

الذي يتصف بالتصديق هو الذي لا يخالجه شك فيما يدرك  
ويرى مشاهدة أو ملاحظة سواء:

أ. بحق اليقين.

---

320 - لسان العرب، ج 4، ص 59.

321 - ابن عاشور، ج 8، ص 450.



ب . بعلم اليقين .

ج . بعين اليقين .

التصديق لا يكون إلا بعد الإظهار على المصدق به، ليكون المصدق مستأنسا بعين اليقين التي تقطع الشك وتبطل الظنون، ولذلك كان يحيى صلى الله عليه وسلم مصدقا بكلمة من الله مصدقا لقوله تعالى: (مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِّنَ اللَّهِ).

والتصديق هو: أن تنسب باختيارك الصدق إلى المخبر<sup>322</sup>، في ضوء هذا المفهوم يمكن تفريع التصديق بأسبابه إلى:

المخبر

الخبر

المصدق

المخبر لما صدق به يحيى صلى الله عليه وسلم هو الله جلّ وعلا، ونحن من منطلق إيماننا لا نشك مطلقا بصديق المخبر، ولكن لنناقش لماذا المخبر صادقا؟

نقول: من وجد في الله غير ذلك (حاشا لله)؟

لماذا يحتاج الغني عن العالمين إلى غير ذلك!

كيف يكون القوي غير صادق؟ ممن يخاف؟

إنّ السلوك الذي يرقى به المخلوق إلى درجات العلى لا بدّ أن يتسم بالصدق الذي هو في الواقع تقوى لله الذي يقبل الصدق ولا

---

322 - التعريفات، ج 1، ص 19.

يقبل غيره، {وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ} 323، فالصدق قيمة أخلاقية تؤدّي إلى صلابة في العقيدة وقوّة في النفس وكذلك تمنح الصادق اعتبارا من الآخر، فإذا كان هذا على مستوى المخلوق فكيف هو مع الخالق جلّ وعلا؟

لقد بين المولى عزّ وجلّ أن الصدق قيمة إيمانية إلى جانب كونها قيمة أخلاقية فقال عزّ وجلّ عن وعده الصادق: {وَعَدَ الصِّدْقِ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ} 324، وهو نتيجة يقر بها المؤمن وهو يتمتع بالصدق الإلهي مصداقا لقوله تعالى: {وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ} 325.

أما الكلمة الذي صدق به يحيى صلى الله عليه وسلّم فهو رسول عاصره (عيسى).

هنا نتساءل:

هل كان التصديق خلق يحيى؟ أم إيمانه؟

نقول إن التصديق من خلق الأنبياء والمصطفين الأخيار اختيارا لا إجبارا، والاختيار يكون في الغالب عن وعي، وقد وصف الله سبحانه عددا كبيرا من الأنبياء والرّسل بكونهم مصدقون وصادقون فقال عز من قائل عن إبراهيم عليه الصّلاة والسّلام: {وَادْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا} 326، وعن إسماعيل: {وَادْكُرْ

---

323 - الزمر 33.

324 - الأحقاف 16.

325 - الزمر 74.

326 - مريم 41.

فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا {327،  
 وعن إدريس: {وَأَذْكُرُ فِي الْكِتَابِ إِدْرِيسَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا {328،  
 وعن يحيى: {فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ  
 يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَى مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِنْ  
 الصَّالِحِينَ {329، وعن محمد صلى الله عليه وسلم بأنه الصدق وما  
 جاء به الصدق فقال جل في علاه: {فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَبَ عَلَى اللَّهِ  
 وَكَذَّبَ بِالصِّدْقِ إِذْ جَاءَهُ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ {330،  
 وكثير آخرين وكأنه سبحانه وتعالى يقدم لبقية عباده الأنموذج الأمثل  
 أو المثال الأعلى ليكون منهج اقتداء وأسوة تهدي إلى الطريق المستقيم  
 في مسألة التصديق، ويحيى الموصوف بأنه مصدق بكلمة من الله  
 يدفعنا إلى التساؤل:

هل صدق بكلمة من الله جاءته فصدق بها؟

أم صدق بكلمة من الله (كن) فكان مصدقا؟

إنَّ الأمر يكاد يحتمل الوجهين مع ترجيح يفرضه تسلسل  
 أحداث العلاقة بين عيسى ويحيى، حيث يكون الأقرب إلى المنطق أن  
 يكون يحيى مصدقا بعيسى الذي هو كلمة من الله مصدقا لقوله  
 تعالى: (إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلَّمْتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى  
 مَرْيَمَ).

ومن صفاته التي خصه الله بها أنه كان سيذا.

327 - مريم 54.

328 - مريم 56.

329 - آل عمران 39.

330 - الزمر 32.

### 3 . سيدا:

فما معنى سيد؟

وما هي نوع السيادة؟

وعلى من تكون السيادة؟

ولماذا سيدا؟

قيل في هذه السيادة أقوال، والمفسرون ذكروا فيه وجوها:

الأول: إنَّه السيد الحليم.

الثاني: إنَّه كان سيدا للمؤمنين رئيسا لهم في الدين، أعني في

العلم والحلم والعبادة والورع.

الثالث: قيل في السيد أنَّه الكريم على الله.

الرابع: هو الفقيه العالم.

الخامس: الذي لا يغلبه الغضب.

السادس: السيد هو المتقدم المرجوع إليه، فلما كان سيدا في

الدين كان مرجوعا إليه في الدين وقدوة في الدين، فيدخل فيه جميع

الصفات المذكورة من العلم والحلم والكرم والعفة والزهد والورع<sup>331</sup>.

وغاب عن المفسرين أمر آخر مهم يدل دلالة واضحة على نوع

السيادة، فالنصوص القرآنية التي ذكرت يحى تفسر كلَّ التساؤلات

حولها.

ونسأل كلَّ من له هممة في التفكير الواعي والناضج،

---

331 - تفسير الرازي، ج 4، ص 195.

إلا تكون السيادة هنا مرتبطة بالحكم الذي آتاه الله ليحيى  
مصدقا لقوله تعالى: (وآتيناه الحكم صبيا).

أو لنقل بعبارة أدق إلا تفسر نوعا من السيادة لهذا السيد  
الخصور النبي؟

نعم إنّ السيادة التي جعلها الله ليحيى هي مزيج من سيادة  
مادية وأخرى روحية عقلية، لأنّ قوله تعالى (الحكم) لا شك يدل  
على السيادة المادية وستحدث عن ذلك في موضع آخر، ثم السيادة  
الروحية التي أوّل ما يفسرها واهم ما يفسرها هو الصفة التالية لها  
(حصورا).

#### 4. حصورا:

فقد ساد يحيى نفسه ونوازعها وحفظها من طيش الشهوات  
بأنّ حصر السالب منها في حاجز الطاعة وترك الموجب منها تأتي نعم  
الله الحلال بإرادة ووعي لتتحقق صفة الخصور، وليس كما يدعى  
المدعون في تفسير الخصور، وهي أمور لا يمكن قبولها في الحديث عن  
حصورية يحيى من كونه حصورا لانعدام وسائل الاتصال لا لعفته  
وخلقه، وقد تصدى الرازي إلى الرد على ذلك بعد أن أجمل آراء  
المفسرين في هذه الصفة فيقول: "فلهم قولان أحدهما: أنّه كان عاجزا  
عن إتيان النساء، ثم منهم من قال كان ذلك لصغر الآلة، ومنهم من  
قال: كان ذلك لتعذر الإنزال، ومنهم من قال: كان ذلك لعدم  
القدرة، فعلى هذا الخصور فعول بمعنى مفعول، كأنه قال محصور  
عنهن، أي محبوس، وهذا القول عندنا فاسد لأنّ هذا من صفات  
النقصان وذكر صفة النقصان في معرض المدح لا يجوز، ولأنّ على  
هذا التقدير لا يستحقّ به ثوابا ولا تعظيما.

والقول الثاني: وهو اختيار المحققين أنه الذي لا يأتي النساء لا للعجز، بل للعة والزهد، وذلك لأنّ الحصور هو الذي يكثر منه حصر النفس، والمنع إنما يحصل أن لو كان المقتضي قائما، فلولا أن القدرة والداعية كانتا موجودتين، وإلا لما كان حاصرا لنفسه فضلا عن أن يكون حصورا، لأنّ الحاجة إلى تكثير الحصر والدفع إنما تحصل عند قوّة الرغبة والداعية والقدرة، وعلى هذا الحصور بمعنى الحاصر فعول بمعنى فاعل 332.

قبل أن نضيف شيء نتساءل:

أليس يحيى بشرى من الله؟

أتكون البشرى الموهوبة ناقصة أو معيوبة؟

أليس يحيى نبيا؟

أيمكن النبي بهذه الصورة المهينة حاشا لله من نقص الرجولة؟

إنّها تساؤلات تحمل في مضمونها كلّ الردود على هذه الآراء الغريبة التي تريد النبيل من أنبياء الله ورسله الذين نؤمن بهم ولا نفرق بين أحد منهم مصداقا وطاعة لأمر الله عزّ وجلّ: ﴿أَمَّنَ الرَّسُولَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلَّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾ 333.

ولنا أن نضيف شيء في تفسير ذلك يعتمد القاعدة اللغوية والميزان المنطقي، نقول إن الله عزّ وجلّ وصف يحيى بصفة بصيغة

332 - تفسير الرازي، ج 4، ص 195.

333 - البقرة 285.

التنكير الذي يفيد العموم فقال (حصورا) وذلك يشير إلى أمور كثيرة منها:

- إن الحصر يكون عاما عن كل ما يخالف الله من شهوات ونوازع ومحرمات.

- ليس بالضرورة النساء على وجه التحديد.

- أن ربط المسألة بالحصر عن النساء أمر فيه تحديد واللفظ عام.

- إن قصر الموضوع على جنس الناس معناه تحريم حلال مما أحل الله وهذا مستحيل على الله ونبيه يحيى.

وبالفعل احتج البعض بهذه الآية على أن ترك النكاح أفضل وذلك لأنه تعالى مدحه بترك النكاح، وذلك يدل على أن ترك النكاح أفضل في تلك الشريعة، وإذا ثبت أن الترك في تلك الشريعة أفضل، وجب أن يكون الأمر كذلك في هذه الشريعة بالنص والمعقول، أما النص فقوله تعالى: {أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده} 334، وأما المعقول فهو أن الأصل في الثابت بقاؤه على ما كان والنسخ على خلاف الأصل 335.

ومعلوم أن الزواج أصل فلا يمكن تحريمه في شريعة ثم حله في أخرى لأنه من أصول الخلق مصداقا لقوله تعالى: {يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما

---

334 - الأنعام 90.

335 - تفسير الرازي، ج 4، ص 195.

رَجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا {336}.

نخلص إلى القول في حضور: إنها صفة منع إيجابي إرادي من يحيى لكل ما يمكنك أن يكون حراما أو يشتبه من ذلك بالإضافة إلى ما للفظه من معانٍ أخرى، كحصر السر ووقرة المنع عن الأكل (الصوم) وعن كثير فالصفة هنا ليست لأمر محدد بل هي عامة لكل سالب محرم، وبعيد عن كل حلال.

## 5 . نبيا:

نبدأ بالتساؤل الذي يفرضه المنطق:

لماذا نبوة يحيى؟

ولمن تكون؟

وما هو مضمونها؟

لابد من التذكير بان نبوة يحيى عاصرت رسالة سماوية هي رسالة عيسى صلى الله عليه وسلم ومعلوم أن الرسالة أعم واشمل من النبوة المجردة، فما هي نبوة يحيى.

لقد أشار الله جلّ وعلا إلى بعض ملامح هذه النبوة من حيث:

- التصديق بعيسى الذي احتاج إلى دعم وهو يواجه كفر بني

إسرائيل.

- سيادة الناس وتولي أمورهم.

- القيام بأمر الكتاب بقوة.



ويلاحظ أنّ النقطتان الثانية والثالثة توحى بأنّ نبوة يحيى لم تكن في زمن عيسى وهو أمر تكشفه التساؤلات الآتية:

كيف يسود يحيى الناس والرّسول عيسى فيهم؟

كيف يتولى يحيى الكتاب وعيسى رسول الله وصاحب الكتاب فيهم؟

عليه: فإنّ التسلسل المنطقي يفرض أن تكون نبوة يحيى معاصرة لرسالة عيسى ومستمرة بعده حتى يتحقّق بالفعل أمر الله بالسيادة واخذ الكتاب ثم النبوة التي جاءت بعد تحقّق الأمرين الأوّلين مصداقا لقوله تعالى: (أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَى مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَخَصُورًا وَنَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ).

وهكذا فإنّ السيادة تشير إلى أمرين أحدهما: قدرته على ضبط مصالح الخلق فيما يرجع إلى تعليم الدين والثاني: ضبط مصالحهم فيما يرجع إلى التأديب والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأمّا الحضور فهو إشارة إلى الزهد التام، وبعد هذه الصفات المثلى جاء تكليفه النبوة وكأنّ الله عزّ وجلّ يقول لنا ولغيرنا تفصيل الصفات الواجب الاقتداء بها والائتساء بقواعدها.

## 6. وارث:

وارث يقول الحقّ على لسان زكريا بخصوص يحيى (يرثني ويرث من آل يعقوب) عليه: فإنّ يحيى وارث.

فماذا ورث يحيى؟

لا شك أنّ يحيى لم يرث المال كما فصلنا في موضع سابق،  
ولكنّه ورث علم النبوة من آباءه وكذلك ورث بعضا من صفاتهم كما  
قدّر الله عزّ وجلّ له أن يكون متصفا بصفات الصالحين.

هنا يلح السؤال الآتي:

لماذا كانت صفات يحيى غير صفات زكريا؟

هناك أمور يجب أن نقررها هي:

إنّ الإنسان لا يكون مثل الآخر في كلّ شيء.

الصفات المكتسبة لا تورث.

المذكور من الصفات بعضها وليس كلّها.

على ذلك يجب أوّلا القول بأنّ تكرار صفات زكريا في يحيى  
مطلقا وهو على الله يسير كان سيبدو أمر غير منطقي حاشا لله لأنه  
يشبه عملية استنساخ بين أصل وفرع لذلك كان لابدّ من المغايرة.

وإذا أقررنا أنّ الصفات الخلقية تورث أحيانا فإن الصفات  
المكتسبة لا تورث، وإذا كان زكريا اكتسب صفاتا من مداومة الطاعة  
فان ذلك يفضي إلى أنّ يحيى اكتسب هو الآخر صفات أخرى ممّا  
يحدث المغايرة بين الصفات.

ومسألة أخرى هي: إنّ الصفات المذكورة لكلّ من زكريا ويحيى  
هي ليست كلّ الصفات الجامعة لهما، وإتّما قدمها الله عزّ وجلّ لنا  
لتكون أسوتنا وقدوتنا على حسب ما نستطيع.

ولو تصورنا أن يحيى جمع صفات أبيه زكريا إلى جانب ما اكتسب هو من صفات لتبين لنا الملامح المثلى لهذه الشخصية، ولنذكر بصفات زكريا التي سيرثها يحيى وهي:

- 1 - مخلص (عبده).
- 2 - رحمة (رحمة ربك).
- 3 - مجاب الدعاء (وَمَ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا).
- 4 - من الأخيار (إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ).
- 5 - من الخاشعين (وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ).
- 6 - من المصلين (وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ).
- 7 - من المسبحين (فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ أَنْ سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا).
- 8 - من الصالحين (وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَى وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِّنَ الصَّالِحِينَ).

يضاف إلى ذلك ما عرضنا من صفات ليحيى، هنا تتشكل شخصية على مستوى عال من التكامل الأخلاقي وهنا تفسر نوع السمة التي خصه الله عز وجل بها دون أحد سبقه (لم نجعل له من قبل سميا).

### أفعال يحيى:

لقد بين المولى عز وجل جملة من أفعال نبيه يحيى وهي أفعال ترتبط بطبيعة نبوة يحيى، وهذا أمر في غاية الأهمية ويتمثل في طبيعة الأفعال النبوية التي ينص عليها القرآن، أنها أفعال مرتبطة بشكل أو بآخر بالنبوة أو الرسالة، أما الأفعال الأخرى فتأتي في سياق الحديث

عن طبيعة هذا النبي أو الرسول كمثل الحديث عن عيسى وأمه مريم بقوله تعالى: (مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ انظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الْآيَاتِ ثُمَّ انظُرْ أَنَّى يُؤْفَكُونَ)، الحديث هنا وإن كان عن أمر من شؤون دنيا عيسى ومريم لكن روافد هذا الفعل تصب في الغاية الأساسية وهي تنزيه الرسول عيسى وأمه مما كانوا يأفكون.

وكذلك الأمر مع يحيى كل أفعال التي وصفها الله لنا كانت في مجال الحديث عن نبوة يحيى مصداقا لقوله تعالى: { يَا يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا وَحَنَانًا مِنْ لَدُنَّا وَزَكَاةً وَكَانَ تَقِيًّا وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَكُنْ جَبَّارًا عَصِيًّا وَسَلَامٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا } 337.

يتبين أن صفات يحيى هي:

- 1 - كتابي.
- 2 - حاكم.
- 3 - حنون.
- 4 - مزكي.
- 5 - تقي.
- 6 - بر.
- 7 - جبار مطيع.

نناقش الآن كون يحيى كتابي، نقول إنّ النصّ صريح بكون يحيى أخذ بالكتاب بقوة (خذ الكتاب بقوة)، هنا السياق يوحي بجدية الأمر وحثميته وأهميته ويحيى في هذا الأمر غير مخير على اعتبار طاعته ونبوته واصطفائه، لأنّ أمر الله أكد عليه أمر الكتاب بأن جعله أمراً صريحاً بالفعل خذ، ثم قرن ذلك الأخذ بالقوة وهي إشارة إلى طبيعة التكلّيف وجدية المسألة المكلف بها يحيى.

ولفظه قوّة جاءت منكراً، وهذا التنكير الذي يكشف عن عموم غايته التنوع وسعة الدلالة عن القوّة حتى لنكاد نعجز عن حصر أنواع القوّة المقصودة التي يحث الله عزّ وجلّ نبيه يحيى ليعمل بها، لكن يبقى تلمسنا لبعض أنواعها وهي:

ليست قوّة واحدة، فقد تكون قوّة من الله.

أو قوّة الكتاب وحثه.

أو قوّة عقيدة يحيى.

أو القوّة المادية ليحيى.

الأمر الآخر هو أنّ عيسى لم يكن الرّسول الخاتم فمن الممكن أن تكون رسالة فيها بقية يتممها رسول أو نبي هو يحيى على هذا الاحتمال، أما محمّد صلوات الله وسلامه عليه فإنه الخاتم الذي كمل الدين برسالته (اليوم أكملت لكم دينكم) لذلك تنتفي كلّ الاحتمالات معه فيما يخص رسالة الكاملة.

وإذا كانت القوّة منكراً فإنّ الكتاب معرف (الكتاب) وهو كما نعتقد الإنجيل ولا يجوز القول بأنّه التوراة لأنّ ذلك يخالف النصّ القرآني الذي نسخ التوراة بالإنجيل، مصداقاً لقوله تعالى: ﴿قَالَتْ رَبِّ

أَنْ يَكُونَ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمَسِّنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا  
فَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَةَ  
وَالْإِنْجِيلَ {338}.

فالكاتب الذي تعلمه عيسى هو التوراة، لأنّ الإنجيل لم يزل في  
طور النزول، أمّا وقد نزل الإنجيل كاملا فقد نسخ التوراة لذلك كان  
أخذ يحيى للكتاب مقصود به الإنجيل.

هنا نتساءل:

ما هي علاقة يحيى بالكتاب؟

لماذا الأخذ بقوة؟

وكيف يكون ذلك؟

نقول: إنّ المسألة الاحتمالية هي ليست قطعية حتما لذا فإنّ  
الاحتمال الآخر قائم لا محالة، وبما انه احتمال أيضا فهو ليس الأخير  
بل يبقى باب الاحتمال مفتوحا وهكذا حتى لو افترضت لمسألة  
احتمالين فانه يبقى هناك احتمال ثالث فلو قلت:

(أن يحيى مات قبل عيسى).

فإنّ الاحتمال الآخر:

هو (إنّ عيسى رفع قبل موت يحيى).

ويبقى الاحتمال الآخر:

وهو أنّ الرفع ووفاء يحيى تزامنا حتى لا تكاد تجد فاصلا زمنيا حقيقتيا بينهما.

ثم يحضر احتمال آخر هو غير كلّ هذه الاحتمالات وهكذا، ومن هنا نقول: إنّ النبوة كانت في زكريا قبل عيسى فلما جاء عيسى كانت الرسالة والنبوة عنده ولما رفعه الله إليه استمر التكليف بالرسالة ليحيى (خذ الكتاب).

الكتب تقترن بالرّسل ويحيى لم يكن رسولا لأنه نبي بالنص (ونبيا) لكن مهمته كانت في رسالة عيسى هي أخذ الكتاب (الإنجيل) والعمل به بقوة والحرص على أن يعمل المؤمنون بهذا الكتاب ولذلك يحيى كان سيّدا ليستطيع التوافق مع اخذ الكتاب بقوة.

لذلك وعلى الاحتمال المنطقي أن يكون أخذ الكتاب كان لمرحلة ما بعد رفع عيسى، والدلائل التي تؤيد ذلك كثيرة من أهمها إن عيسى رُفِعَ ولما يؤمن له إلا قليل (فلما أحس عيس منهم الكفر) عليه فإن العمل بالكتاب والتبليغ بمضامينه هي مهمة يحيى بعد زكريا.

وتقدم لنا خذ الكتاب بقوة أمورا منها:

- حتمية المهمة.

- أهمية هذا الكتاب.

- طبيعة مهمة يحيى فيه (التبليغ والعمل بقوة).

أنّ صيغة الأسلوب المتمثل بالممازجة بين الأمر (خذ) والصفة (قوة) يؤكد أنّ التكليف بالمهمة أمر فيه إصرار المواصللة وضرورة الإنجاز، وكأنّ الله عزّ وجلّ يخبر يحيى ويخبرنا أن الكتاب لازال فيه ما لم يصل إلى الناس ويريد من يحيى أخذه بقوة وتبليغ المستهدفين به.

فالكتاب مهم على هذا، هنا نسأل:

. هل هناك أهم من الإنجيل في ذلك العصر (رسالة عيسى ونبوة يحيى)؟

والغريب الذي نريد أن نقف عنده هو إجماع المفسرين وإصرارهم على أن الكتاب هو التوراة، ولم يذكروا الإنجيل مطلقاً مع إن أغلبهم ذكر احتمالاً مفاده أن يكون كتاباً آخر غير التوراة والإنجيل خص الله به يحيى كسائر الأنبياء والرسل؟

نقول: إنّ في ذلك تغافل عن حقيقة هي أنّ يحيى عاصر الإنجيل وسمع كلماته من رسول عاصره وصدق به، فهل الأولى أن يأخذ التوراة أم يأخذ الإنجيل المعاصر له آنذاك؟

نعتقد أن يحيى كلّف بأخذ الإنجيل بقوة، لأنّ الرسول الذي عاصره لم يكلف بمثل ذلك بل قال الله تعالى عنه أنّه يعلمه التوراة، ولم يقل خذ التوراة فكيف بيحيى الذي صدق بالإنجيل وعمل به لأنه آمن به؟

أمّا مبدأ الأخذ فهو الإيمان المطلق بما في الكتاب والعمل به والدعوة إليه، وفهم مضامينه وتبليغها للناس ودعوتهم للعمل بما جاء فيه.

### حاكم في صباه:

ذهب المفسرون إلى القول بأنّ المقصود هنا بالحكم، العلم، أو النبوة أو غير ذلك كما ينص الرازي: "قوله تعالى: (وَأَتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا) اعلم أنّ في الحكم أقوالاً. الأولى: أنّه الحكمة. ومنه قول الشاعر:



واحكم كحكم فناة الحمي إذ نظرت..... إلى حمام سراع وارد

الشمذ

وهو الفهم في التوراة والفقہ في الدين.

الثاني: وهو قول معمر: أنه العقل روي أنه قال ما للعب

خلقنا.

الثالث: أنه النبوة، وذلك لأن الله تعالى أحكم عقله في صباه

وأوحى إليه وذلك لأن الله تعالى بعث يحيى وعيسى عليهما السلام

وهما صبيان لا كما بعث موسى ومحمد عليهما السلام، وقد بلغا

الأشد والأقرب حمله على النبوة لوجهين:

أن الله تعالى ذكر في هذه الآية صفات شرفه ومنقبته ومعلوم أن

النبوة أشرف صفات الإنسان فذكرها في معرض المدح أولى من ذكر

غيرها فوجب أن تكون نبوته مذكورة في هذه الآية ولا لفظ يصلح

للدلالة على النبوة إلا هذه اللفظة فوجب حملها عليها.

أن الحكم هو ما يصلح لأن يحكم به على غيره ولغيره على

الإطلاق وذلك لا يكون إلا بالنبوة فإن قيل كيف يعقل حصول

العقل والفتنة والنبوة حال الصبا؟ قلنا: هذا السائل، إما أن يمنع من

خرق العادة أو لا يمنع منه، فإن منع منه فقد سد باب النبوات لأن

بناء الأمر فيها على المعجزات ولا معنى لها إلا خرق العادات، وإن لم

يمنع فقد زال هذا الاستبعاد فإنه ليس استبعاد صيرورة الصبي عاقلا

أشد من استبعاد انشقاق القمر وانفلاق البحر"339.

---

339 تفسير الرازي، ج 10، ص 276.

وهذا ما اجمع عليه بقية المفسرين، ولكن اللفظ (الحكم) أوسع من ذلك دلالة أو اثنين، حيث تقول المعاجم اللغوية:

(حكم) والحُكْمُ العِلْمُ والفقہ قال اللہ تعالیٰ وآتیناہ الحُکْمَ صَبِيًّا أي علما وفقها هذا لِيَحْيَى بن زَكَرِيَّا وكذلك قوله الصَّمْتُ حُكْمٌ وقيل فاعله.

ولا حُكْمٌ إِلَّا لك وقيل بك خاصمتُ في طلب الحُكْمِ وإبطال من نازعني في الدين وهي مفاعلة من الحُكْمِ وحكّموه بينهم أمره أن يحكم ويقال حكّمنا فلانا فيما بيننا أي: أجزنا حكمه بيننا وحكمه في الأمر فاحتكم جاز فيه حكمه 340.

فإذا كان اللفظ يحتمل أن يكون الحكم بمعنى العلم ويحتمل أن يكون بمعنى الحكومة، فلماذا يتم إغفال جانب دلالي مهم من دلالة اللفظ؟

لا شك أن الاحتمالين قائمان، ونعتقد أنهما في الدلالة في الاحتمال، لأن الحكم الديني متحقق لأكثر من نبي ورسول فقد كان يوسف حاكما ماليا على مصر، وحكم داوود وسليمان في أمور الدنيا مصداقا لقوله تعالى: {وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَسَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ} 341.

حنانا: (وَحَنَانًا مِنْ لَدُنَّا وَرِزْقًا)

<sup>340</sup> لسان العرب مادة حكم، ج 12، ص 140.

<sup>341</sup> - الأنبياء 78.

يقال الحنان: الشفقة. ومن صفات الله تعالى الحنان. ومن كآلام العرب: حنانيك، أي حنانا منك بعد حنان. وجعل حنان يحيى من لدن الله إشارة إلى أنه متجاوز المعتاد بين الناس.

والزكاة: زكاة النفس ونقاؤها من الخبائث، كما في قوله تعالى: (فقل هل لك إلى أن تزكى)

المسألة التي نريد أن نقف عليها هنا هي:

لماذا الوصف بهذه الصفات، هل هي غير موجودة عند أحد سوى يحيى؟

ألم يتصف بهذه الصفات غيره؟

هل هي من العام أم من الخاص؟

نعتقد أنّ هذه التساؤلات تنطبق على أغلب صفات الأنبياء والرسل، من حيث أنّها تتوفر فيهم وفي غيرهم من العباد الصالحين، ومع ذلك فإننا نعتقد أنّ هناك مميز يغاير بين حنان يحيى وغيره؟

ونعود إلى نص الآية لنلاحظ أن اللفظ المستخدم في التعبير هو (حنانا) أي بصيغة المصدر ومعلوم أن المصدر هو أصل تشتق منه المشتقات، هنا يمكن القول أنّ حنان يحيى هو مصدر لغيره فهو القدوة والأسوة والمثال، ونعتقد أنّ يحيى ائسى بصفة الله عزّ وجلّ (حنان) على أكمل وجه حتى صار على درجة من التمام التي تؤهل حنانه ليكون مصدرا يستمد منه ويقتدى به، والأمر كذلك مع (زكاة) حيث كان يحيى على الدرجة المثلى من نقاء السريرة والإخلاص في العقيدة. وهذا يفسره سياق آية أخرى مصداقا لقوله تعالى: ﴿وَأَمَّا

الْعَلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنِينَ فَخَشِينَا أَنْ يُرْهَقَهُمَا طُعْيَانًا وَكُفْرًا فَأَرَدْنَا أَنْ  
يُبْدِيَهُمَا رَبَّهُمَا خَيْرًا مِنْهُ زَكَاةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا {342.

كما يوحي قوله تعالى (زكاة) بفرض من فروض المؤمن وهي  
الزكاة، وكانوا آنذاك مكلفين بالقيام بها فقد أوصى الله تعالى سيدنا  
عيسى بها فقال عز من قائل: (وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي  
بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا).

ونعتقد أنّ لا يجب استبعاد احتمال أن تكون الإشارة إلى فعل  
من أفعال يحيى وهو الزكاة الذي كان يؤدّيه على وجه من التمام حتى  
أصبحت كلّ أفعاله زكية مرّكة.

وَكَانَ تَقِيًّا فَإِنَّهُ يَتَضَمَّنُ غَايَةَ الْمَدَائِحِ لِأَنَّهُ هُوَ الَّذِي يَتَّقِي نَهْيَ اللَّهِ  
فِيحْتَنِبُهُ وَيَتَّقِي أَمْرَهُ فَلَا يَهْمَلُهُ، وَأَوْلَى النَّاسِ بِهَذَا الْوَصْفِ مَنْ لَمْ يَعِصْ  
اللَّهَ وَلَا يَهْمُ بِمَعْصِيَةِ وَكَانَ يَحْيَى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَذَلِكَ، وَمَعْنَى  
قَوْلِهِ تَعَالَى وَكَانَ تَقِيًّا { وهذا حين ابتداء تكليفه قلنا: إنّما خاطب الله  
تعالى بذلك الرسول وأخبر عن حاله حيث كان كما أخبر عن نعم الله  
عليه 343.

## 7. برّ:

لقد وصف الله عزّ وجلّ يحيى بأنّه برّ بوالديه لكن ذلك لا يعنى  
أنّ بره يقتصر على الوالدين فقط بل هي صفة لازمة ليحيى في كلّ  
علاقاته الإنسانية القائمة على التواصل.

342 - الكهف 80-81.

343 - تفسير الرازي، ج 10، ص 278.

وصفة البرّ ليحيى جاءت في سياق تعداد الصفات الإنسانية المثلى في هذا النبي ومنها البرّ الذي يقابل الرّحمة عند أبيه زكريا (رحمة ربّك عبده زكريا).

ويحيى يستمد صفة البرّ من اسم الله البرّ وهو من الأسماء الحسنى لله تعالى، ولا نملك إلا أن نقف أمام الاسم الذي يفيض بكلّ معاني الجمال التي يمكن أن ترد على الخاطر أو تخرج حروفا على لسان أكثر أهل الأرض لنا ورأفة ورحمة فكلّ هذا وغيره مشمول في حرفين يسبقهما (ال) التعريف اللذان يحويان لذي القلب الرقيق أن كلّ رحمة وعطف ولين ومحبة قد جمعت في (بر)، و(ال) السابقة التي تفيد الاستغراق والتخصيص فلا (بارّ) ينتهي ببه إلى برّ (البرّ).

البرّ: هو الذي يلتجئ إليه عند كلّ حاجة أو شدة، وهو الذي يمد بالعون والمنفعة، فيكرم ويغني ويرحم ويعز من يشاء ويذل من يشاء، وهو على كلّ شيء قدير.

والبرّ هو المتسع بملكه وهيمنته وبواسع رحمته، وهو الذي يملك الملك بالمطلق فلا ينقص من به شيء، وهو الرّحمن الرّحيم.

البرّ الرّحيم: هو الذي يرحم كلّما تمّ الالتجاء إليه، ولذا كلّما التجأ إليه أحد حفظه من كلّ سوء وعطش وجوع وفاقة. فالبرّ هو الذي يستوعب الكلّ دون أن يستثني أحد من به، ولذا فهو البرّ الكامل بالحسنات ولا نقیصة فيه.

البرّ مصدر وليس مشتقا، أي انه مصدر للاشتقاق، ولذا تستمد الحسنات منه.

فالطائر الذي يحمل الطعام في منقاره الصغير لأفراخ له أعجزها البرّ والصغر والضعف، ممن استمد هذا الحنان؟

استمده من الله البرّ.

والحيوان الذي يحنو على صغيره بالرغم من كونه وحشا غير أليف، من الذي دفعه لتلك الرحمة الحانية على صغير مجهول المستقبل في علاقته بأبويه؟

دفعه لهذه الرحمة الله البرّ الرحيم.

على ذلك فإنّ يحيى النبي العارف بمصدر استمداد الصفات نهل من معاني الاسم الكريم وعمل بها سلوكا تاما. أي أنّ البرّ الذي خُلق عليه يحيى هو المحتوي لصفة البرّ المنعم بها على يحيى من البرّ العظيم. ولأنّ البرّ فضيلة خيرة ولا تستمد إلا من البرّ الرحيم فعلينا أن نتوسّع في تبيان برّ الله تعالى.

البرّ من الأسماء الحسنى لله تعالى، ولا نملك إلا أن نقف أمام الاسم الذي يفيض بكلّ معاني الجمال التي يمكن أن ترد على خاطر أو تخرج حروفا على لسان أكثر أهل الأرض لينا ورأفة ورحمة فكلّ هذا وغيره مشمول في حرفين يسبقهما (ال) التعريف اللذان يحويان لذي القلب الرقيق أنّ كلّ رحمة وعطف ولين ومحبة قد جمعت في (بر)، و(ال) السابقة التي هي للتعريف تفيد الاستغراق والتخصيص فلا (بارّ) ينتهي ببه إلى برّ (البرّ).

هو المحسن والبرّ المطلق هو الذي منه كلّ مبرة وإحسان والعبد إنّما يكون برا بقدر ما يتعاطاه من البرّ ولا سيما بوالديه وأستاذه وشيوخه<sup>344</sup>.

البرّ فاعل البرّ والإحسان<sup>345</sup>.

---

<sup>344</sup> الغزالي المقصد الأسنى، ص 139.

البرّ من أسماء الله تعالى وتقدس "العَطُوفُ الرَّحِيمُ اللطيف  
الكريم" قال ابن الأثير: في أسماء الله تعالى البرّ دون البارّ وهو العَطُوفُ  
على عباده بِرِّهْ وَلطفه، والبرّ والبارّ بمعنى وإنما جاء في أسماء الله تعالى  
البرّ دون البارّ 346.

البرّ: هو الذي يلتجئ إليه عند كلّ حاجة أو شدة، وهو الذي  
يُمد بالعون والمنفعة، فيكرم ويغني ويرحم ويعز من يشاء ويذل من  
يشاء، وهو على كلّ شيء قدير.

والبرّ هو المتسع بملكه وهيمنته وبواسع رحمته، وهو الذي يملك  
الملك بالمطلق فلا ينقص من بره شيء، وهو الرحمن الرحيم.

البرّ الرحيم: هو الذي يرحم كلّما تم الالتجاء إليه، ولذا كلّما  
التجاء إليه أحد حفظه من كلّ سوء وعطش وجوع وفاقة. قال تعالى:  
{وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَاهِيمَ إِذْ قَالَ لِأَيُّهِ وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ قَالُوا نَعْبُدُ  
أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَآكِفِينَ قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُم إِذْ تَدْعُونَ أَوْ يَنفَعُونَكُم  
أَوْ يَضُرُّونَ قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ قَالَ أَفَرَأَيْتُمْ مَا كُنْتُمْ  
تَعْبُدُونَ أَنْتُمْ وَأَبَاؤُكُمْ الْأَقْدَمُونَ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ الَّذِي  
خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ  
يَشْفِينِ وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ  
الدِّينِ رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَالْحَقِّنِي بِالصَّالِحِينَ} 347.

البرّ الرحيم هو الذي يستوعب الكلّ دون أن يستثني أحد من  
بره، ولذا فهو البرّ الكامل بالحسنات ولا نقيصة فيه.

<sup>345</sup> الإيجي كتاب المواقف، ج 3، 323.

<sup>346</sup> لسان العرب، ج 4، ص 54.

<sup>347</sup> الشعراء 69 - 83.

البرّ مصدر وليس مشتقاً، أي أنّه مصدر للاشتقاق، ولذا تستمد الحسنات منه.

فالطائر الذي يحمل الطعام في منقاره الصغير لأفراخ له أعجزها البرّد والصغر والضعف، ممن استمد هذا الحنان؟  
استمده من الله البرّ.

والحيوان الذي يحنو على صغيره بالرغم من كونه وحشا غير أليف، من الذي دفعه لتلك الرحمة الحانية على صغير مجهول المستقبل في علاقته بأبويه؟

دفعه لهذه الرحمة الله البرّ الرحيم.

والأم التي تتحمل ويلات ألم الحمل والوضع والسهر لتنشئة صغير ضعيف ولا تعلم هل سيكافئها بما فعلت بالإحسان أم بالجحود والنكران، وهي مع هذا تشعر بكلّ متعة وسعادة؟ فكيف جمعت في نفسها بين نقيضين ألم وسعادة!

جمعت بين النقيضين بفيض من البرّ الرحيم جعلها تستعذب العذاب وتسعد بالآلام وتستمتع بالوهن لهذا أمر الله الإنسان أن يحسن إلى الوالدين ولاسيما الأم لما أعطت من بر ورحمة ممزوجان بالوهن وهذا ممّا قاله الله تعالى: {وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ} 348، وقال تعالى: {وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبُلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ



هُمَا أَفٍّ وَلَا تَنْهَرُهُمَا وَقُلْ هُمَا قَوْلًا كَرِيمًا وَاحْفَظْ هُمَا جَنَاحَ الدَّلِّ مِنَ  
الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمُهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا {349.

والحقيقة التي لا جدال فيها أن كلّ مظهر من مظاهر البرّ سره  
يكمن في سريان نور الاسم البرّ في هؤلاء الرحماء وغيرهم من مخلوقات  
لا يحصيها إلا الله البرّ الرحيم.

وما وصلنا إليه بعد تعمق في مصادر العلم من كتاب وسنة  
وكتب لغة وكتب تفسير وشرح للحديث أن الاسم البرّ "كمادة لغوية"  
لها علاقة بها بالشكلّ المرسوم هكذا (البرّ) (بالباء المفتوحة) فهذا  
المظهر لا ينطبق إلا على الله البرّ الرحيم.

و(البرّ) بكسر الباء، هو مجموع الخلق الحسن والخير والإحسان  
في صوره وأفعاله، وهذا هو المظهر العملي للبرّ أو ما يمكن أن نسميه  
بالنمط السلوكي المشتمل على القول والفعل والحافز الذي يحفز الفرد  
للفعل بدافع من الشعور الداخلي المفعم بكلّ أحاسيس الوفاء والرغبة  
في تقديم فعل مماثل لما قدّم له من خير في مراحل عمره المختلفة،  
لذلك فإن البار وهو المتخلق بهذا الاسم يحوي الشكر والعرفان وأداء  
ما عليه من واجبات تجاه الآخرين، سواء أحسنوا إليه أم أساءوا،  
فيتوجه بالرحمة والبرّ لكلّ مخلوق على وجه البسيطة، وهذا المتخلق  
الأمثل بالبرّ المطلق هو مدار البحث في أسماء الله الحسنى من حيث  
المدلول والعلاقة بالخليفة المتخلق بالاسم البرّ.

الاسم البرّ في أسماء الله الحسنى:

جاء في التنزيل العزيز قوله تعالى: {إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُ  
هُوَ البرّ الرحيم فَذَكِّرْ فَمَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ} 350

<sup>349</sup> الإسرائ 23، 24.

فقلوله: (إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ) ورد مرة واحدة وفيها إشارة وتنبية لنا بأن البرّ واحد كما أن الله واحد، وأنه لا بر إلا البرّ، ولا أبر من البرّ المطلق لأنه الواحد فلا يبر بره أحد.

والبرّ من صفات الله تعالى وتقدس "العَطُوفُ الرَّحِيمُ اللطيف الكريم"، البرّ وهو العَطُوف على عباده بِبِرِّه ولفظه، والبرّ والبارّ بمعنى واحد وإِنَّمَا جاء في أسماء الله تعالى البرّ دون البارّ 351. وهذا لأن البرّ مصدر من حيث اللغة والبار مشتق اسم فاعل ولا يصح أن يكون البرّ المطلق الذي يسع الكون ومن فيه وما فيه مشتق من غيره بل الذي يصح أن يكون البار الذي يتمثل الاسم البرّ أن يكون مشتقا من البرّ الأعظم المطلق فيتمثل أمره ويحتب نهيته والذي يتمثل بالبرّ هو الخليفة الذي يسع غيره بجوده وإحسانه وعطفه ولطفه وكرمه.

والبرّ هو واسع الإحسان، صادق الوعد، عظيم الجود لعباده، فهو مصدر البرّ يمن بعبائه على عباده في الدنيا والآخرة ولا يقطع الإحسان بسبب العصيان 352. فهو البرّ بعباده، العطوف عليهم ومن مظاهر بره وإحسانه بهم:

#### 1 . بُرُّ بَهْم قَبْلَ عَالَمِ الدَّرِّ.

وهذه المرحلة هي التي يمكن أن نطلق عليها مرحلة اللاشيء لا العدم لأنّ العدم شيء، فهو سبحانه قدر عباده في عباده في اللوح المحفوظ وخلق الخلق ولم يكونوا في عالم الوجود الذي نطلق عليه (شيء) والشيء وجود، أمّا ما قبل الشيء فما هو. بالتأكيد ليس هو

<sup>350</sup> الطور 28، 29.

<sup>351</sup> لسان العرب - ج 4، ص 51

<sup>352</sup> - عبا لمقصود محمّد سالم في ملكوت الله مع أسماء الله ص 104

العدم لأنّ العدم خلق من خلق الله، ولكن خلقهم بالقدرة الربانية من لا شيء قبل خلق الشيء الذي منه العدم ومنه الوجود، بمعنى قدرهم في علمه الذي هو محدث منه ولم يكن له سابق عليه، وهو عزّ وجلّ يظهر من علمه بقدر ما يريد، وقدرته متناهية مع عدم تعارض القدرة مع الإرادة فهو يقدر على كلّ شيء بشرط ألا تتعارض القدرة مع الإرادة وهذا الذي نقول من تمام القدرة المتناغمة المتسقة مع الإرادة.

ومن هنا لما تساءل نبي الله زكريا عليه الصلّاة والسّلام عن الكيفية التي سينجب بها الولد مع علمه بأنّ القدرة الإلهية لا تتعارض مع الأسباب، وإن كان هذا لتعارض في الظاهر أما في حقيقة الأمر فلا تعارض، أخبره الله تعالى بأنّ قدرته لا يحدها حد ولا يقيدها قيد من عقل يتقيد بالسبب ولا يتحرر إلى المطلق، والله عنده المطلق ولا قيد لديه وليس عنده سبب لأنّه خالق الشيء وما قبل الشيء وتقيدنا نحن بالعقل الذي تقيد بالسبب، مع دعوته سبحانه للانفكاك من قيد القيد إلى إطلاق المطلق مع اليقين بأنّه لا مطلق يتأتى إلا من خلال التقيد بقدرة المطلق الواحد، وكان هذا في الحوار الذي وصف لنا قدرة البرّ الرّحيم العطوف الذي لم ينس من يتعلق ببه ورحمته فيكسر له كلّ القواعد الكونية المعمول بها لأنّ تلك القواعد والقوانين والنواميس من خلقه وهو قادر على فعل الشيء وضده مع عدم التعارض بين القدرة والإرادة كما أسلفنا فلما كانت القوانين المتعارف عليها ألاّ ينجب من قد بلغ من الكبر عتيا من زوجة عاقر طاعنة في السن، فهنا لا قدرة بشرية تقدر على فعل شيء ولكن إرادة البرّ عباده الذي يريد أن يدخل السعادة على قلب النبي زكريا عليه الصلّاة والسّلام قدرت غير ذلك فخلقه شيء وهو لم يكن له في السابق شيئا، قال تعالى: {كهيصص ذكراً رحمة ربك عبده زكراً} إذ

نَادَى رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا  
وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِنْ وَرَائِي وَكَانَتِ  
امْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ  
وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا يَا زَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَى لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِنْ  
قَبْلُ سَمِيًّا قَالَ رَبِّ أُنَى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ  
مِنَ الْكِبَرِ عَتِيًّا قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِنْ  
قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئًا {353} فمن عطاء الله وقدرته ورحمته وبره أبقى  
سيدنا زكريا عيه الصلوة والسلام وزوجه على حال الشيخوخة وأحسن  
إليهما وبرهما بنعمة الولد، مع قدرته على ردهما شباب ولا يوجد ما  
يمنع ذلك ولكنه البرّ الذي يملك القوّة والقدرة فيظهر قدرته في بره  
وعطفه، فلا يمنع من عطاءه وبره عقم ولا شيخوخة ولا وهن عظم،  
وكيف يمنعه سبب وهو خالق السبب.

وكيف يسأل عن الشيء وهو خالق الشيء من لا شيء! لذا  
فقد قال الله تعالى: (وقد خلقتك من قبل ولم تك شيئا) وهذا ما قلناه  
إنّه خالق الشيء من لا شيء وهذا اللاشيء هو نقطة الارتكاز في  
إظهار بره الشامل الواسع الذي وسع المخلوقات فهو قادر على بر  
من يشاء دون التقيد بسبب فهو قدر الشيء من لا شيء فلا يمتنع  
على بره شيء.

فله الحكم المطلق والإرادة المطلقة وإليه يرجع الأمر كله ولا إرادة  
إلا إرادته ولا ينفذ إلا أمره.

2 . برُّ بهم وهم في عالم الذر.

قال الله تعالى: {وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِنْ بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ} 354.

وعالم الذر عالم يكمن في عالم التكوين الروحي، عالم له وجود بكيفية أخرى غير مستساغة عقلا وإنما مقبولة تعقلا، وهنا نسأل: أليس العلم الحديث وصل إلى أن يخلق من الخلية الحية مثل لصاحبها.

أليس العلم الحديث قد وصل إلى تقنية يحفظ بها الحيوان المنوي الذكري والبويضة الأنثوية ويستطيع أن يمزجها ليأتي لنا بمخلوق جديد.

والسؤال الذي نتقدم به لكلّ ذي تبصر وتعقل هو:

أليست قدرة الله مطلقة.

أليست حكمة الله مطلقة.

أليس الله فعّال لما يريد.

أليس الإنسان مدعوا لخلافة الله في الأرض.

تلك الأسئلة إذا أجبت عليها إجابة صحيحة فاعلم أنك ممن يحقّ لهم خلافة الله في أرضه. وتوضيح بر البرّ الرّحيم بعباده في عالم الذر أن أوجد فيهم الحقيقة التي لا تقبل النقاش ولا يرقى إليها شك ولا يستطيع أن يطعن فيها طاعن ولا يجادل فيها مجادل، وهذه

الحقيقة تتمثل في الإقرار بالوحدانية لله وإنه سبحانه وتعالى لا شريك له فقال الله تعالى: {وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِنْ بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ وَكَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ} 355.

إن الله تعالى اصطفى الأنبياء، ثم جعل منهم الذرية، أي أن أول المصطفين أبونا آدم عليه الصلوة والسلام وآخريهم سيدنا محمد عليه الصلوة والسلام، فأبنائهم كهيئة الذر، فقد منحهم عقلا يفهم وإرادة تقرر ولسانا ينطق وعينا تبصر وأذنا تسمع، وهنا لنا وقفة لأن السائل من غير المصدقين بما ورد في القرآن الكريم، أو من وقف وراء عقل العقل أو ما يمكن أن نسميه من سجن فهمه في سجن العقل فيقول هذا السائل ومن حقه أن يقول: كيف تجتمع الحواس في نقطة واحدة. وهذه النقطة ذر قد لا ترى بالعين الجارحة. بل ترى بعين الروح والدليل على رؤية عين الروح الرؤى والأحلام التي يراها النائم فبأي عين يرى!

### 3. بُرَّ بهم في أصلاب الآباء.

فالله البرّ لم يترك الأمر سدى فهو نعم المقدر، فقد أخرج الإنسان من مرحلة اللاشياء إلى الشيء في عالم الذر ثم أودعهم أصلاب الآباء وفي علمه المؤمن والكافر، فبر المؤمن بأن خلق له الجنة وعاقب الكافر بأن خلق له النار، فالمؤمن يدخل الجنة برحمة الله ثم بعمله، والكافر يدخل النار بمعصيته لله وبعدل الله في ملكه، فهو

سبحانه وتعالى بیره قد خلق الجميع في أصلاب الآباء على الفطرة  
والفطرة هي الإقرار لله بالعبودية فلم يترك الله البشر في مراحل تقلبهم  
من طور إلى طور بل فطرهم على فطرة الإسلام وصبغهم بصبغة  
الإيمان.

قال الله تعالى: { فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ  
النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ  
لَا يَعْلَمُونَ } 356.

فالأمر للنبي صلى الله عليه وسلم باستمرار التوجه لوجه واحد  
هو وجه الله المقصود دائما وهذا التوجه هو لب الدين المستقيم ومحور  
الوحدانية الخالصة التي فطر الله الناس عليها وخلقهم لها وأودعها في  
أرواحهم فلا يوجد من لا تنازعه نفسه بالتوجه إلى الله وقصده دون  
سواه، ولكنها هموم الدنيا التي شغل الناس بها أنفسهم، فطوبى لمن  
تغلب على الهم وصار من أصحاب الهمم والعزائم التي لا تلين وفرغت  
أنفسها للتوجه لله بالوجه سجودا وبالروح تعلقا وبالقلب ثباتا على  
وجهة الحق لا تقلبا من الحق إلى الباطل تمثلا بقوله صلى الله عليه  
وسلم عن أنس قال: "كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُكْثِرُ أَنْ  
يَقُولَ: " يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ  
أَمَّا بِكَ وَبِمَا جِئْتَ بِهِ فَهَلْ تَخَافُ عَلَيْنَا قَالَ نَعَمْ إِنَّ الْقُلُوبَ بَيْنَ  
أَصْبَعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ اللَّهِ يُقَلِّبُهَا كَيْفَ يَشَاءُ" 357، وعن السيدة  
عائشة أم المؤمنين أنها قالت: "مَا رَفَعَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ  
رَأْسَهُ إِلَى السَّمَاءِ إِلَّا قَالَ يَا مُصَرِّفَ الْقُلُوبِ ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى

356 الروم 30.

357 سنن الترمذي، ج 8، ص 29

طَاعَتِكَ"358، فالقلب معلق بالرّب الذي يقبله حيث يشاء الرّب بعمل العبد ومن عمل العبد التوجه لله بالدعاء باللفظ المنطلق من نية صادقة وإيمان متين بالحفظ من التقلب السيئ الذي يؤدّي إلى المهالك والبعد عن الفطرة السليمة والوجهة الصادقة.

لذا فالله يحفظ الإنسان من التوجه الخاطئ بتوجيه حواسه نحو الفطرة السليمة منذ التكوين ولأن علمه شامل فهو يعلم أهل النّار وأهل الجنّة والكلّ يدخل المكان الذي يستحقّ، بالعدل أو بالرحمة وحتى الإنسان وهو في صلب أبيه أو في رحم أمه لم يترك سدى بل شملته عناية البرّ الرّحيم فعن السيدة عائشة أمّ المؤمنين قالت أُتِيَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِصَبِيٍّ مِنَ الْأَنْصَارِ يُصَلِّي عَلَيْهِ قَالَتْ: قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ طُوبَى لِهَذَا لَمْ يَعْمَلْ شَرًّا وَمَ يَدْرِي بِهِ فَقَالَ: أَوْ غَيْرَ ذَلِكَ يَا عَائِشَةُ إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ الْجَنَّةَ وَخَلَقَ لَهَا أَهْلًا وَخَلَقَهَا لَهُمْ وَهُمْ فِي أَصْلَابِ آبَائِهِمْ وَخَلَقَ النَّارَ وَخَلَقَ لَهَا أَهْلًا وَخَلَقَهَا لَهُمْ وَهُمْ فِي أَصْلَابِ آبَائِهِمْ"359.

وهذه الرحمة من الله البرّ كانت في الأصلاب كما كانت في عالم الذر، فلما أمر الله نبي الله إبراهيم عليه الصّلاة والسّلام بالنداء لأداء الحج بوحدة القصد، وبثبات القلب، وبإقامة الوجه لتنزل الرحمة ومهبط النور في بيته لأكرم في مدينته الأقدس مكة وكان النداء لمن خرج من الأصلاب ومن كان كامنا في الأصلاب ومن كان متخلقا في الأرحام فمن لبي في عالم الذر لبي في الأصلاب ومن لبي في الأصلاب لبي في الأرحام ومن لبي في كل ذلك لبي في عالم الأجساد.

358-مسند أحمد، ج 19، ص 95

359 سنن أبي داود، ج 12، ص 322



وعليه فالله بیره لنا لم يتركنا في أي مرحلة من مراحل وجودنا في كل الأطوار قال الله تعالى: {مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا} 360 هذا الخلق في مراحلہ المختلفة بينه قوله تعالى: {وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ لَمَيِّتُونَ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَائِقٍ وَمَا كُنَّا عَنِ الْخَلْقِ غَافِلِينَ} 361 وأطوارا من معانيها مراحل العمر المختلفة فالله قلب البشر شابا وشيوخا وضعفاء وأصحاء، ومن معاني الكلمة القلب بين أحوال الجسد بين الصحة والسقم والبصر والعمى وغير ذلك، وقد تعني الأحوال من الأخلاق والسلوك لأن خالق الجسد خالق الفعل والسلوك مع عدم المخالفة في تخيير الإنسان في فعل فعله وسلوك سلوكه، وما يناسب المقام الذي نبحت فيه هو الخلق في مرحلة متقدمة بعدا الإيجاد الأول بالخروج من علم الله إلى الوجود بقدرة الله وهو الإيجاد الأول، لأن ما بعد الإيجاد الأول وجود، وفيه صفات عارضة وأحوال متحولة.

وهذا يدل على كمال الخلق والقدرة على الإيجاد وتوالي بر الرب بعباده في جميع أطوارهم فهو سبحانه وجلت قدرته خلقهم من نطفة أمشاج وماء مهين، ثم طورها إلى علقة، ثم طور العلقة مضغة، ثم خلق المضغة عظاما، ثم كسا العظام لحما، ثم أنشأته نشأة أخرى فأقامه في الحياة بمظهر مختلف عن المظاهر السابقة، وهنا نلاحظ جمال اللفظ القرآني أطوارا أي في مراحل مختلفة وهنا يروق لنا أن نضيف

<sup>360</sup> نوح 13، 14

<sup>361</sup> المؤمنون، 12 - 14.

المعنى الحديث الذي يتراءى في ذهن متلقف الكلمة فهي تأتي في سياق جديد وهو التطوير الذي بمعنى التحديث ولكن التطوير في المعنى القرآني بمعنى النقل من مظهر إلى مظهر فتغير الوظيفة بتغير المظهر لأن صنعة الله كاملة لا تحتاج إلى تحديث بمعنى تطوير، فالتطوير بمعنى التحديث يليق في حقّ البشر والتطوير بمعنى النقل يليق في حقّ الله وشتان بين هذا وذاك، إنها قدرة باهرة بديعة عظيمة وسلطة قاهرة دامغة لا نظير لها لله القائل: {أَفَرَأَيْتُمْ مَا تُمْنُونَ أَأَنْتُمْ تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ} 362. ولأنّ الشيء الذي خلق الله منه البشر من برّ الرّب الخالق فهو يسأل في عجب هل هم الذين خلقوا الشيء الأوّل الذي منه الخلق، وهذا لشيء كما سبق أن ذكرنا جاء بعد مرحلة اللاشيء فيقول الله تعالى: {أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمْ الْخَالِقُونَ} 363، وهذا متعلّق ببرّ الرّب بخلقه في تطور أطوارهم وهذا منذ بدء الخلق والإيجاد وهو أقوى دليل على القدرة المطلقة، وبهذا المنطق يستطيع المحاور بالقرآن أن يرد على الذين يعتقدون في نظرية داروين وأمثالها كما في قوله تعالى: {قَتَلَ الْإِنْسَانُ مَا أَكْفَرَهُ مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ مِنْ نُطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَّرَهُ} 364 فالبدائية لا شيء لقوله تعالى: (من أي شيء خلقه) فلا شيء يعرفه الإنسان لأن الشيء لم يكن قد خلق بعد، فلا توجد إجابة، لأن الخلق من اللاشيء بقدرة الله الذي ببره أخرج الخلق من علمه إلى إيجاده، وهنا تُنسَفُ كلّ النظريات الإلحادية التي تقول أن الخلق نشأ وتطور بنفسه وأن الإنسان أصله قرد، وهنا نتحدى هؤلاء ومن شاكلهم ونقول لهم خذوا قردا واعكفوا عليه أنتم ومن اعتقد في قولكم وحددوا المدة التي تكفيكم

<sup>362</sup> الواقعة 58 - 59

<sup>363</sup> الطور 35

<sup>364</sup> عبس، 17 - 19

أنتم وأبنائكم وأحفادكم لتحولوا القرد إلى إنسان، ونخبر أبنائنا بأن ينتظروا ليثبتوا أن الحق أحق أن يتبع، ذلك كله دليل على بر الرب بخلقه عباده وبره بهم في مراحلهم المختلفة، وعليه أتساءل:

. كيف يكون أصل الإنسان قردا والله تعالى يقول: {وَهُوَ الَّذِي

خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا} {365؟

. وكيف نصدق إن أصل الإنسان قردا والله تعالى يقول: {الَّذِي

أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ

سُلَالَةٍ مِنْ مَاءٍ مَّهِينٍ} {366؟

. وكيف نسلم بأن أصل الإنسان قردا والله تعالى يقول: {لَقَدْ

خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ} {367؟

. وكيف نعقل كل ذلك والله تعالى يقول: {إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ

اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا

تَكُنُ مِنَ الْمُمْتَرِينَ} {368.}

بناء على هذه الأسئلة التي تحمل إجاباتها فيها أتساءل:

. ألا يكون من غير اللائق بنا نحن بنو الإنسان أن نقبل بأن

يكون أجدادنا الأبرار هم القردة ونحن نعتبر أصولنا منهم!، وهل يحق

لنا أن نفتخر إذا اقربنا ذلك ونحن المكرمون في الأرض بالاستخلاف

فيها؟

---

<sup>365</sup> الفرقان 54.

<sup>366</sup> السجدة 7، 8.

<sup>367</sup> التين 4.

<sup>368</sup> آل عمران 59، 60.

. آلا يكون من غير المقبول القبول بقول دارون (أصل الإنسان  
 قرد) ونحن نعلم أن أبونا آدم الذي كلمه الله واصطفاه على ما خلق  
 وميزه بالعلم حتى سجد الملائكة له مصداقا لقوله تعالى: {وَإِذْ قَالَ  
 رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ  
 يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي  
 أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ  
 فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا  
 إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ قَالَ يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا  
 أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ الْغَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ  
 وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ  
 فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ {369}.

. وكيف يكون ذلك بحقّ ومنا الأنبياء الكرام صلوات الله  
 وسلامه عليهم جميعا؟

. وكيف يكون ذلك ونحن المؤمنون به واحدا أحدا نفكر ونتذكر  
 ونستغفر ونتوب إليه؟

. وإذا كانت القردة قد تطورت وأصبحت نحن كما يدعي دارون  
 في نظريته للنشوء والارتقاء، فلماذا لا زالت هناك قرود في الغابات  
 وعلى خشب المسارح يلعبون بها (السيرك) الألعاب البهلوانية، فلو  
 افتراضا القردة قد تطورت حتى أصبحت نحن فلما كان اليوم على  
 سطح الأرض منها شيئا، فالنوع عندما يتطور يحل محله بقانون التطور  
 الذي انقلب حاله إليه، ولذا لو تطورت القردة كما يدعون لما بقي  
 منها بين أيدينا شيئا يذكر؟

<sup>369</sup> البقرة 30 - 34.

. وإذا قبلنا بما ذُكر من مثل هذه الادعاءات آلا نقبل بذلك التطور العام الذي يغير حال الكائنات والمخلوقات الأخرى من حيوانات وطيور وأسماك وغيرها كثير أم أنها هي الأخرى كانت غير التي نحن عنها نتحدث. أم أنها قد تطورت ونحن لم نعلم بما كانت عليه. وإذا كانت الإجابة بنعم قد تطورت ونحن الذين لا يعلمون بحالها السابق، أقول: ولماذا علمنا بحال تطورنا كما يدعون بالتطور القردي حتى أصبح من بني الإنسان؟

. وكذلك إذا سلمنا افتراضا بالتطور القردي الذي انتقل إلى المستوى الإنساني، آلا نسلم بأن التطور لا يزال مستمرا ولا ندرى بحالنا كيف نصبح من جديد ليكون التطور منتقلا بنا إلى شيء لا نعرفه.

وعليه لقد خُلق الإنسان في أحسن تقويم ليكون الخليفة البرّ الوارث في أرضه (البرّ الواسع) وفي جنته (البرّ الأوسع) ولهذا فالإنسان أصل في بره مصداقا لقوله تعالى: { وَيَقُولُ الْإِنْسَانُ أَإِذَا مَا مِثُّ لَسَوْفَ أُخْرَجَ حَيًّا أَوْ لَا يَذْكُرُ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ وَلمْ يَكُ شَيْئًا } 370. نعم لقد خلق الإنسان ولم يكن من قبل شيئا، وهذه رد مطلق الحجّة على كلّ من يدعي بأن الإنسان كان قردا ثم تطور حتى أصبح إنسانا.

وأنقل من روايتنا (البستان الحلم) جزءا من حوار أبونا آدم مع زوجته أمنا حواء وأحد أبنائهما الذي يقول فيه: "يا بني ألم تعلم أني أعلم جميع الأسماء وهذه أسرار لم يعلمها غيري. قلت نعم، فقال لعن الله دارون ومن أتبعه، قلت في نفسي الحمد لله لم أكن منهم، واستمر

---

370 مريم 66، 67.

أبونا في الحديث يقول: وهو في حالة غضب، أنه من الغرابة أن يصف الإنسان أمه وأباه وأجداده الأبرار بالحيوان القردى، ويا بني اسأل أخوتك جميعهم لو كنتُ وأمك قردين كما يدعي البعض منهم فقلت حاشاكما، قال: استمع، لو كنا كذلك ألم تكن أنت وهم مثلنا. وقل لهم ليس لدى وقت أنناقش فيه من هو أقل مني علما وحكمة ولا يعلم ما أعلم، ومع ذلك أوصيكم بقراءة كتاب الحكمة وقراءة علم الوراثة الذي ينص على حفظ الأنواع واستمرارها، وإذا أجزتم بأن أصلكم قردى، فأقول لكم إنكم لم تكونوا مني، وإذا أجزتم ذلك أيضا بأنكم قرود متطورة فأقول لكم إذن لماذا قرود اليوم التي تبيعونها في الأسواق وتشترونها وتلعبون بها في (السيرك) وتجرون عليها التجارب العلمية لماذا قرود اليوم باقية بما أن أصلها قد تغير وتطور إلى أن أصبح أنتم أيها السادة كما تدعون. وكيف تقبلون ذلك ومنكم الأنبياء والرسل. وإذا قبلتم بأن أصلكم قردى متطور فعليكم أن تقبلوا باستمرارية التطور إلى نوع آخر لا أدري ماذا سيكون.

اسألهم يا بني عن الأصول التي تطورت منها الأسماك والطيور والزهور والبغال العقيمة، وإذا قبلوا بأنها حافظت على نوعها فاسألهم أيضا عن الأسباب التي جعلتها تحافظ على نوعها ولم تجعل الإنسان يحافظ على نوعه كما يدعون. وقرأ عليهم قوله تعالى: {سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ وَمِمَّنْ أَنْفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ} 371، وقوله: {وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ} 372، الذكر والأنثى من كل نوع، وبالتالي الذين يتساءلون منكم عن أيهما أسبق من الآخر البيضة أم الدجاجة. فإنه تسأول

---

371 ياسين 36.

372 الذاريات 49.

غير صائب إذ لا يمكن أن تكون البيضة ما لم تكن الدجاجة، ولا يمكن أن تكون الدجاجة ما لم تكن البيضة، ولهذا خلق الله من كل شيء زوجين اثنين، فالبيضة إن وجدت بدون حيوان تذكير لا يمكن أن تنتج دجاجة أو تخرج فرخا. الآن أتركك لتتم قصة بستانك على أمك، ولا تنس أهمية بستان المستقبل بالنسبة إليكم. وقبل أن أودع أبي تدخلت أُمِّي بسؤالها وروح الاحتجاج فيها قائلة: هل من يحاوركم بلسان الحكمة يكون قردا. فتدخل أبي قائلاً: لا تعمي الأحكام، هذا ابنك صاحب البستان.

أنا لست في حاجة إليه ولا إلى بستانه.

أعرف يا أُمِّي، ولكن أنا في حاجة إلى رضاك.

إذا أردت رضائي فاسجد لله على أديم هذه الأرض كما سجدت الملائكة عليها لأبيك.

قبلت رأسها وقلت: الحمد لله أني من الساجدين"373.

وهنا لمحة لغوية نرد بها على القارئ الذي سيسأل الآن لماذا يلح المتأمل في أسماء الله الحسنى وصلة الأسماء بالخليفة على الخلط والربط بين البرّ والرّب فنقول أيها الحبيب ذو العقل والبصر والبصيرة انظر إلى مقلوب (بر) فستجد (رّب) فالبرّ هو الرّب والرّب هو الله عزّ وجلّ وهو البرّ الرّحيم جلّ جلاله.

ومن هنا فأطوار خلق الإنسان على النحو المتقدم أقوى في انتزاع الاعتراف بقدرة الله من العبد الذي يفر من الله لا يفر إلى الله،

---

<sup>373</sup> عقيل حسين عقيل، البستان الحلم، مالطا. منشورات الجأ، الطبعة الثانية،

2001، ص 10، 11.

فالله الذي يحيي الإنسان في كافة أطواره، لأنّه يحتاج إلى بر الربّ الأعظم في كلّ مراحل حياته، وكلّ طور منها آية مستقلة ودليل دامغ على بره بخلقه وقدرته المطلقة، وهذا التوجيه في الأطوار المختلفة موجود في الظواهر الكونية في كلّ ما يحيط بنا من سماء وأرض، فالسماء كانت دخانا وكانت رتقا ففتقهما الله بقدرته، والأرض كانت على غير ما هي عليه الآن، حتى أصبحت أرضا وفيها خليفة، ويبين الله بعضا من مظاهر بره في قوله تعالى: {أأنتم أشد خلقا أم السماء بناها رفع سمكها فسواها وأغطش ليلها وأخرج ضحاها والأرض بعد ذلك دحّاها أخرج منها ماءها ومرعاها والجبّال أرساها} 374، هناك تساؤل استغرابي في هذه الآية الكريمة بقوله: (أأنتم أشد خلقا أم السماء بناها رفع سمكها فسواها وأغطش ليلها وأخرج ضحاها والأرض بعد ذلك دحّاها أخرج منها ماءها ومرعاها والجبّال أرساها) أي هل خلقكم أقوى من خلق السماء التي رفعها بغير عمد ترونها.

ومن مظاهر بره وعطفه على خلقه ولطفه بهم توجه إليهم بالنداء وهم في الأصّلاب فقال الله تعالى في قصة بناء سيدنا إبراهيم عليه الصّلاة والسّلام للبيت الحرام وأمر الله له بالنداء له في التّاس ليحجّوا إليه، وكان هذا النداء لمن برزوا إلى الوجود الجسدي وإلى الذين كانوا في الجود الصّلي فقال الله تعالى: {وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَنْ لَا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ} 375 قوله عزّ وجلّ: (وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ) فمن بر الله بإبراهيم أنه أرشده إلى مكان البيت ودله

374 النازعات 27 - 32

375 الحج، 26 - 27.



على موضع البيت، فبناه مع إسماعيل عليهما الصلّاة السّلام ومن بنى البيت ببر من الله البرّ لا يشرك بالله فقال الله تعالى له: (لَا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا) وقال (وَوَهَّزْ بَيْتِي) أن طهر بيتي (الكعبة) من النجاسات ومن عبادة الأوثان (لِلطَّائِفِينَ) لأجل الطائفين بالبيت من غير أهل مكة (والقائمين) المقيمون في مكة (والركع السجود) لأجل الصلّاة بالأوقات المحددة من فرض ونافلة للمسلمين من كلّ مكان الذين يوحدون الله عزّ وجلّ، ثم قال الله عزّ وجلّ: (وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ) بأن ينادي سيدنا إبراهيم عليه الصلّاة والسّلام في النَّاسِ، وذلك أن إبراهيم لما فرغ من بناء الكعبة، أمره الله تعالى أن ينادي فنادى: يا أيها النَّاسِ، أجيئوا ربّكم. إن الله تعالى قد بنى بيتنا وأمركم بأن تحجّوه؛ فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: "لما فرغ إبراهيم عليه الصلّاة والسّلام من بناء البيت أمره الله عزّ وجلّ أن ينادي في الحج، فقام على المنار، فقال: يا أيها النَّاسِ، إن ربّكم قد بنى لكم بيتا فحجّوه، وأجيئوا الله عزّ وجلّ، قال: فأجابوه في أصلاب الرجال وأرحام النساء: أجبناك أجبناك، لبيك اللهم لبيك، قال: فكلّ من حج اليوم فهو ممن أجاز إبراهيم على قدر ما لي" 376 فلما نادى يا أيها النَّاسِ، أجيئوا ربّكم، فأجابوه من أصلاب الرجال: لبيك، فإنما يحج من أجاز سيدنا إبراهيم يومئذٍ.

فعن عمر، رضي الله عنه قال: كنت مع النبي صلّى الله عليه وسلّم جالسا فقال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: "أتدرون أي أهل الإيمان أفضل إيمانا. قالوا يا رسول الله الملائكة. قال: هم كذلك ويحقّ ذلك لهم وما يمنعهم وقد أنزلهم الله المنزلة التي أنزلهم بها بل غيرهم. قالوا: يا رسول الله فالأنبياء الذين أكرمهم الله تعالى بالنبوة والرّسالة.

<sup>376</sup> أخبار مكة للفاكهي - ج 3، ص 30

قال: هم كذلك ويحقّ لهم ذلك وما يمنعهم وقد أنزلهم الله المنزلة التي أنزلهم بها بل غيرهم قال: قلنا: فمن هم يا رسول الله. قال: أقوام يأتون من بعدي في أصلاب الرجال فيؤمنون بي ولم يروني ويجدون الورق المعلق فيعملون بما فيه فهؤلاء أفضل أهل الإيمان إيماناً"377، وهذا من بر البرّ بنا ونحن في الأصلاب ففضلنا الله وجعلنا من أفضل أهل الإيمان إيماناً وليس الأمر كذلك بل جعلنا حاملين للواء الخلافة الربانية على الأرض.

#### 4- بر بعباده في أرحام الأمهات:

فالله سبحانه وتعالى أبر بعباده وهم أجنة في بطون الأمهات بعد أن برهم في عالم الذر في الأصلاب ونماهم وغذاهم من الأرض التي خلق منها أبيهم فقال تعالى: {هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَإِذْ أَنْتُمْ أَجِنَّةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ فَلَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى} 378 فعلمه شامل ورحمته واسعة، والآية تأكيد لقوله: {هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ضَلَّ} 379 فمن يتخيل أو يتوهم بأن يعمل عملاً في جوف الليل المظلم أو في أي مكان ما ولا يعلمه الله فهو واهم لأن الله يعلم أحوال الخلق وهم أجنة في بطون الأمهات، والله عالم بتلك الأحوال فإن الله عالم بأحوالهم وهم في بطون الأمهات، فكتب على البعض أنه ضال، والبعض أنه مهتد، فقال تعالى: (هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنْشَأَكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ) وهنا تأكيد على كمال العلم والقدرة، فإن بطن الأم في غاية الظلمة، ومن علم بحال الجنين فيها لا يخفى عليه ما ظهر من حال العباد خارجها، فمن بره أن أخرج الخلق من الأصلاب

---

377 المستدرك على الصحيحين للحاكم - ج 16، ص 314

378 النجم 32

379 النجم 30

إلى الأرحام ووقّر لهم سبل الحياة، ولا يقدر على ذلك إلى البرّ، فمن بره وإحسانه خلق الرحم في جوف البطن بكيفية تلائم حياة الجنين وتحافظ على حياته إلا إذا أراد الله غير ذلك، وبقدرته سبب له من أسباب الحياة وهذا ما يعجز الخلق جميعا وإن اجتمعوا له فله الحمد والمنة.

5- برّ بعباده وهم أطفال لا يملكون أن يدفعوا ضرا أو يجلبوا نفعا.

فإن الله برّ محسن بعباده بعد إخراجهم من الأصلاب إلى الأرحام ومن الأرحام إلى دار الاختبار فأجرى الرحمة في قلب الأم والحنان في قلب الأب وقد سخر الله الاثنين لتوفير سبل الراحة للطفل الضعيف، فجعل الله الأبوان وليين لطفل، والولاية هي التي يقوم فيها ولي الطفل برعاية شئونه منذ ولادته، ففي فترة الحضانه تحتضنه الأم وتسقيه من ثديها الغذاء ومن صدرها العطف والحنان حتى ترى فيه مظاهر القوّة، ومن تمام البرّ بالطفل فقد حث الإسلام على استيفاء الرضاعة لعامين فقال الله تعالى: ﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُنْمِ الرِّضَاعَةَ﴾<sup>380</sup> والولاية في هذه الفترة خاصة بالأم أو امرأة أخرى تقوم مقامها بالرعاية والرضاعة والحنان، فالطفل في هذه المدة يحتاج إلى أمومة مستمرة حتى يصبح غلاما يألف الناس ويألفونه، أما الوالد فإنه يشارك في هذه الفترة بالإنفاق على الأم حتى تقوم بواجبها، لذا كانت النفقة واجبة عليه فلو حدث أن أم الطفل لم تستطع إرضاعه لقله لبنها أو لمرضها وجب على الأب أن يدفع المال لامرأة أخرى تقوم بإرضاعه قال الله تعالى: ﴿وَإِنْ أَرَدْتُمْ أَنْ تَسْتَرْضِعُوا

---

<sup>380</sup> البقرة 233.

أَوْلَادِكُمْ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُمْ مَا آتَيْتُمْ بِالْمَعْرُوفِ { 381 ثم إن الأب يشارك كذلك بالولاية على الطفل بالعناية والتهديب والإصلاح والحماية حتى إذا انقضت فترة الحضانة استقل الأب بالولاية على النفس فيكون هو الولي، وفي هذه المرحلة يكون الطفل في حال توكلٍ على الأم لأنه في مرحلة ضعف، والأولى من القول أن نعيد الحقيقة إلى نصابها فنقول إن الطفل في حال توكلٍ على بر البرّ من خلال تسخير الأبوين لراحة الطفل، والطفل في مرحلة ضعفه لا يعرف غير أمه ولا يفزع إلى سواها ولا يعتمد على غيرها، فإن رآها تعلق بها، وإن نابه أمرٌ في غيبتها كان بكأوه لفراقها، وأول خاطرٍ يخطر على قلبه أمه لوثوقه بكفالتها وكفايتها له وشفقتها عليه.

ومن نظر في ملكوت السماوات والأرض انكشف له تحقّيقاً أن الله تعالى دبّر الملك والملكوت تديباً لا يجاوز العبد رزقه وإن ترك الاضطراب. فإنّ العاجز عن الاضطراب لم يجاوز رزقه، أما ترى الجنين في بطن أمّه لما أن كان عاجزاً عن الاضطراب كيف وصل سرتة بالأم حتى ينتهي إليه غذاء الأم مهضوم بواسطة السرة، ولم يكن ذلك بحيلة الجنين أو بقدرة منه، ثم لما انفصل سلط الله ببره ورحمته الحب والشفقة على الأم لتتكفل به شاءت أم أبت اضطراباً من الله تعالى إليه بما أشعل في قلبها من نار الحبّ، ثم لما لم يكن له سن يمضغ به الطعام جعل رزقه من اللبن الذي لا يحتاج إلى المضغ، ولأنه لرخاوة مزاجه كان لا يحتمل الغذاء الكثيف فأدر له اللبن اللطيف في ثدي الأم عند انفصاله على حسب حاجته، أفكان هذا بحيلة الطفل أو بحيلة الأم! إذ صار بحيث يوافق الغذاء الكثيف أنبت له أسناناً قواطع وطواحين لأجل المضغ، فإذا كبر واستقل يسّر له أسباب التعلم

---

381 البقرة 233.

وسلوك سبيل الآخرة، فجنبه بعد البلوغ جهل محض لأنه ما نقصت أسباب معيشتة ببلوغه بل زادت، فإنه لم يكن قادرا على الاكتساب، فالآن قد قدر فزادت قدرته، نعم كان المشفق عليه شخصا واحدا وهي الأم أو الأب وكانت شفقتة مفرطة جدا فكان يطعمه ويسقيه في اليوم مرتين وكان إطعامه بإدخال الله تعالى الحب والشفقة على قلبه، فكذلك قد سلط الله الشفقة والمودة والرحمة والرقّة على قلوب المسلمين بل أهل البلد كافة، حتى إن كلّ واحد منهم إذا أحس بمحتاج تألم قلبه ورق عليه وانبعثت له داعية إلى إزالة حاجته، فقد كان المشفق عليه واحدا والآن المشفق عليه ألف وزيادة، وقد كانوا لا يشفقون عليهم لأنهم رأوه في كفالة الأم والأب وهو مشفق خاص فما رأوه محتاجا، ولو رأوه يتيما لسلط الله داعية الرحمة على واحد من المسلمين أو على جماعة حتى يأخذونه ويكفلونه، فما رأى في سني الخصب يتيم قد مات جوعا مع أنه عاجز وليس له كافل خاص، والله تعالى كافله بواسطة الشفقة التي خلقها في قلوب عباده فلماذا ينبغي أن يشتغل قلبه برزقه بعد البلوغ ولم يشتغل في الصبا وقد كان المشفق واحدا والمشفق الآن ألف، نعم كانت شفقة الأم أقوى وأحظى ولكنها واحدة، وشفقة آحاد الناس وإن ضعفت فيخرج من مجموعها ما يفيد الغرض، فكم من يتيم قد يسر الله تعالى له حالا هو أحسن من حال له أب وأم! ولقد أحسن الشاعر حيث يقول:

جرى قلم القضاء بما يكون فسيان التحرك والسكون

جنون منك أن تسعى لرزقٍ ويرزق في غشاوته الجنين<sup>382</sup>

---

<sup>382</sup> إحياء علوم الدين - ج 3، ص 369

وهذه رعاية الوليد الضعيف أو اليتيم التي كان يدعو بها النبي صلى الله عليه وسلم وهي درجة من أعلى درجات التوكل على الله لأنه سبحانه وتعالى الذي يتولى الوليد والضعيف واليتيم ببره ولا يكلفه إلا احد طرفة عين أو أقل، كل ذلك بدفع خفي من البر الرحيم فقال صلى الله عليه وسلم: "اللَّهُمَّ رَحْمَتَكَ أَرْجُو فَلَا تَكَلِّبْنِي إِلَى نَفْسِي طَرْفَةَ عَيْنٍ وَأَصْلِحْ لِي شَأْنِي كُلَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ" 383.

6 . بر بعباده وهم كبار لا يملكون رزقا بإنزال مطر أو تسيير رياح أو بسط أرض أو إنبات نبات، فمن بره وإحسانه بالعباد ما ذكره في قوله تعالى: {إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُعْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَةَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَّاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّى إِذَا أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَنْزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ كَذَلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَى لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ} 384. فمن بره سبحانه وتعالى إنه (هو الذي يرسل الرياح لواقع) لأنه ربنا البر بنا الله الذي خلق السموات والأرض وهو الذي يرسل الرياح اللواقح هواء يحرك المياه الساكنة لتتبخر ولتجري في الأنهار والأودية بعد سقوطها أمطار رحمة على العباد، ولولا ذلك لظلت راكدة وظل بركودها ركود السفن وتعطلت سبل الحياة لا غنى لكثير من الخلق عنها، ولمانت حيوانات في البر والجو والبحر ولكن ببر البر ورحمته

383 سنن أبي داود - ج 13، ص 283

384 الأعراف 54-58.

سخر الريح من الرحمة فقال: (بين يدي رحمته) والرحمة هنا المطر الذي هو من رحمته، وسماه رحمة لأنه المسبب في حياة الأرض الميتة، ولا نضيق الأمر في المطر ونطلق العنان في مجال الرحمة ولكن الحقيقة لا نستطيع عد وحساب ووزن مقدار رحمة الله البرّ لأنّه القائل سبحانه وتعالى: {وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ} 385 جاء الشيء مطلقاً وهو كلّ شيء وأي شيء، والشيء المطلق هو مجال امتداد الرحمة، (حَتَّى إِذَا أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا) حتى إذا حملت هذه الرياح سحباً ثقيلة بما فيه من مطر وغيره من رحمة الله فيسوقه الريح بقدره الله إلى البلد الذي يحتاج إليه فيبعث فيه الحياة، ولا يملك ذلك غير الله البرّ الرحيم.

7. برّ بعباده وهم عصاة لا يملكون ستراً لمعصيتهم فسترهم.

فالله برّ بعباده يسترهم وقت الذنوب ويعفو عنهم إذا رجعوا، لذا فالمتخلق ببرّ البرّ يستر ويعفو وذلك انطلاقاً من خير الهدي هدي النبي صلّى الله عليه وسلّم الذي يحث على الستر ولا يقدر على الستر والعفو من البشر إلى الخليفة الذي تشربّ بمعني البرّ والرحمة واقتدى بالنبي في قوله صلّى الله عليه وسلّم: "من ستر على مسلم ستره الله تعالى في الدنيا والآخرة"، وقال: "لا يستر عبد عبداً إلا ستره الله يوم القيامة" وقال صلّى الله عليه وسلّم: "لا يرى المؤمن من أخيه عورة فيسترها عليه إلا دخل الجنة"، فإذاً على المسلم أن يستر عورة نفسه فحقّ إسلامه واجب عليه كحقّ إسلام غيره. قال أبو بكر رضي الله عنه: لو وجدت شارباً لأحببت أن يستره الله، ولو وجدت سارقاً لأحببت أن يستره الله 386.

---

385 الأعراف 156.

386 إحياء علوم الدين - ج 2، ص 46

وفي الحديث: "إنَّ الله ستر على عبد عورته في الدنيا فهو أكرم من أن يكشفها في الآخرة وإن كشفها في الدنيا فهو أكرم من أن يكشفها مرة أخرى"، وعن عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه قال: خرجت مع عمر رضي الله عنه ليلة في المدينة فيبينما نحن نمشي إذ ظهر لنا سراج فانطلقنا نؤمه فلما دنونا منه إذا باب مغلق على قوم لهم أصوات ولغظ فأخذ عمر بيدي وقال: أتدري من هذا. قلت: لا، فقال: هذا بيت ربيعة بن أمية بن خلف وهم الآن شربَ فما ترى. قلت: أرى أنا قد أتينا ما نهانا الله عنه. قال الله تعالى: (ولا تجسسوا) فرجع عمر رضي الله عنه وتركهم، وهذا يدل على وجوب الستر وترك التبضع، وقد قال رسول الله صَلَّى الله عليه وسلّم لمعاوية: "إنك إن تتبعت عورات النَّاس أفسدتهم أو كدت تفسدهم"، وقال صَلَّى الله عليه وسلّم: "يا معشر من آمن بلسانه ولم يدخل الإيمان في قلبه لا تغتابوا المسلمين ولا تتبعوا عوراتهم فإنه من يتبع عورة أخيه المسلم يتبع الله عورته، ومن يتبع الله عورته يفضحه ولو كان في جوف بيته" 387.

وعن عمار بن ياسر: "أتى رجلا مرت به امرأة فأحدق بصره إليها فمر بجدار فمرس وجهه فأتى رسول الله صَلَّى الله عليه وسلّم ووجهه يسيل دما فقال: يا رسول الله إني فعلت كذا وكذا فقال رسول الله صَلَّى الله عليه وسلّم: إذا أراد الله بعبد خيرا عجل عقوبة ذنبه في الدنيا فإذا أراد به غير ذلك أمهل عليه بذنوبه حتى يوافي بها يوم القيامة كأنه غير". والستر الأكبر في الآخرة أمام الخلائق يوم القيامة اللهم اجعلنا من المستورين في الدنيا بالبعد عن الذنوب وفي الآخرة بالنجاة من النَّار، وستر الآخرة ستر عظيم لأنه يكون أمام الإنس

<sup>387</sup> إحياء علوم الدين - ج 2، ص 46



واجن والملائكة وغير ذلك من خلق الله يعلمهم ولا يحصيهم غيره سبحانه عظيم الجود والإحسان، وعن ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "شكا نبي من الأنبياء إلى ربه فقال يا رب يكون العبد من عبيدك يؤمن بك ويعمل بطاعتك تزوي عنه الدنيا وتعرض له البلاء ويكون العبد من عبيدك يكفر بك ويعمل بمعاصيك فتزوي عنه البلاء وتعرض له الدنيا فأوحى الله إليه إن العباد والبلاد لي وإنه ليس من شيء إلا يسبحني ويهللني ويكبرني فأما عبدي المؤمن فله سيئات فأزوي عنه الدنيا وأعرض له البلاء حتى يأتيني فأجزيه بحسناته وأما عبدي الكافر فله حسنات فأزوي عنه البلاء وأعرض له الدنيا حتى يأتيني فأجزيه بسيئاته" 388.

البرّ هو رحيم بعباده يداوي هفوات النفوس ويبرئ علات القلوب ويصلح نزوات الأجساد ويسمو بالروح إلى نور الطاعة متعاليا بما عن ظلمة المعصية، فبره يمهل العاصي بإمهاله ويستره بستره يعفو عنه برحمته، ومن لم ينل العفو من البرّ فقد لقي الخزي الكبير لأنه عرض نفسه للتهلكة ولعذاب الله وكفي بالمرء عذابا كشف ستر الله له.

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ رَبَّنَا إِنَّكَ مَن تَدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْرَجْتَهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ رَبَّنَا إِنَّنا سَمِعنا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَقَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّكَ لَا

تُخْلِفُ الْمِيعَادَ} 389 فمن بره خلق السموات والأرض وما فيهما من آيات باهرات ومعجزات كبريات وخيرات حسان لا يمكن أن يعددها عاد ولا يحصيها حاص، وهذه الآيات لأولى العقول السليمة الفطنة التي تفحص وتدقق وتصل إلى إن ذلك الجود والبر من البرّ الأكرم الوهاب الأعظم وهؤلاء سماهم الله أولى الألباب أصحاب العقول التي تصل إلى مراد الله في خلقه وتعمل على إصلاح الأرض وتحقيق الخلافة التي أرادها الله عزّ وجلّ، والمنادي للإيمان سيدنا محمد صلّى الله عليه وسلّم وسيلته في ندائه كتاب الله وسنته وهي التطبيق العملي لكتاب الله، والخليفة الذي يأخذ كتاب الله وسنة النبي صلّى الله عليه وسلّم طريقا للنجاة بإتباع طرق الهداية وتعمير الأرض والتفكير في سبل الإصلاح، والذين يتبعون ذلك الهدي يقولون: {رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَى رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأُودُوا فِي سَبِيلِي وَقَاتَلُوا وَقُتِلُوا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ثَوَابًا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ لَا يَعْزَّتْكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلَادِ مَتَاعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَاوَاهُمْ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمِهَادُ لَكِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نُزُلًا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لِلْأَبْرَارِ} 390. دعاء الخليفة على ألسنة الرسل الكرام صلوات الله وسلامه عليهم الذين اصطفاهم الله ليخرجوا الناس من الظلمات على النور، أي من المعصية إلى الطاعة ومن الظلم على العدل ومن الضلال إلى الهداية، والخير الأكبر والبرّ الأعظم طلب الستر في الدنيا وفي الآخرة فيقول كلّ من أراد التزود من بر البرّ بنعمة

389 آل عمران 190 - 194

390 آل عمران 194 - 198.

الستر الأكبر: {وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ} 391 لأننا  
أما برسولك وصدقنا بكلامك، ولذا فمن يفعل ذلك لا يخزيه الله  
ويستره، {يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ} 392 فهذا وعده  
تعالى وهو سبحانه لا يخلف الميعاد.

فإن الله يستر الذنب ويرحم عباده بالمغفرة والهداية وهذا بر  
وإحسان من الله الذي بره دائم متصل حتى لا يفضح العبد يوم  
القيامة، ولكن هناك من يقابل البرّ والعفو والستر بغير ذلك فيفضح  
ستر الله ويتكلم بالمعصية قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "كلّ  
أمّي معافى إلا المجاهرين قالوا يا رسول الله ومن المجاهرين قال الذي  
يعمل العمل بالليل فيستره ربّه عزّ وجلّ ثم يصبح فيقول يا فلان  
علمت البارحة كذا وكذا فيكشف سر الله عزّ وجلّ عنه" 393.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "ما ستر الله على عبد ذنبا  
في الدنيا إلا ستر الله عليه في الآخرة" 394.

والخليفة في حقيقة الأمر متحقّق بأسماء الله فيبر من حوله  
بأعمال الخير ومن أعمال الخير ستر الجماعة المحيطة به والعمل على  
ستر من يستطيع، والستر الذي هو من أعمال البرّ لا يكون بحجب  
الحقيقة بالستر، والفرق كبير بين الستر، والتستر، والخليفة يستر ولا  
يتستر، يستر بالنصيحة والتوجيه وتقديم يد المساعدة ومن ذلك قال  
النبي صلى الله عليه وسلم: "إِنَّ الدِّينَ النَّصِيحَةُ إِنَّ الدِّينَ النَّصِيحَةُ إِنَّ  
الدِّينَ النَّصِيحَةَ قَالُوا لِمَنْ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ لِلَّهِ وَكِتَابِهِ وَرَسُولِهِ وَأُمَّةٍ

---

391 آل عمران 194.

392 التحريم . 8

393 إحياء علوم الدين ج 2 ص 46

394 السابق ص 48.

الْمُؤْمِنِينَ وَعَامَّتِهِمْ أَوْ أُمَّةِ الْمُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ" 395 وقال الله تعالى: {لَيْسَ عَلَى الضُّعْفَاءِ وَلَا عَلَى الْمَرْضَى وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنْفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ وَاللَّهُ عَفُورٌ رَحِيمٌ} 396 فالنصيحة ستر لمن تنصحه بشرط ألا تكون بين يدي الناس أو على مسمع منهم حتى لا يؤذى من تقدم له النصيحة، وهذا النصح من أعمال البرّ الذي يقوم به المتخلق بخلق البرّ، ولذا فالنصيحة تأتي من القوي الذي يملك التغيير بالمال والقوّة والسلطة، وتأتي من الضعيف الذي لا يملك من الأمر إلا الخبرة فلا يمنعه ضعفه وقلة حيلته من النصح لوجه الله ورسوله.

8- بر بعباده وهم تائبون فقبلهم وغفر لهم:

لأنّه يحب التوابين المتطهرين من الذنوب والمعاصي بالطاعة والإجابة إلى الله البرّ الرحيم. قال الله تعالى: {أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ} 397. فالاستفهام للتقرير والتأكيد ومفاده أن الله هو وحده ليس غيره يقبل التوبة عن عباده وفي هذا إطلاق البرّ بعباده لأنه يقبلها عنهم وليس منهم وهذا أقوى وأشمل في قبول التوبة، وكيف لا وهو الذي ستر وقبل التوبة ووعد بالمغفرة فقال: {أَوَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْعَفُورُ الرَّحِيمُ وَأَنْبِئُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِنْ

<sup>395</sup> سنن أبي داود، ج 13، ص 107

<sup>396</sup> التوبة 91.

<sup>397</sup> التوبة، 104

قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصِرُونَ وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ {398}.

الله سبحانه وتعالى يوضح في الآيات كمال رحمته وفضله وإحسانه في حقّ العباد وقد احتج البعض بهذه الآية على أنه تعالى يعفو عن الكبائر لأن خصّص اسم العباد للمؤمنين فقال تعالى: {وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا} {399} وقال: {عَيْنَا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ} {400} ولفظ العباد في مجال التوقير لذلك فهو يخص المؤمنين بالله ولأن المؤمنين هم الذين يعترفون بكونهم عباد الله، أما المشركون فإنهم لا يسمون أنفسهم بذلك، وعليه فقوله: (يا عِبَادِي) لا يليق إلا بالمؤمنين، إذا ثبت هذا فنقول إنه تعالى قال: (الذين أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ) وهذا في حقّ جميع المسرفين، ثم قال تعالى: (إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا) وهذا يقتضي كونه غافرا لجميع الذنوب الصادرة عن المؤمنين، لا عن غيرهم لأنهم لا يرجعون إليه بالتوبة ولذلك قال الله تعالى بعد هذه الآية: (وَأَنْبِئُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصِرُونَ) ولو كان المراد من أول الآية أنه تعالى غفر جميع الذنوب لجميع العبيد لما أمر بعده بالتوبة والإنابة إليه، ولما خوفهم بنزول العذاب عليهم من حيث لا يشعرون، وقوله تعالى: (أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتِي عَلَىٰ مَا فَرَّطْتُ فِي جَنبِ اللَّهِ) ولو كانت الذنوب كلّها مغفورة، فأبي حاجة به إلى أن يقول: (يا حسرتي على ما فَرَّطْتُ فِي جَنبِ اللَّهِ)، وليس ذلك إغراء بالمعاصي وإطلاق في الإقدام عليها، لأنه لا يليق بحكمة الله، وإذا ثبت هذا وجب أن يحمل على أن يقال المراد منه التنبيه على أنه

---

398 الزمر 51-55

399 الفرقان . 63

400 الإنسان . 6

لا يجوز أن يظن العاصي أنه لا خلاص له من العذاب نهائياً، فإن من اعتقد ذلك فهو قانط من رحمة الله، إذ لا أحد من العصاة المذنبين إلا ومتى تاب زال عقابه وصار من أهل المغفرة والرحمة، فمعنى قوله تعالى: (إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا)، بالتوبة والإنابة، فعليه كلّ الذنوب مغفورة قطعاً بإذن الله للتائب النائب، وذلك لأن صيغة يغفر صيغة المضارع، وهي للاستقبال والاستمرار وهذا من مطلق الرحمة والبرّ.

ومن أرد الخلافة فهو يجد وكذا في دعوة الناس للعودة إلى الله والإيمان به حتى يتوب الله عليه، وتلك دعوة عامة للقاصي وللداني ولسان حال العاملين على بر من لهم التمثل بقوله تعالى: { يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ يَغْفِرَ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ وَمَنْ لَا يُجِبْ دَاعِيَ اللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءُ أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ } 401 فمن الرحمة في الدعوة إلى البرّ اللين في الدعوة لأن اللين مظهر من مظاهر الرحمة، والاستجابة لله بالعودة إليه والإيمان به وجزاء ذلك المغفرة والرحمة والنجاة من عذاب أليم أعده الله لمن يصر ويتجبر ويتكبر ولا يعود إلى ربّه البرّ به، فمن لا يستجيب لهذه العودة لن يجد إلا العذاب ولا ينقذه منه أهل الأرض والسماء، وهو بهذا لا محالة في ضلال مبين.

ويقول الله تعالى: { وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ وَيَسْتَجِيبُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ وَالْكَافِرُونَ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ } 402.

---

401 الأحقاف 32

402 الشورى 25-26

(وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ) والتوبة هي الرجوع عن المعاصي بالندم عليها والعزم على أن لا يعاودها تكراراً. ورَوَى جَابِرٌ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ أَعْرَابِيًّا دَخَلَ مَسْجِدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَقَالَ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ وَكَثَّرَ فَلَمَّا فَرَغَ مِنْ صَلَاتِهِ قَالَ لَهُ عَلِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَا هَذَا إِنَّ سُرْعَةَ اللِّسَانِ بِالِاسْتِغْفَارِ تَوْبَةُ الْكَذَّابِينَ وَتَوْبَتِكَ هَذِهِ تَحْتَاجُ إِلَى التَّوْبَةِ فَقَالَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، وَمَا التَّوْبَةُ قَالَ اسْمٌ يَقَعُ عَلَى سِتَّةٍ مَعَانٍ: عَلَى الْمَاضِي مِنَ الذُّنُوبِ النَّدَامَةُ، وَلِتَضْيِيعِ الْفَرَائِضِ الْإِعَادَةُ وَرُدُّ الْمَظَالِمِ وَإِذَابَةُ النَّفْسِ فِي الطَّاعَةِ كَمَا رَبَّيْتَهَا فِي الْمَعْصِيَةِ وَإِذَاقُهَا مَرَارَةَ الطَّاعَةِ كَمَا أَذَقْتَهَا حَلَاوَةَ الْمَعْصِيَةِ وَالْبُكَاءُ بَدْلُ كُلِّ ضِحْكٍ ضَحِكْتَهُ. (وَيَعْفُوا عَنِ السَّيِّئَاتِ) صَغِيرَهَا وَكَبِيرَهَا دُونَ أَنْ يَشْرَكَ بِهِ مَنْ يَشَاءُ (وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ) كَائِنَا مَا كَانَ مِنْ خَيْرٍ وَشَرٍّ فَيَجَازِي وَيَتَجَاوَزُ حَسَبَمَا تَقْتَضِيهِ مَشِيئَتُهُ الْمَبْنِيَّةُ عَلَى الْحِكْمِ وَالْمَصَالِحِ. وَفَرَى مَا تَفْعَلُونَ بِالتَّائِبِ. (وَيَسْتَجِيبُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ) أَيِ يَسْتَجِيبُ اللَّهُ لَهُمْ فَحُذَفِ اللَّامُ كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: (وَإِذَا كَانُوا لَهُمْ) أَيِ كَالْوَالِدِ لَهُمْ، وَالْمَرَادُ إِجَابَةُ دَعْوَتِهِمْ وَالْإِثَابَةُ عَلَى طَاعَتِهِمْ فَإِنَّهَا كَدَعَاءٍ وَطَلَبٍ لِمَا يَتَرْتَبُ عَلَيْهَا، وَمَنْهُ قَوْلُهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: "أَفْضَلُ الدَّعَاءِ الْحَمْدُ لِلَّهِ". أَوْ يَسْتَجِيبُونَ بِالطَّاعَةِ إِذَا دَعَاهُمْ إِلَيْهَا. وَعَنْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ أَدَهْمٍ أَنَّهُ قِيلَ لَهُ مَا بَالُنَا نَدْعُو فَلَا نَجَابُ قَالَ لِأَنَّهُ دَعَاكُمْ وَلَمْ تَجِيبُوهُ ثُمَّ قَرَأَ: (وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلَامِ) وَقَوْلُهُ: (وَيَزِيدُهُمْ مِّنْ فَضْلِهِ) عَلَى مَا سَأَلُوا وَاسْتَحْفُوا بِمَوْجِبِ الْوَعْدِ. وَقَالَ تَعَالَى: (وَالْكَافِرُونَ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ). بَدَلَ مَا لِلْمُؤْمِنِينَ مِنَ الثَّوَابِ وَالْفَضْلِ الْمَزِيدِ 403.

والتوبة من شروطها أن تكون بنية صافية ورغبة في إصلاح النفس وعدم العودة إلى المعصية فهي ليست متاحة أو مباحة لكافر يصر على كفره ولا لمصر على الكبيرة يفعلها دون رادع قال الله تعالى: {وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّىٰ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْآنَ وَلَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَٰئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا} 404.

ولأنَّ الله بر رحيم يحب اللين فالخليفة يتخلق بذلك يدعو باللين ويترك الفظاظة والغلظة في الوصول إلى قلوب النَّاس وليس أدل على ذلك من بر النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعد أن فتح الله عليه مكة، ولما نزل رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مكة واطمأن النَّاس خرج حتى جاء البيت فطاف به سبعا على راحلته فلما قضى طوافه دعا عثمان بن طلحة فأخذ منه مفتاح الكعبة ففتحت له فدخلها فوجد بها حمامة من عيدان فكسرها بيده ثم طرحها ثم وقف على باب الكعبة فقال: "لا إله إلا الله وحده لا شريك له صدق وعده ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده" وقال: "يا معشر قريش إنَّ الله أذهب عنكم نخوة الجاهلية وتعظمها بالآباء النَّاس من آدم وآدم من تراب ثم تلا هذه الآية { يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ } 405 ثم قال "يا معشر قريش ما ترون أنى فاعل فيكم قالوا خيرا أخ كريم وابن أخ كريم ثم قال اذهبوا فأنتم الطلقاء ثم جلس في المسجد فقام إليه على ومفتاح الكعبة في يده فقال يا رسول الله اجمع لنا الحجابة مع السقاية صَلَّى اللهُ عَلَيْكَ.

404 النساء 18

405 الحجرات 13.



فقال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَيْنَ عَثْمَانُ بْنُ طَلْحَةَ  
فَدَعِيَ لَهُ فَقَالَ هَاكَ مِفْتَاحُكَ يَا عَثْمَانُ الْيَوْمَ يَوْمَ بَرَّ وَوَفَاءً 406.

والشاهد إن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رفض أن يقسو على من  
آذوه وبرهم وأعطاهم ما كان لهم من فضل في الجاهلية ولم يؤثر أحدا  
على أحد وبر بهم وعفا عنهم.

ومن مواقف البرِّ والرحمة ما حدث بعد أحد بعد انكسار  
المسلمين بسبب تخليهم عن طاعة أمر النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ  
طمعا في غنيمة المعركة، فلم يعنفهم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بل واساهم  
وطمأنهم وبر بهم ويوضح الله ذلك في كتابه فقال: {إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا  
مِنْكُمْ يَوْمَ التَّقْيِ الْجُمَعَانِ إِتْمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِيَعْضِ مَا كَسَبُوا وَلَقَدْ  
عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ  
كَفَرُوا وَقَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ إِذَا ضَرَبُوا فِي الْأَرْضِ أَوْ كَانُوا غُزًى لَوْ كَانُوا  
عِنْدَنَا مَا مَاتُوا وَمَا قُتِلُوا لِيَجْعَلَ اللَّهُ ذَلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ يُحْيِي  
وَيُمِيتُ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ وَلَئِن قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ مُتُّمْ لَمَغْفِرَةٌ  
مِنَ اللَّهِ وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ وَلَئِن مُتُّمْ أَوْ قُتِلْتُمْ لَإِلَى اللَّهِ تُحْشَرُونَ  
فِيمَا رَحِمَهُ مِنَ اللَّهِ لَئِن تَهُمَّ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ  
حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ  
فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ إِنْ يَنْصُرْكُمْ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ  
وَإِنْ يَخْذُلْكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرُكُمْ مِنْ بَعْدِهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ  
الْمُؤْمِنُونَ} 407.

قال تعالى: (يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين كفروا وقالوا  
لإخوانهم إذا ضربوا في الأرض أو كانوا غزى لو كانوا عندنا ما ماتوا

<sup>406</sup> عيون الأثر - ج 2، ص 199

<sup>407</sup> آل عمران 155-160.

وما قتلوا ليجعل الله ذلك حسرة في قلوبهم والله يحيي ويميت والله بما تعملون بصير) أي لا تكونوا كالمنافقين الذين ينهاون إخوانهم عن الجهاد في سبيل الله والضرب في الأرض في طاعة الله عز وجل وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم ويقولون إذا ماتوا أو قتلوا: لو أطاعونا ما ماتوا وما قتلوا (ليجعل الله ذلك حسرة في قلوبهم) لقللة اليقين برهم (والله يحيي ويميت) أي يعجل ما يشاء ويؤخر ما يشاء من ذلك من أجابهم بقدرته. قال تعالى: (ولئن قتلتم في سبيل الله أو متم لمغفرة من الله ورحمة خير مما يجمعون) أي إن الموت لكائن لا بد منه فموت في سبيل الله أو قتل خير لو علموا وأيقنوا مما يجمعون من الدنيا التي لها يتأخرون عن الجهاد تخوف الموت والقتل لما جمعوا من زهرة الدنيا زهدا في الآخرة (ولئن متم أو قتلتم) أي ذلك كان (إلى الله تحشرون) أي إن إلى الله المرجع فلا تغرنكم الدنيا، ولا تغتروا بها، وليكن الجهاد وما رغبتكم الله فيه من ثوابه أثر عندكم منها، والجهاد حق لإحقاق الحق، من أجل إصلاح الأرض وأعمارها، وهذه من صفات وأعمال المستخلفين فيها.

قال وتعالى: {فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًا غَلِيظًا الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ إِنْ يَنْصُرْكُمْ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِنْ يَخْذُلْكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرْكُمْ مِنْ بَعْدِهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ} 408، فقله: (لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ) أي لتركوك (فاعف عنهم) تسامح معهم وتجاوز عما يفعلون (واستغفر لهم وشاورهم في الأمر فإذا عزم فتوكل على الله إن الله يحب المتوكلين) فذكر لنبية صلى الله عليه وسلم لينه لهم وصبره عليهم لضعفهم وقلة

<sup>408</sup> آل عمران 159، 160.

صبرهم على الغلظة لو كانت منه عليهم في كلّ ما خالفوا عنه ممّا افترض عليهم من طاعة نبيهم صلّى الله عليه وسلّم. ثم قال تبارك وتعالى: (فاعف عنهم) أي تجاوز عنهم (واستغفر لهم) ذنوبهم (وشاورهم في الأمر) أي لترتهم أنك تسمع منهم وتستعين بهم وإن كنت غنيا عنهم تألفا لهم بذلك على دينهم (فإذا عزمتم) أي على أمر جاءك مني وأمر من دينك في جهاد عدوك لا يصلحك ولا يصلحهم إلا ذلك فامض على ما أمرت به على خلاف من خالفك، وموافقة من وافقك، (فتوكلّ على الله)409.

ولهذا فالبرّ إحسان واسع به يتم التمكن من المشاركة الواسعة واستيعاب الآخرين الذين يتعلق المر بهم، قال تعالى: (وشاورهم في الأمر) هكذا بدأ تأسيس الشورى في الإسلام لأجل ممارسة الحقوق وأداء الواجبات وحمل المسؤوليات، والشورى تعني فيما تعني: أخذ الرأي بعد تبيان الأمر واستيضاحه مصداقا لقوله تعالى: {وشاورهم في الأمر}410. ويقول ابن منظور: "شاورهم تعني استخرج آراءهم"411 أما الشيخ الشعراوي فيقول: "المشورة هي تلقيح الرأي بآراء متعددة"412. وهذا يدل على أن الشورى في الفكر الإسلامي ممارستها حقًا للجميع الذكور والإناث، ولذلك يستوجب ممارسة الشورى في الأمر.

والأمر هو، كلّ ما يتعلق بالإنسان من حقوق وواجبات ومسؤوليات، سواء كان هذا الأمر سياسة داخلية أم خارجية، أو كان

---

409 الروض الأنف، ج 3، ص 304

410 آل عمران، 159.

411 تفسير الجلالين. بيروت، دار الفكر، ص 94.

412 محمّد متولي شعراوي، تفسير الشعراوي. القاهرة. أخبار اليوم، المجلد الثالث، ص

1840.

هذا الأمر في حالة السلم أو في حالة الحرب، وسواء كان اقتصادا أو علاقات اجتماعية، ولذلك في الآية السابقة يخاطب الله عز وجل رسوله الكريم ويلزمه بالمشاورة في الأمر، أي وكأنه يقول، في وجودك يا رسول الله لا ينبغي أن تقرر أي شيء يتعلق بالناس نيابة عنهم، بل ما يتعلق بهم من أمرٍ يجب أن تكون فيه في حالة شورى معهم، ولذلك كانت الآية (وشاورهم في الأمر) موجهة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم لتبين له أهمية المشاورة في الأمر مع الذين يتعلق الأمر بهم. ثم قال له: (وإذا عزمتم فتوكل) أي إذا وصلت معهم إلى قرار فاعتمدهم لهم للتنفيذ حتى تكون لهم المشاركة في كل ما يتعلق بهم من أمر، وحينها يتحملوا معك الأعباء التي قد تترتب على ما اتخذوه من قرارات.

وفي حالة ما لم يكن الرسول عليه الصلاة والسلام معهم يصبح الأمر بينهم شورى مصداقا لقوله تعالى: {وأمرهم شورى بينهم} 413. إذن بكل وضوح إن الأمر الذي يتعلق بالناس في فترة الرسول صلى الله عليه وسلم كان في حالة شورى بين الرسول والآخرين الذين يتعلق الأمر بهم. أما من بعده فيترك الأمر بين الذين يتعلق بهم شورى يقررون ما يشاءون فيه، وينفذونه كما يشاءون وفقا لإمكاناتهم المتاحة والمتوفرة، ولهذا لا ينبغي أن يتقدم أحد لينوب عن الناس فيما يتعلق بهم من أمر. وكلمة أمرهم، تتكون من جزأين هما: (أمر)، و(هم)، فالأمر هو ما سبق تبيانه، أما (هم) فجاءت مطلقة أي كل من هم على علاقة ارتباط مع الأمر، وهذا يعني لا وجود في الممارسة الديمقراطية بالمفهوم الفكري الإسلامي لأقلية وأغلبية، بل الوجود فقط للكل دون استثناء، وكلمة بينهم الظرفية تعني، أن تقتصر

---

413. الشورى، 38.

الشورى في الأمر على الذين يعينهم الأمر فقط، ولا مكان لغير ذلك في المشاركة الديمقراطية، ولتأكيد هذا الاقتصار قال عزّ وجلّ بينهم، ولم يقل بين الحاكم والمحكومين، أو بين السادة والعبيد، أو بين المسؤول وغير المسؤول. وقد يتساءل البعض: إذا كان الأمر هكذا حاله، فإنّ الديمقراطية إذن مطبقة في المجتمعات الإسلامية، أليس كذلك. وللأسف الإجابة بأجل، وذلك لأن الفكر الإسلامي في الشرق والتطبيق الإسلامي في الغرب (أعني وللأسف في اتجاهين متباعدين) نأمل أن يسود العدل والبرّ بين النّاس رحمة ومغفرة وتوبة وإصلاح في الأرض.

ولأنّ الله برّ رحيم لم يترك عبده المؤمن دون عناية ورعاية فأرسل الرّسول الخاتم صلّى الله عليه وسلّم ليعلم الكافة الدين الحقّ، الذي يجعلهم على الحقّ عدلا وإحسانا، ويجعلهم أمرين بالمعروف وناهين عن المنكر، ليكونوا أعزاء كرام يوحدون الله ولا يشركون به شيئا.

ومن بره يثبت المؤمن الذي آمن به ربّا برا رحيمًا وبالنبي صلّى الله عليه وسلّم نبيا رسولا من ربّ العالمين وهذا الثبات بقوله الحقّ الذي كان متمسكا بها في الدنيا وثبت عليها ودافع عنه ليشبّتهم على القول الثابت حتى تطمئن قلوبهم على الحقّ وبه، قال تعالى: {يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ} 414.

(يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ) هي كلمة التوحيد، وكلام الله الذي لا يتبدل ولا يتغير وإن تغير الزمن وذلك لصلاحية القرآن الكريم لكلّ زمان. (في الحياة الدنيا وفي الآخرة) وقال: (وَيُضِلُّ

الله الظالمين) الذين ظلموا أنفسهم بجهالتهم وكفرهم وشركهم، وبظلم الناس الذين لهم علاقة بهم، من أبنائهم وأزواجهم الذين جعلوهم يشبوا على الكفر والشرك وهذه مظالم جارنا الله منها.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن الله تعالى يقبل توبة عبده ما لم يغرغر".

وقال الشاعر:

يا فرقة الأحباب لا بد لي منك .. ويا دار دنيا إنني راحل عنك  
ويا قصر الأيام مالي وللمنى .. ويا سكرات الموت مالي وللضحك  
فما لي لا أبكي لنفسى بعبرة .. إذا كنت لا أبكي لنفسى فمن يبكي  
ألا أي حي ليس بالموت موقنا .. وأي يقين أشبه اليوم بالشك 415

ولأنه البرّ الرحيم يلتجئ الخليفة إليه تعبد ودعاء كلّ حين ويظهر ذلك في دعائه في كلّ صلاة وهو يحمد على رحمته وبره له في الأرض ويوم يبعثون، مصداقا لقوله تعالى: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾ {416، والبرّ من الله على الصراط بنور منه يعطيه للمؤمن ليمر على الصراط دون خوف أو وجل قال الله تعالى: ﴿يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَى نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ بُشْرَاكُمُ الْيَوْمَ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انظُرُونَا نَقْتِسِسْ مِنْ نُورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا فَضُرِبَ

<sup>415</sup> فيض القدير، عبد الرؤوف المناوي، ج 4، ص 500.

<sup>416</sup> الفاتحة 1-7

بَيْنَهُمْ بِسُورٍ لَهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ يُنَادُواهُمْ  
أَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ قَالُوا بَلَىٰ وَلَكِنَّكُمْ فَتَنْتُمْ أَنْفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَارْتَبْتُمْ  
وَعَرَّيْتُمْ الْأُمَانِيَّ حَتَّىٰ جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ وَعَزَّيْتُمْ بِاللَّهِ الْغُرُورَ فَالْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ  
مِنْكُمْ فِدْيَةٌ وَلَا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مَأْوَاكُمُ النَّارُ هِيَ مَوْلَاكُمْ وَبِئْسَ  
الْمَصِيرُ {417}.

قال عز وجل: (يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ) "في يوم القيامة  
على الصراط، والنور في حقيقته استبشار وطمأننة نفس ورضاء  
بالمكارم التي وهبها لهم البرّ الرحيم جلّ جلاله، (يسعى نُورُهُمْ بَيْنَ  
أَيْدِيهِمْ وبأيمانهم) بتصدقهم في الدنيا، أي بما قدمت أيديهم من عمل  
صالح في الحياة الدنيا وبما سلكوا وفعلوا فيها من خيرات حسان نالت  
الجزء الأوفى من البرّ الرحيم، فلم تكن وجوههم مسودة كما هو حال  
المعذبين بما جنت أيديهم في الدار الدنيا من مظالم ومفاسد وسفك  
دماء بغير حقّ، فهؤلاء لهم الظلمة، وللوارثين المستخلفين النور الذي  
به اهدوا إلى الصراط المستقيم ففازوا في الدارين، فيكون النور بين  
أيديهم، وأيمانهم الذي كان سببا في جلب النور إليهم. وتقول لهم  
الملائكة: (بُشْرَاكُمْ الْيَوْمَ) أبشروا هذا اليوم بكرم الله تعالى وبره لكم.  
(جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها) الجنات متعددة ومتنوعة  
وغير مختلفة، فهي كلّها خيرات حسان، ولكلّ حسب ما قدمت يداه  
من حسنات في الدار الدنيا، أي ولكلّ درجات في الجنات المتنوعة  
والمتعددة، وهذه الجنات هي ديار البقاء الدائم" 418 (ذلك هو الفوز  
العظيم)، الفوز الذي لا يناظره فوز من حيث العظمة وهي الدرجة  
الرفيعة العالية المملوءة بالخيرات الحسان، (يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ

<sup>417</sup>الحديد 12-13

<sup>418</sup>بحر العلوم، ج 4، ص 251.

والمنافقات لِلَّذِينَ ءَامَنُوا انظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِنْ نُورِكُمْ) نُصِبَ مِنْ نُورِكُمْ،  
 فنضيء معكم، والاقْتَبَاسُ أخذ من أصل ثابت، دون أن يؤثر ذلك  
 على المأخوذ منه، والمنافقون هم الذي لم يدخل الإيمان قلوبهم في  
 الحياة الدنيا، فكذبوا ولم يكونوا من الصادقين فيما قالوا وعاهدوا.  
 وروي أنه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «بينما العباد يوم القيامة عند  
 الصراط، إذ غشيتهم ظلمة. ثم يقسم الله تعالى النور بين عباده،  
 فيعطي الله المؤمن نورا، ويبقى الكافر والمنافق لا يعطيان نورا، فكما لا  
 يستضيء الأعمى بنور البصر، كذلك لا يستضيء الكافر والمنافق  
 بنور الإيمان، فيقولان: أنظرونا نقتبس من نوركم، فيقال لهم: (قِيلَ  
 ارجعوا) حيث قسم النور فيرجعون، فلا يجدون شيئا، فيرجعون دون  
 مكاسب، وقد ضرب بينهم بسور. وعن الحسن البصري قال: إن  
 المنافقين يخادعون الله، وهو خادعهم، لأنه يعطي المؤمن والمنافق نورا،  
 فإذا بلغوا الصراط، أطفئ نور المنافق، فيقول: المنافقون (أنظرونا  
 نَقْتَبِسْ مِنْ نُورِكُمْ) أنظرونا: أمهلونا إلى حين. فقال لهم المؤمنون:  
 ارجعوا (وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا) ارجعوا إلى ما فاتكم، وهم يعلمون أنهم  
 لن يرجعوا ولكن ذلك يدل على الاستحالة، التي من بعدها لا ينفع  
 الندم. والتماس النور لا يتم إلا من البرِّ الرَّحِيمِ، ولهذا فهم الذين لم  
 يستجيبوا له حتى يكون لهم منه نورا. (فَضْرِبَ بَيْنَهُمْ بِسُورٍ) فصل  
 بينهم فأصحاب النوار هم في جنات النعيم، وأصحاب النفاق  
 والضالين عن الهداية هم في نار جهنم والحمد لله رب العالمين. والسور  
 الذي ضرب بينهم (لَهُ بَابٌ بَاطِنَةٌ) باب السور داخله فيه الرحمة،  
 والرحمة جنة واسعة، فلا يدخلها إلا الخلفاء والوارثين في الدارين.  
 (وظاهره من قَبْلِهِ الْعَذَاب) والظاهر هو المشاهد للعيان بالنسبة للكفرة  
 والمشركين، فهم بطبيعة الحال لا يرون إلا النار، وذلك لأنهم لم يدخلوا  
 مع الباب الذي باطنه الرحمة (الجنة)، أي لم ولن يتمكنوا من بلوغ



باب الجنة ليروها أو ليدخلوا منه فهذا الأمر فيه حكم مطلق بعدم دخوله إلا لمن كان خليفة في الأرض فأصلح ولم يفسد فيها ولم يسفك الدماء بغير حق. والنار باب فيجاوز فيه المؤمنون، ويبقى المنافقون على الصراط في الظلمة (ينادونهم) من وراء السور (أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ) يعني: ألم نكن معكم في الدنيا، فيجيبهم المؤمنون أي دنية! الدنيا دار فانية، لم يبق منها إلا العمل الصالح وأنتم لم تفعلوه ولهذا كانت الإجابة بقولهم: (قَالُوا بَلَى) يعني: قد كنتم معنا في الدنيا، أو في الظاهر. (وَلَكِنكُمْ فَتَنْتُمْ أَنْفُسَكُمْ) قد أصبتم أنفسكم حيث كفرتم في السر 419.

ولما كان الله هو البرّ فقد أفاض بالبرّ على الخلق والبرّ (بكسر الباء) من الخلق تجاه الله البرّ يعني الصّدق والطاعة وفي التنزيل: {لَيْسَ الْبِرُّ أَنْ تُولُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ} 420 ولكن البرّ برّ من آمن بالله، فليس البرّ حركات دون نية ولكن أعمال بإقرار ويقين وإيمان بالله بأنه صاحب النعمة مصداقا لقوله تعالى: {وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ} 421 فمن نعمة الله عزّ وجلّ علينا الهداية إلى الإيمان به، والتوفيق للتصديق بنبيه، والإقرار بصحة نبوته، الاعتراف بصدقه وأمانته، والإذعان لإتباعه والجد في طاعته وعصمنا من الضلالة التي هلك فيها عصاة عباده، وعتاة خلقه، فالحمد لله

<sup>419</sup> المصدر السابق، ج 4، ص 254.

<sup>420</sup> البقرة 177.

<sup>421</sup> النحل 53

على نعمته علينا في ديننا ودينانا، وله الشكر على إحسانه إلينا في جميع شؤوننا، ونظره لنا فيما يصلحنا، ويعود علينا بالفوز في معادنا، والنجاة يوم حشرنا.

وللبر طريق لمن أراد أن يسلك إلى البرّ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "عَلَيْكُمْ بِالصِّدْقِ فَإِنَّ الصِّدْقَ يَهْدِي إِلَى الْبِرِّ وَإِنَّ الْبِرَّ يَهْدِي إِلَى الْجَنَّةِ وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَصْدُقُ وَيَتَحَرَّى الصِّدْقَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ صِدْقًا وَإِيَّاكُمْ وَالْكَذِبُ فَإِنَّ الْكَذِبَ يَهْدِي إِلَى الْفُجُورِ وَإِنَّ الْفُجُورَ يَهْدِي إِلَى النَّارِ وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَكْذِبُ وَيَتَحَرَّى الْكَذِبَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ كَذَابًا"<sup>422</sup>. ما أجمل الصدق وأعظمه وهو يقود إلى البرّ، وما أجمل البرّ وأعظمه وهو يقود إلى الجنة، وعليه فمن أراد الجنة عليه بالبرّ والإحسان والمعروف في طاعة الرحمن الرحيم.

ولأن الصدق هو إتباع للحقّ قال تعالى: {يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين} <sup>423</sup>، تقوى الله مخافته لا الخوف منه، فالفرق كبير بين المخافة التي هي التقوى بذاتها، وبين الخوف الذي هو في معظمه لا يعبر عن إرادة. فنحن المستخلفون فيها نعلم أنّ الله لم يكن مخيفاً، فالمخيف هو لا حسن فيه، والله جميل وصفاته حسان، ولكن الخوف من الأعمال المنقوصة التي تؤدّي بأصحابها إلى حيث لا يرغبون، ولأنّ الكمال لله تعالى فإن المؤمنين يخافون من التقصير إن حدث منهم، ومع أنّهم يعلمون أنّ الله غفور رحيم إلا أنّهم ولحرصهم هم يحسبون الحسابات التي تجعلهم في حالة خوف مما عملوا قبل أن يصبحوا من المؤمنين حقاً، وحتى بعد الإيمان الحقّ فهم يخشون الله ويتقوه ويتضرعون إليه وهم طائعون. قال تعالى: {قَالَ رَجُلَانِ مِنَ

<sup>422</sup> صحيح مسلم - ج 13، ص 16

<sup>423</sup> التوبة 119

الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ عَالِمُونَ وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنَّ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ {424، الخوف هنا مما يعمل قومهم، والرجلان يخشيان الله مما يعمل قومهم من منكرات ومفاسد، ولهذا هما يتقيان الله فلا يعملان وهما اللذان انعم الله عليهما بدخول الإسلام، وهكذا يكون التوكل على الله بتقواه لا بالخوف منه، أي بمخافته في كل ما أمر به ونهى عنه، ولهذا المخافة تقوى وهداية للحق بالحق.

قال تعالى: {وَأَنْذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْ يُحْشَرُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُمْ مِنْ دُونِهِ وَايٌّ وَلَا شَفِيعٌ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ} {425، الذين يخافون أن يحشروا إلى ربهم، هم الذين ليس لهم شفعاء يشفعون لهم، وذلك لعدم مخافتهم الله في الحياة الدنيا، فهم عملوا ما عملوا من مفسد وشرك وضلال، فلم يؤمنوا بالمرسلين، ولهذا ليس لهم شفيع ليتم التكفير عن سيئاتهم.

وقال تعالى: {يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ} {426 من الذين يخافون ربهم. بطبيعة الحال الملائكة، والصالحون والمؤمنون الذين يتوبون إلى الله متابا، ولكن في هذه الآية المعنى يعود على الملائكة الكرام الذين هم يفعلون ما يؤمرون، والمخافة هنا اتقاء الله وطاعته بالمطلق فيما يأمر به سبحانه جلّ جلاله. ولهذا لا خوف من الله بل الخوف من العباد الظالمين، فالله لا يظلم أحدا، ولكن العباد منهم الظالمين ومنهم الكفرة والمشركين والضالين، وهؤلاء جميعهم يخافون، إما الله العادل الودود الرحيم، يدخل الطمأنينة في

---

424 المائدة 23.

425 الأنعام 51.

426 النحل 50.

النفس فلا يخيف. قال تعالى: {وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا  
وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَةَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ} 427 خوفا  
وطمعا: خوفاً من عقابه، وطمعاً في ثوابه. أي لم يكن الخوف منه في  
ذاته، بل الخوف بأسباب تعود للفعل البشري المنقوص، ولهذا فالعودة  
إلى الله تحقق الطمأنينة والابتعاد عنه إتباع عما أمر به ونهى عنه، هو  
الذي فيه المخاوف ومنه الخوف، فمن يتقى الله يأمن ومن لم يتقيه  
يضل، ومن يضل يعاقب بالشدة.

وكيف يكون الله هو البرّ الرحيم ويخيف.

البرّ الرحيم لا يخيف في ذاته أبداً، بل المخيف هو ارتكاب  
الأعمال المضلة، وعليه الخوف دائماً يكون ممن يظلم، والله عادل لا  
يظلم أحداً، قال تعالى: {إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكُ حَسَنَةً  
يُضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا} 428، وقال تعالى: {إِنَّ اللَّهَ  
لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا وَلَكِنَّ النَّاسَ أَنْفُسُهُمْ يَظْلِمُونَ وَيَوْمَ يُحْشَرُهُمْ كَأَن  
لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِنَ النَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا  
بِلِقَاءِ اللَّهِ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ وَإِنَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ  
نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِنَّا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ اللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَسُولٌ  
فَإِذَا جَاءَ رَسُولُهُمْ قُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ} 429.

والصدق: عماد الأمر، وبه تمامه، وفيه نظامه، وهو تالي درجة  
النبوة، قال الله تعالى: {فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين  
والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً ذلك الفضل من

427 الأعراف 56.

428 النساء 40.

429 يونس 44 - 47.

اللَّهُ وَكَفَى بِاللَّهِ عَلِيمًا {430، والصادق الاسم اللازم من الصدق، والصديق المبالغة منه: وهو الكثير الصدق، الذي الصدق غالبه، والصادق: من صدق في أقواله وأفعاله. ومن أراد أن يكون الله تعالى معه فليلزم الصدق؛ فإن الله تعالى قال: (إن الله مع الصادقين) ولهذا فالبرّ صدق، والصدق: الوفاء لله سبحانه بالعمل.

والبرّ الصلاح وهو بذلك أساس ما يقوم به الخليفة لأنه المأمور بإصلاح الأرض وإصلاح حال العباد وكأن بر الخليفة بالأرض التي يحيا عليها وإصلاح شأن الخلق القائمين عليها هو من طاعة الله البرّ بر الأرض ومن عليها والإصلاح من هذا المنطلق كان هدف ورسالة الأنبياء الذين هم قدوة الخلفاء والصالحين قال الله تعالى: {إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ} {431 فالمصلح هو الذي يحقق الخلافة على الأرض بقدر طاقته معتمدا على توفيق الله من خلال الرجوع إليه والاسترشاد بهديه، ومن يفعل ذلك يكن من خلفائه الذين يتمسكون بالمنهج الصحيح الذي لا عوج فيه، وهؤلاء المصلحون الذين لا يضيع أجرهم في الدنيا بالخلافة ولا في الآخرة بالفوز بالجنة. وهم الذين قال الله فيهم: {وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ بِالْكِتَابِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ} {432. أجر الله ثابت بالنية الصادقة، والفعل المنفذ لها، وبالتالي لا يمكن أن يؤجل أجره، وبهذا يجد الخليفة أجرة في انتظاره يوم القيامة الجنة، إنه الفوز الكبير.

---

430 النساء 69 . 70.

431 هود 88

432 الأعراف - 170

وبهذا فالبرّ الخير، والخير يشمل كلّ وجوه الأعمال الصالحة، لذا فقد وعد الله فاعلي الخير برده إليهم {وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ يَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ} 433.

والمراد بالخير كلّ ما هو مطلق بالحسنات، والخير في الآخرة سيكون موجودا أكثر مما قدمت أيدي المستخلفين فيها من حسنات. (إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ) لا تخفى عنه خافية في الأرض ولا في السماء، فإنه لا يخفى عليه القليل ولا الكثير من الأعمال وهو ترغيب في الخير لأنه سبحانه تعالى يجازي على القليل بالكثير ويجازي على الكثير بالأكثر منه، ومن هنا فالخير كلّ ما هو نافع حسن وكلّ ما يؤدّي إليه من قول وفعل، والخير فيه الفلاح الذي هو مطمح الجميع فلاح الدنيا وفلاح الآخرة، قال تعالى: {وَأَفْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ} 434.

ومن البرّ الإنفاق في سبيل الله مصداقا لقوله عزّ وجلّ: {لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ} 435 كلّ ما تقربّ به إلى الله عزّ وجلّ من عمل خير فهو إنفاق والإنفاق لا ينفع الكافر نهائيا لذا فالله علم المؤمنين كيفية الإنفاق الذي ينتفعون به في الآخرة فقال: (لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ) والذي يحبه الخليفة هو الرزق الحلال والإنفاق منه وهو الحلال، فإن من أنفق ممّا أحب كان من الأبرار، والأبرار في نعيم مقيم

---

433 البقرة-110

434 -الحج . 77

435 آل عمران 92.

لقوله تعالى: {إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ} 436 ومن الثواب الذي وصفه الله للأبرار في دار ثوابه: {إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا} 437، وقوله تعالى: {إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ عَلَى الْأَرَائِكِ يُنظَرُونَ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ يُسْقَوْنَ مِنْ رَحِيقٍ مَحْتُومٍ خَتَامَهُ مِسْكٌ وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ} 438. والله بين ما هو البرّ وكيف يكون وبأي وسيلة يتوسل الإنسان حتى يتوصل إلى البرّ الذي يستقى من بر البرّ سبحانه وتعالى فقال: {لَيْسَ الْبِرُّ أَنْ تُولُوا وَجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ} 439 فالله تعالى وضح في الآيات ثواب الأبرار وفي هذه الآية أشار إلى أن من أنفق مما أحب فقد نال البرّ، والبرّ ليس توجهه بالجسم تجاه النواحي المقدسة بل بالقلب والإخلاص في العمل فقال الله تعالى: {لَيْسَ الْبِرُّ أَنْ تُولُوا وَجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ} 440، ففي الآية أكثر أعمال الخير، وسماها الله البرّ، وقال تعالى: {لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ} 441 فكلّ عمل من تلك الأعمال لا يتم إلا بالنفقة من أعز الأشياء إلى

436 -المطففين . 22

437 -الإنسان . 5

438 - المطففين . 22، 26

439 - البقرة . 177

440 البقرة 177.

441 آل عمران 92.

النفوس حتى تنفقوا مما تحبون، وهذا يدل على أن الإنسان إذا أنفق مما يحبه كان ذلك من أفضل الطاعات التي ينال بها البرّ.

والبرّ منه العمل المقبول الذي لا شائبة فيه وقد تقدم به صاحبه خالصا لوجه الله سبحانه وتعالى وهذا ما يقوم به الخليفة فيبر الخلق دون أن يطلب جزاء.

قال تعالى في وصفه للأبرار: { إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا وَيُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكْرًا إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا فَوَقَاهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا وَجَزَاءَهُمْ بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا مُتَّكِنِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَالُهَا وَذُلَّتْ أَيْدِيهَا تَنْزِيلًا وَيَطَاقُ عَلَيْهِمْ بَأْنِيَةٌ مِنْ فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَ قَوَارِيرٍ مِنْ فِضَّةٍ قَدَرُوهَا تَقْدِيرًا وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنْجَبِيلًا عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّى سَلْسَبِيلًا وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَنثورًا } 442. إنَّ حرف توكيد ونصب على أن الأبرار دون إي ظن سيكونون من الوارثين في الجنة، ولأنَّه حكم بالمطلق سيكونون من الشارئين من كلِّ لذيذ رائحة ومذاقا، ولأن الشارئين من الكأس الممزوج كافورا لا يكونون إلا في الجنة، جاء كأس الحق شاهدا على دخولهم الجنة.

إنَّ الذين برّوا بطاعتهم ربهم في القول الحقّ والفعل الحقّ وأداء فرائضه هي كما هي، في الزمان والمكان اللاتقين بها، هم الذين



يجتنبون معاصيه وبيتهون عما نهي عنه، وهم الذين يشربون من كأس فيه لذة للشاربين. قال تعالى: {إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلِصِينَ أُولَئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَعْلُومٌ فَوَاكِهُ وَهُمْ مُكْرَمُونَ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِكَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ بَيْضَاءَ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنْزَفُونَ وَعِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ عَيْنٌ كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَكْنُونٌ فَاقْبَلْ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ} 443. فالأبرار هم الذين استثناهم البر الرحيم بأعمالهم الحسان من أولئك المجرمين الذين ضلوا ولم يهتدوا إلى الحق، ولأنهم الأبرار فلهم رزق معلوم متنوع وفيه لذة المذاق الرفيع. قال تعالى: {أَفَمَنْ كَانَ عَلَى بَيْتَةٍ مِنْ رَبِّهِ كَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ مِثْلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِنْ حَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى وَهُمْ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ كَمَنْ هُوَ خَالِدٌ فِي النَّارِ وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّى إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِنْدِكَ قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مَاذَا قَالَ آنفًا أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا فَأَنَّى لَهُمْ إِذَا جَاءَهُمْ ذِكْرَاهُمْ فاعلم أنه لا إله إلا الله واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات والله يعلم متقلبكم ومثواكم} 444.

وعليه: فالأبرار هم الذين:

1- يُوفُونَ بِالتَّذْرِ بِزيادة لطاعة التامة لله تعالى بالصلاة أو الصوم أو التصدق وكل ما من شأنه يسجل من أفعال الخير الحسان،

443 الصافات 40 . 51.

444 محمد 14 . 19.

فهم كلما تحقق لهم فوز في مرضاة الله ازدادوا التجاء إليه وإخلاصا  
وتطوعا في الأعمال الحسان.

2- والأبرار هم الذين يَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا، أي  
يخافون العذاب الذي يكتب بأسباب عدم الطاعة لله تعالى، وذلك  
اليوم الآتي هو اليوم الذي تجنبه الأبرار بالأعمال الحسان والعبادات  
المخلصة بالوحدانية لله تعالى، وقوله: (كان شره مستطير) لا يعني  
الماضي بل يعني أن الحكم قد صدر بالأمر (كن) ولم يعد في الزمن  
المستقبل فليعلم من يعلم أن الأمر قد صدر والتنفيذ سيكون يوم  
الحساب، وعليه فمن أراد السلامة والنجاة فالفرصة لا زالت سائحة  
لمن يشاء أن يؤمن حتى يكون من المستخلفين الأبرار الذين لهم الوعد  
الحق بالجنة، وهو أيضا حكم بالأمر (كن) قد صدر لا شك ولا ظن  
في ذلك والحمد لله رب العالمين.

3- والأبرار هم الذين يُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا  
وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا. أي أنهم يطعمون الطعام لحبهم لله جلّ جلاله الذي  
جعل الحسنات تجنى بالأفعال والأعمال الخيرية التي منابتها في إطعام  
المساكين واليتاما والأسرى.

4- يطعمون الطعام لمن يستحقّه دون رغبة إلا في وجه الله فهم  
يطعمونه (لِوَجْهِ اللَّهِ).

5- وحالهم لمن يطعمونهم لا يريدون منهم نُزِيْدًا جَزَاءً وَلَا  
شكورا) بل إنّه يريدون مرضاة الله جلّ جلاله.

6 . ولأنّ الأبرار يخافون عذاب ربهم فلسان حالهم (إِنَّا نَخَافُ  
مِنْ رَبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا)

والنتيجة:

1- (فَوَقَاهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ).

2- (وَلَقَاهُمْ نَصْرَةٌ وَسُرُورًا).

3- (وَجَزَاهُمْ بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا).

وقد وصف الله تعالى حالهم في الجنة بأنهم:

1- (مُتَّكِنِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ).

2- (لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمَهْرِيرًا).

3- (وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَالُهَا وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا).

4- (وَيُطَافُ عَلَيْهِمْ بِآيَاتٍ مِنْ فَضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَ

قَوَارِيرَ مِنْ فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا).

5- (يُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنْجَبِيلًا عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّى

سَلْسَبِيلًا).

6- (وَيُطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا

مَنْثُورًا).

7- (عَالِيَهُمْ ثِيَابٌ سُنْدُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ وَحُلُّوا أَسَاوِرَ مِنْ

فِضَّةٍ وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا).

وهذا ثواب الله في الجنة للأبرار الذين بروا عباده في الدنيا

وأصلحوا ولم يفسدوا وحققوا الخلافة التي أوجدتهم الله من أجلها فقال

الله لهم: (إِنَّ هَذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاءً وَكَانَ سَعْيُكُمْ مَشْكُورًا)، وذلك لأنهم

لم يطلبوا الجزاء ممن قدموا لهم المعروف ولم ينتظروا منهم شكرا.

والبرّ في العبادات منه الحج المبرور والمبارك من البرّ الرّحيم، فقال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم قال: "الْعُمْرَةُ إِلَى الْعُمْرَةِ كَفَّارَةٌ لِمَا بَيْنَهُمَا وَالْحُجُّ الْمَبْرُورُ لَيْسَ لَهُ جَزَاءٌ إِلَّا الْجَنَّةُ" 445.

وكذلك البرّ للوالدين من أهم ما يتخلق به المتخلق ببر البرّ وفي هذا من النصوص الدينية التي تجعل الإنسان يتشبث ببرهما لجزيل الثواب، فقال الله تعالى: (وَقُلْ هُمَا قَوْلَا كَرِيمًا) لطيفاً، (وَإِخْفِضْ هُمَا جَنَاحَ الدُّلِّ)، من رحمتك إياهما. ومن بيان حقّ الوالدين قوله تعالى: (أَنْ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ). فقرن شكره بشكرهما. وعن معاذ بن جبل، قال: أوصاني رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، فقال: (لا تعق والدك وإن أمرك أن تخرج من أهلك ومالك). وعن جابر، قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: (بروا آباءكم تبركم أبناؤكم).

تقديم بر الوالدين على الجهاد والهجرة:

عن عبد الله بن عمرو - رضي الله عنهما - قال: جاء رجل يستأذن النبي صلّى الله عليه وسلّم في الجهاد، فقال: (أحي والداك). قال: نعم. قال: (ففيهما فجاهد).

وعن عبد الله بن عمرو - رضي الله عنهما - قال: جاء رجل إلى النبي يبأيعه، فقال: جئت أبأيعك على الهجرة وتركت أبوي بيكيان، قال: (فارجع إليهما فأضحكهما كما أبكيتهما).

وعن أبي سعيد الخدري، قال: هاجر رجل إلى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم من اليمن، فقال له رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: (هل باليمن أبواك). قال: نعم. قال: (أأذنا لك). قال: لا. قال: (ارجع إلى أبويك فأستأذنهما فإن أذنا لك وإلا فبرهما).

---

445 صحيح مسلم - ج 7، ص 71

وعن ابن عباس، قال: جاءت امرأة ومعها ابن لها، وهو يريد الجهاد، وهي تمنعه، فقال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (أقم عندهما، فإن لك من الأجر مثل الذي يريد).

وعن عبد الله بن عمرو - رضي الله عنهما - قال: جاء رجل إلى رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يستأذنه في الجهاد، فقال: (هل من والديك أحد حي). قال: أمي قال: انطلق فبرها). فانطلق يحمل الركاب. فقال: (إن رضي الرب عز وجل في رضي الوالدين).

وعن ابن مسعود - قال: سألت رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (أي العمل أحب إلى الله عز وجل). قال: الصلاة لوقتها). قلت: ثم أي. قال: (بر الوالدين). قلت: ثم أي. قال: (الجهاد في سبيل الله).

قال تعالى: {وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبُلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا وَخَفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيْتَنِي صَغِيرًا} 446، هذه معطيات البر بالوالدين، ومن يبر بوالديه يبره الله برحمته.

وكان الحسن يقول: (دعاء الوالدين ينبت المال والولد). وسئل الحسن: ما دعاء الوالد للولد. قال: (نجاة). وعن مجاهد: (ثلاثة لا تحجب دعوتهم عن الله عز وجل: دعوة المظلوم، ودعوة الوالد لولده، وشهادة ألا إله إلا الله) 447.

446 الإسراء 32، 24.

447 بر الوالدين - ج 1، ص 8

وقال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "يقول الله تعالى: أنا الرَّحْمَنُ وهذه الرَّحْمَ لَهَا اسْمَا مِنْ اسْمِي فَمَنْ وَصَلَهَا وَصَلْتَهُ وَمَنْ قَطَعَهَا بَتَّتَهُ" 448.

بر الوالدين من صفات الأنبياء ويذكر القرآن في ذلك نبيين هما: يحيى عليه الصَّلَاة والسَّلَام، وعيسى عليه الصَّلَاة والسَّلَام، فقال الله تعالى عن سيدنا يحيى: {وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ وَمَنْ يَكُنْ جَبَّارًا عَصِيًّا} 449، وقال تعالى عن سيدنا عيسى عليه الصَّلَاة والسَّلَام: {وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ وَمَنْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا} 450.

وعليه فالبرّ هو الله، والبرّ كلّ عمل خيّر يرضي الله ورسوله، وفي عموم القرآن البرّ هو الله على الوجه المطلق، وسيدنا يحيى وسيدنا عيسى عليهما الصَّلَاة والسَّلَام وصفهما الله بالبرّ ولكن ليس بعموم الصفة ولكن بخصوصيتها في حقّ الوالدين ليحيى، وللأم مع سيدنا عيسى عليه الصَّلَاة والسَّلَام.

#### . جَبَّارٌ مُطِيعٌ :

وهي صفة مثلى الصفات الواردة في سياق الآية الكريمة لتتكامل بها جملة الصفات التي أراد المولى عزّ وجلّ أن يقدمها لعباده آية من آياته عزّ وجلّ، فيحيى لم يكن جبارا عصيا أي متكبرا متعاليا عن قبول الحقّ والإذعان له أو متطاولا على الخلق؛ وقيل: الجبار هو الذي لا يرى لأحد عليه حقًا.

---

448 إحياء علوم الدين - ج 2، ص 58

449 مريم 13-14

450 مريم 32

وقال الرّاعب: هو في صفة الإنسان يقال لمن يجبر نقيصته  
بادعاء منزلة من التعالي لا يستحقّها.

وعَصِيًّا مخالفا أمر مولاه عزّ وجلّ، وقيل: عاقا لأبويه وهو فعول  
وقيل: فعيل، والمراد المبالغة في النفي لا نفي المبالغة.

فهل هذا يعني أنّه لم جبارا؟

لقد كان يحيى جبارا متّقيا لله عزّ وجلّ يستمد صفته من اسم  
العزیز الجبار الذي يجبر بين الناس فلا ينقطع بينهم الوصل وهو فيهم  
وهذا هو دور الأنبياء والرّسل أن يكونوا واصلين لا قاطعين وهم  
كذلك والحمد لله من قبل ومن بعد.

وعليه فالجبار هو الذي يجبر العلاقات بعد انقطاعها، ويجبر  
العظم بعد كسره، ويجبر الشفاء بعد مرضٍ، وهذه القدرة لا تكون إلا  
صفة الجبار الأعظم، ومن هنا، كان جبر الخواطر صفة من صفات  
يحيى عليه السّلام، وجبر الضرر مع العفو والتسامح، وهذه جميعها لا  
تستمدّ إلا من الجبّار جلّ جلاله؛ فمع أنّ الأنفس تتنوع وتتعدد  
بالشح والاطمئنان واللوم والأمر بالسوء والأمر بالمعروف، إلا أن منها  
ما يتآلف بعضه مع البعض، ومنها ما يرفض بعضه بعضا، وبالإجبار  
تتم المواثمة طوعا وكرها، قال تعالى: ﴿وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ  
وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا﴾<sup>451</sup> وفي كلّتا الحالتين (الطوع والكره) هناك  
إجبار:

الإجبار الإرادي بالقبول والاستحسان والتآلف وهو القبول  
الطوعي الذي تترتب عليه صلة وعلاقة برغبة، وهذا الأمر يجعل

---

<sup>451</sup> آل عمران 83.

العلاقة بين الأنفس تمتد وتربط بقبول مع فائق التقدير والاحترام المتبادل.

الإجبار بالقوة المسيطرة التي تجعل الليل يأتي في مواعيده والنهار كذلك مع انعدام الاستطاعة والتدخل في التقديم أو التأخير أو التعديل.

وقاعدة جبر النفس، تعني أن النفس كمفردة لا تُجبر إلا مع نفس الآخر قال تعالى: {وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ} 452، وزواج الأنفس يتم أولاً بدخولها البناء البدني للإنسان والاندماج فيه والاصطباغ بخصوصيته. وثانياً بقبول الآخر والاستئناس له. فهناك من يقبل البعض ولا يقبل البعض الآخر، أي كما يقولون هناك من يوصف بثقل ملائكته، وهناك من يوصف بخفتها، بمرحها وانبساطها بالبشاشة والمحبة، وهذه تؤدّي إلى القبول والميل إلى المشاركة والتحاب للأنفس الأخرى وتؤدّي إلى جذبها والتعلق بها. وبالتعلق يحدث إجبار النفس مع النفس، الذي لولاه لكانت كل نفس هائمة في بعدها واستقلاليتها عن الأخرى.

ومع أنّ الدين مصدر للعقيدة، إلا أنّ الدين من عند الله تعالى، أمّا العقيدة فهي رابطة قيمية وأخلاقية توثق بين الناس وبين ما يعتقدون فيه أو يؤمنون به. ولذا لولا الإجبار ما كانت العلاقة بين الدين وبين البشر، فالبشر مادة لهم من العواطف والمشاعر والأحاسيس. أمّا الدين فكلمّ وحجّة ومواعظ تُنظّم حياة الأفراد والجماعات والمجتمعات الإنسانية، وارتباط البشر إيماناً بالكلمّ الحقّ لا يتم إلا بقوة الجبار الحكيم، وإلا كيف يمكن لها أن تتم لولا مشيئة من

---

452 التكوير 7.



يريد لها أن تتم بيسر ومحبة وشوق. وهذا الأمر لا يجعل الإكراه فعلا قاسيا، بل أنه الفعل المتمشي مع طبيعة الخلق. وفي مقابل ذلك عندما يظهر فعل الرفض للدين أو المعتقد يظل في فعل أمره غير متمشي مع الطبيعة الخلقية.

ودائرة الدين أو العقيدة تمتد لتتجاوز دائرة الأبوة والأخوة وذي القرى وبني الوطن أو العرق لتحتوي جبرا من يؤمن بالمعتقد الواحد حتى يندمج أصحابها في إحساس ومشاعر مشتركة تستوجب التقدير والاعتراف بالمساندة والمؤازرة والفداء المتبادل بحاسة الدين والمشاعر التي أنتجتها وجعلتها في حالة مدد بين الذين يدينون بالدين الواحد أو المعتقد الواحد.

إنّ النَّاسَ بطبعهم يحبون ويكرهون، يغضبون وينبسطون، وبهذا تكون عليهم ولهم مأخذ، ممّا يجعل الأخوة وذوي الحقوق يحتجّون على بعضهم في كلّ تقصير أو ارتكاب خطأ، ويجعل الكبير يأخذ بيد الصغير، ويجعل الصغير في حالة أدب يعتذر لمن هو أكبر منه سنا، ويجعل المؤمن يستغفر من كلّ ذنب ويتسامح، فبهذه المواعظ والعبارات الإصلاحية تُجبر الخواطر، وبها تكون اللّحمة، وتعود المياه كما يقولون لمجاريها، {قَالُوا يَا أَبَانَا اسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ} 453 وقوله تعالى: {وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ} 454. الذي يقبل التوبة ويعفو عن السيئات هو الجبار جلّ جلاله الذي يأمر بالتسامح في كتابه العزيز بين النَّاسِ المستخلفين في الأرض.

---

453 يوسف 97.

454 الشورى 25.

ومن يريد أن يكون خليفة عليه بالتسامح الذي به تُجبر الخواطر بين الناس وخاصة ذوي العلاقة، ولهذا فالاعتراف بالخطيئة فضيلة بين الناس في كثير من الأحيان يترتب عليها أفعال التسامح لا أفعال الإدانة التي تصدر في دوائر المحاكم التي تُجرّم كلّ من يعترف بذنب أو عملٍ يقترفه، ومع ذلك بالتسامح يتم الإعفاء وبالاستغفار تزداد التوبة.

وعليه ينبغي أن تكون الأحكام قيمية تستمد قوتها وحجّتها من مصادر التشريع، لتؤيد عقابا، أو لتنصف مظلوما، أو لتبرئ متهما، أو لتعفو عن سيئة. ولهذا فإن جبر الخواطر لا يتم إلا بجبارٍ ماهرٍ في معرفة تناول المواضيع والقضايا بين الناس، وفي هذا المقام يُعد الجبر مصدر للإصلاح وعودة للعلاقات إلى ما يجب أن تكون عليه، وهو ما يرضي الله تعالى.

إنّ جبر الخواطر يعيد الاتصال بالآخر والتواصل معه ويفتح آفاق التعايش والسلام من أجل علاقات مشتركة ومستقبل أفضل.

وعليه: إنّ أساس حُلِقنا حُلِقنا فرادى، وفي أساس وجودنا وتكاثرنا جُبرنا أزواجا مصداقا لقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَى كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾<sup>455</sup> هذا من حيث الخلق كلّ فرد لا يمكن أن يتطابق مع الآخر، والدليل الشاهد على ذلك البصمة التي بها يتميز كلّ فرد عن غيره، ولهذا لا يشتهه اثنان في البصمة الواحدة ممّا جعل الفروق بين الحُلِق من حيث الحُلُق لكلّ مفردة خصوصية تتميز بها عن غيرها من الخصوصيات الأخرى التي هي الأخرى تتميز بما تمتاز به من خلق الرحمن. وإلى جانب التميّز الحُلقي كذلك يتميز

---

<sup>455</sup> الأنعام 94.

الأفراد خلقا بما يقولون وما يعملون من أعمال تدخل بعضهم الجنة وتدخل غيرهم النار. قال تعالى: {وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنْشُورًا اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا مَنِ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا} 456.

ومع أنّ أساس الخلق فرادى، إلا أنّ أساس البقاء والاستمرارية هو الزوجية، مصداقا لقوله تعالى: {وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ} 457. وقوله عزّ وجلّ: {وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجًا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ وَمَا يُعَمَّرُ مِنْ مُعَمَّرٍ وَلَا يُنْقَصُ مِنْ عُمُرِهِ إِلَّا فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ} 458، فالجعل في الأرض هو الاستخلاف فيها، والاستخلاف لا يتم إلا بالإجبار الزوجي، ولأجل ذلك خلق الله تعالى الكائنات أزواجا أي من كلّ نوع خلق الذكر والأنثى، فتضاعفت الأنواع جميعها جبرا حتى أصبحت على ما هي عليه طوعا وكرها.

ومع أنّ الأنثى نوع مستقل بذاته والذكر كذلك، إلا أنّ التقائهما لا يتم إلا جبرا، سواء كان غريزة أو وفق شرعة ومنهاج، ولهذا يعد الزواج جبرا لعلاقة تستوجب الاستمرار والاتصال والتواصل، والجبر هنا يعني وجود رابطة تُوحّد علاقة طيبة بين اثنين كان كلّ منهما منفصل أو مستقل عن الآخر، والحاجة تتطلب التقائهما

<sup>456</sup> الإسراء 13 . 15.

<sup>457</sup> الذاريات 49.

<sup>458</sup> فاطر 11.

بمودة، والشريعة والسنن تؤسس لها القواعد التي تُرضي الخالق والمخلوق دون أن تترك ذنبا وإثما.

وهكذا الأبوة عاطفة يستمدّها الأبناء من الآباء، والأمومة عاطفة يستمدّها الأبناء من الأمهات، أي بالالتقاء الشرعي بين الزوجين جبرا، يكون الجنين نتاج الاثنين المشترك هو الثالث جبرا، أي لولا جبر الزوجين ما كان الثالث مولدا يجمع خاصيتين في واحد عدد. حيث يرث صفات من أمّه وأجداده الذين هم من دمها وفقا لقانون مندل للوراثة، ووفقا للقانون ذاته يرث صفات من أبيه وأجداده الذين هم من دمه، فيكون هو نتاج مشترك منهما ولم يكون نسخة لواحد منهما أبدا، بل يكون ثالثا بالإضافة الجبرية. وبهذه الوراثة والتربّية يستمد عاطفة الأبوة من أبيه وعاطفة الأمومة من أمه، ممّا يجعله يفرح لفرحتهما ويتألم لآلامهما، ويحزن بفراق أي منهما، مع الاحتفاظ لهما بالإحسان والطاعة في غير معصية الله تعالى. {وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبُلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا} 459. وهكذا بالجبر تكون العلاقة بين الأبناء والآباء والأجداد والأحفاد، وكلّ منهم يستمد عواطفه بالحب والحنان والاشتياق من الجيل الذي يسبقه في الوجود.

الأبوة والأمومة عاطفتان قويتان تنتجان مشاعر متبادلة تربط علاقات الحب بين الآباء والأبناء، وتجعل الصلة بينهم قيمة أخلاقية ووجدانية متفاعلة في ذات الإنسان، وفي هذا الأمر مع أنّ الأبوة والأمومة واحدة، إلا أن النظام الأخلاقي والسلوكي يختلف من فرد

---

<sup>459</sup> الإسرائ 23، 24.

لآخر ومن جماعة لأخرى ومن مجتمع لمجتمع آخر. ففي المجتمعات المسلمة تتعدد أساليب العناية والرعاية كما تتعدد هي الأخرى في المجتمعات غير المسلمة، ففي المجتمع الإسلامي الدين واحد ولكن الإيمان ليس واحداً، فمن يؤمن لا يضل ولا يشقى، ومن لم يؤمن إيمانا حقيقيا سيقع في أخطاء تؤدّي به إلى المحاسبة الشديدة وقد تقع أعماله تحت المغفرة الواسعة، أمّا غير المسلم فسيكون حسابه عسيرا وتكون جهنم رحمة بما قدمت أيديهم.

الأب الخليفة والأم الخليفة هما اللذان يعملان على غرس قيم العقيدة وأصول الدين وتعليم الكتاب والحكمة لأبنائهما أولا ثم ثانيا إلى من يستطيعون إلى النهاية، وهؤلاء هم الذين قال فيهم الله تعالى: {وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأَنُوتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا وَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا حَالِدُونَ} {460، وهم أيضا الذين قال فيهم الجبار جلّ جلاله: {إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعَدَا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ} التائبون العابدون الحامدون السائحون الراكعون الساجدون الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر والحافظون لحدود الله وبشر المؤمنين} {461. أمّا أولئك المنافقون والكافرون فإن الله تعالى قال فيهم: {بَشِّرِ الْمُنَافِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَبِيتُّهُنَّ عِنْدَهُنَّ الْعِزَّةَ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ

---

460 البقرة 25.

461 التوبة 112.

أَنَّ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَفْعَلُوا مَعَهُمْ حَتَّى  
يُخَوِّضُوا فِي حَدِيثِ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذَا مِثَلْتُمْ إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ  
وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا {462}.

ولأنّ الأصل في الخلق هو التكاثر الذي تأسس في النوع  
البشري على ثلاثة أبعاد جبرية:

البعد الأول: خلق الشيء من الشيء. وفقا لهذه القاعدة خلق  
الله التراب الذي منه خلق آدم عليه الصلّاة والسّلام، وخلق حواء،  
وكلاهما بدون أب ولا أم (كن فيكون).

البعد الثاني: خلق الشيء في الشيء (الخلق الروحي). مثلما  
خلق عيسى عليه الصلّاة والسّلام في رحم مريم بنت عمران بنفخة من  
الروح التي لم نعلم أمرها هيّ كما هيّ، ولكننا نعلم أن أمر الكينونة قد  
صدر من الجبار الأعظم وقد تحقّق بميلاد عيسى عليه الصلّاة  
والسّلام. قال تعالى: {وَالَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِنْ رُوحِنَا  
وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ} {463}. وقوله تعالى: {وَمَرْيَمَ ابْنَتَ  
عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ  
رَبِّهَا وَكُتِبَ عَلَيْهَا إِكْرَامٌ} {464}، فمثلما جاء خلق آدم من  
تراب بدون أب وأم، كذلك كان خلق عيسى عليه الصلّاة والسّلام  
في رحم أمه رضي الله عنها من غير أب.

البعد الثالث: جبر الالتقاء العلائقي، لقاء آدم بحواء الذي بعث  
فيهما ومنهما غريزة التجاذب العاطفي حيث كلّ منهما في حاجة

---

462 النساء 138.

463 الأنبياء 91.

464 التحريم 12.

لعاطفة الآخر وأحاسيسه وأشواقه، ومؤانسته، فكان الالتقاء بينهما فطرة والمؤانسة بينهما كثرة، وكانت بداية الكثرة ليس بالخلق من التراب بل كانت البداية من النطفة التي أنجبت قاييل وهاييل وأختيهما الكريمتين. وبالرغم من الخلاف والاقتيال الذي راح ضحيته هاييل استمر التكاثر من أبناء قاييل الذي تجاوز اليوم السبعة مليار ابنا، ولو كان هاييل حيا في زمنه وتزوج أخته كما تزوج قاييل لكان سكان الأرض هم على ضعف ما هم عليه، وفي عدم بلوغ ذلك بنهاية هاييل إن لله شؤون لا نعلمها سبحانه جلّ جلاله.

وبهذا التكاثر لم يكن الشقاق بين الأخوة هو القاعدة بل كان الاستثناء، القاعدة تقول (الأبناء يرثون المحبة من آبائهم، وإذا اختلف الآباء ضعفت العلاقة بين الأبناء)، وبالرغم من ذلك تظل العمومة عاطفة بين ذوي القرى، بها يتم التآزر، وبها يستمد أبناء العمومة الطمأنينة من أجدادهم، وبها تتسع دائرة الأصول مهما تفرّعت، ممّا يجعل الأعمام والأخوال والعمات وفروعهم مهما تعددت هم في حالة نسب وعاطفة تشغل حيزا من التقدير والاعتبار والاحترام.

ومع أنّ العمومة قاعدة إلا أن في بلاد الصين لا يُعمل بها، حيث لا تنجب الأسرة وفقا للقانون إلا طفلا أو طفلة واحدة فقط وذلك حدا للنسل بأسباب الكثرة المؤثرة على المستوى المعيشي للأفراد. وهذا الحد ألغى من القاموس العاطفي جميع المفردات التي تحمل في مضامينها مشاعر الأخوة والعمومة والإحساس بها مع ذوي القرى. {وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ

إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا  
الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْكُمْ وَأَنْتُمْ مُّعْرِضُونَ {465}.

من يريد أن يكون من المستخلفين في الأرض فعليه بعبادة الله  
الذي بعبادته يتم الجبر معه في علاقة توحيد، وعليه بأن يؤمن بالأنبياء  
والرسل الذين اصطفاهم الله تعالى، حيث الإيمان بهم إيمان بالله تعالى،  
وفي هذا جبر مع رسل وعقيدة ومع ربّ العقديّة الملك المتعال. والجبر  
لا يقتصر على الله تعالى والرسل والعقائد بل يمتد الجبر لتشمل  
علاقات التوحد مع الإحسان للوالدين وذي القربى واليتامى والمساكين  
ثم الجبر مع القول الحسن وهذا لا يتم إلا بالإيمان الذي يستوجب  
الجبر مع أفعال الخير مثل إيتاء الزكاة.

قاعدة جبر العمومة وذي القربى مثلما تمتد لتجبر علاقة الفرد  
مع الجماعة وعلاقة الجماعة مع المجتمع، فهي تمتد لتجبر المشاعر  
والأحاسيس بينهم في عاطفة الأبوة والأخوة والعمومة والجيرة جنباً  
وبعداً.

ومن ثمّ؛ فلو سألك أحد عن العلاقة الغريزية بين العطش والماء،  
والعلاقة بين الجوع والأكل، والعلاقة بين الجنس والسكينة، والعلاقة  
بين الخوف والاطمئنان، والعلاقة بين الظلم والعدل. لن تكون لك  
إجابة إلا أن تقول لا علاقات بينها إلا بالإجبار، ولن يستطيع القيام  
بمذه العلاقات على الكمال والتمام إلا عظيم جبّار. فمع أن العطش  
والجوع والجنس والخوف إحساسات تجول بداخل الإنسان ونفسه، إلا  
أنها لا تشبع إلا من خارجها إشباعاً مادياً، ولذا لن يتحقّق الرضا

---

465 البقرة 83.



النفسي للإنسان إلا بما يشبع الحاجة. ولهذا فالقاعدة: (يتحقق الرضا بما يشبع الحاجة ولا تجبر الحاجة إلا بمشبعاتها).

ولأنَّ الجَبَّار هو القادر وحده على جبر العظم المكسور إلى حيثما كان عليه، إذن ما يقوم به الطبيب أو الجبار بالإضافة هو جعل العظام المكسورة في حالة ملامسة لبعضها، مع تثبيتها بموضعية في الاتجاه السليم لإعادة جبرها على الحالة التي كانت عليها قبل أن تتعرض للكسر. وقد يظن البعض أن الطبيب يستطيع أن يجبر العظام بما يقوم به من جهد فني وإنساني، إلا أنَّ ما يقوم به الطبيب هو جعل أطراف العظام في حالة ملامسة وعلى حالة من الثبات، أما عملية الجبر فلا تتم إلا بنمو العظام في اتجاهها الذي بذل الطبيب جهد التثبيت بشأنه. فالعظام لا تُجبر إلا بقوة تجعلها في حالة امتداد يتمكن من خلاله كل متجزئ من ملامسة المتجزئ الآخر والالتفاف حوله حتى تتم عمليات الجبر مع المتجزئات الأخرى، ومن ثم مع الأجزاء التي نمت بترابط المتجزئات في اتجاه جبر الكتلة الواحدة التي تجعل العظام في حالة تماسك وقوة كما هي كانت عليه.

إنَّ ما يقوم به الجبار بالإضافة لا يزيد عن كونه عملية توكلَّ على الجبار الأعظم، حتى يعود العظم مجبوراً على ما كان عليه قبل الكسر. ولذا فإن القاعدة تقول: (اتصال مؤقت من الجبار بالإضافة يؤدي إلى اتصال دائم من الجبار الدائم). إن ما يقوم به الطبيب من جهد مؤقت في سبيل توصيل العظام المتباعدة بالكسر إلى بعضها هو الجهد المؤقت. أما الاتصال الدائم هو الذي يتم بأفعال الجبار الدائم حيث تنمو أمشاج العظام وتمتد إلى أن تتصل وتتماسك في وحدة واحدة بقوة الواحد الجبار.

العظام لا تجبر إلا بطينتها المنبعثة الحياة فيها، وهذه الطينة وإن وجدت بين يدي الطبيب إلا أنّ الحياة لن توجد فيها، الحياة ديمومة منبعثة لا توجد إلا بيد الحي الدائم، أمّا الحي بالإضافة كلّ ما بيده مؤقت، ولهذا ما يقوم به من جهد في سبيل تجبير العظام هو جهد مؤقت. ولأنّ العظام لا تلتئم إلا بجهد دائم، لذا فإنّ التأمها لن يكون إلا بقوة الجبار الدائم. فالعظم بعدما يكسر تنفصل الحياة عن جزئه المنفصل عنه، ولأنّ انبعاث الحياة بيد الحي الذي لا يموت؛ إذن إذا انكسر العظم وفقد انبعاث الحياة فيه فمن هو القادر على إعادتها إليه؟ إنه الجبار الذي بيده أمر الحياة والموت. ولهذا فدور الطبيب هو فقط أن يجعل العظام المكسورة في حالة تلامس وثبات؛ أما الجبر فليس من مهام الطبيب بل هي من الجبار الدائم جلّ جلاله. قال تعالى: {وَأَنْظُرْ إِلَى حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ وَانظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لحمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} 466 ننشزها نجبرها وحدة واحدة بانبعث الحياة فيها، حتى تصبح قواما تاما للهيئة المناسبة لها ثم نكسوها لحما.

كلّ شيء على الله يسير فهو الذي أنشاء العظام أول مرة من تراب، وهو الأصعب على مستوى التفكير الإنساني فما بالك بأن يجبرها بعد أن تكسر وهو الأيسر، وفي هذا قال تعالى: {أَوَلَمْ يَرَ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْقَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ} 467. يقال جاء رجل لرسول الله صلى الله عليه وسلم، وهذا الرجل غير محدد بالتمام فالعباس قال إنه

466 البقرة 259.

467 ياسين 77. 79.

عبد الله ابن أبيّ. وقال سعيد بن جبير: هو العاصي بن وائل السهمي. وقال الحسن هو أبي ابن خلف الجمحي. "أنه أتى الرسول صلى الله عليه وسلم بعظم حائل فقال: يا محمد أتري أن الله يحي هذا بعد ما رام! فقال النبي صلى الله عليه وسلم: نعم وبعثك الله ويدخلك النار" 468 بهذه الأسباب نزلت هذه الآيات المباركة فالحمد لله رب العالمين.

وفي سورة القيامة قال تعالى: {لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَلَّنْ نَجْمَعُ عِظَامَهُ بَلَى قَادِرِينَ عَلَى أَنْ نُسَوِّيَ بَنَانَهُ} 469. فَسَمِينٍ بِتَأْكِيدِ مِنْ (لَا) النَّافِيَةِ مَعَ التَّعْجَبِ فِي الْآيَةِ الثَّلَاثَةِ (أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَلَّنْ نَجْمَعُ عِظَامَهُ) الَّتِي تَلْتَهَا الْإِجَابَةُ بِ(بَلَى قَادِرِينَ عَلَى أَنْ نُسَوِّيَ بَنَانَهُ) أَيِ بَدُونَ شَكِّ الْقَادِرِ الْمَطْلُوقِ سَيُظَلُّ قَادِرًا، وَنَسَوِّيَ تَعْنِي: نَجْمَعُ وَنَضْمُ بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ كَمَا كَانَتْ مَهْمَا كَانَتْ صَغِيرَةً، فَمَا بِالْكَ بَأَنَّ تَكُونُ كَبِيرَةً.

إنه من العجب أن يسأل السائل عن جبر عظم، ولا يسأل عن الكيفية التي بها وعليها خلق. فالعظام لن تحي إلا بمحييها، ولذا فإن محيي العظام هو الجبار العظيم وليس الطبيب البارع. ولأن فضل الله واسع والله غني عن العباد فالأجر يعود على من وضع العظام وربطها في الاتجاه السليم لتعود إليها الحياة وتنمو من جديد. ومن يحمد الله ويشكره على نعمه يُعد من خلفائه في الأرض، ومن الوارثين في الجنة. ومن يجحد فلن يكون له في الجنة من نصيب.

468 القرطبي الجامع لأحكام القرآن. الجزء الخامس عشر ص 58.

469 القيامة 1. 3.

## الحواريون:

كما هو مشهور أصحاب عيسى صلى الله عليه وسلم وذكروا في القرآن في أكثر من موضع، وليس ذكرهم للتكرار فقط لكن نعتقد أنّ في كلّ مرة ذكروا فيها كان لسبب وعبرة ومغزى، وسنحاول أن نقف على هذا كلّ لنستبين:

ما الموقف الذي دعا إليه ذكرهم؟

وما الغرض منه؟

وما دلالته؟

وما الدور الذي أنيط بهم في كلّ مشهد قرآني؟

وما دورهم في سيرة عيسى؟

وهل الحواريون كانوا لمناصرة عيسى فقط؟

أم كانوا لمناصرة أمّه مريم العذراء أيضا؟

أم لمناصرة الله؟

أليس نصر الصديقة المصطفاة المطهرة وابنها نصر الله في ذات

الوقت؟

وهل يقتصر معنى الحواري بأصحاب عيسى في حياته التي

عاشها قبل الرفع؟

أم هم كلّ من ناصروه بعد الرفع بإحقيق الحقّ في أن عيسى

عبد الله ورسوله؟

أم هم الذين شهدوا لمريم بالطهر والاصطفاء في حياتها وبعد  
مآتها؟

أم الحوارية كلمة عامة يمكن أن تطلق على كل من كان نصيرا  
للحق في أي زمان ومكان وفق ما أراد الله؟

وهل الكلمة لها معنى حقيقي ثم استعملت في معنى مجازي  
وشرعي؟

أم أنّ الكلمة كان استخدامها الحقيقي هو المجازي  
والاصطلاحي في الوقت نفسه؟

ولكن قبل ذلك نقف على مدلول الكلمة (الحواريون) لغة.

الحواريون في اللغة:

تساءل على المستوى اللغوي:

هل الكلمة لها معانٍ متنوعة منها:

- حقيقي؟

- ثم خرجت منه إلى معنى مجازي؟

- مشهور خاص؟

- مباح عام؟

في اللغة يمكن الوقوف على ذلك، فقد ورد في كتب اللغة عمّا

سبق من مثل:

-المعنى الحقيقي: "وتَحْوِيرِ الثِّيَابِ تَبْيِضُهَا. ومنه قيل لأصحاب عيسى عليه السّلام الحَوَارِيُّونَ لِأَنَّهُمْ كَانُوا فَصَّارِينَ"470.

تحوير الثياب غسلها وتبييضها، فقصر الثياب بيضها، وهذا ما اتفقت عليه كتب اللغة بأن حقيقة الكلمة تبيض الثياب.

أما المعنى المجازي فاشتهر والتصق بأصحاب عيسى عليه السّلام إذ نصره، فصار كلّ ناصر حواري.

ويقتصر ذلك على أصحاب عيسى الذين نصره بقول الحقّ الذي جاء به من الله تعالى، وليس بقول الباطل الذي ادعاه أعداء الله وأعداء عيسى بما افتروه كذبا بأفواههم تقليدا للذين كفروا من المشركين ومن اليهود الذين قالوا لله ولد.

المعنى المجازي:

"يقال: فعل الحواريون كذا، ونصر الحواريون كذا، فلما جرى على ألسنة الناس سُمِّيَ كلّ ناصر حواريًا "الحواريُّ: الناصر. قال النبي صلّى الله عليه وسلّم: "الزُّبَيْرُ ابْنُ عَمَّتِي وَحَوَارِيِّي مِنْ أُمَّتِي"471.

-والمشهور الخاص:

والحواريُّون: الذين كانوا مع عيسى صلّى الله عليه وسلّم ينصرونه.

-المعنى المباح العام:

---

470 مختار الصحاح، 1، ص 79.

471 مسند أحمد، ج 32، ص 341.

ليس الأمر مقصوراً على حوارى عيسى بل ينطبق على كل ناصر ومحب حميم، وقد جاء هذا المعنى فى كتب اللغة "وصار كل ناصر وكل حميم حوارياً".

وعليه: فهم غير مخصوصين بعيسى صلى الله عليه وسلم، ولكنهم أصحاب كل نبي فهم صفوة الأنبياء الذين قد اخلصوا لهم.

وجاء فى اللسان من صفة الحوارى وتأويل معناه: "الحوارى الناصح، وتأويل (الحواريون) فى اللغة الذين اخلصوا وتقتوا من كل عيب"472.

والحوارى المتفانى قى خدمة الدين المقبل على تلبية ما يريده النبي ومن ذلك ما دعا النبي صلى الله عليه وسلم أن يلقب الزبير بالحوارى خاصة: "عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَنْ يَأْتِينِي بِخَبَرِ الْقَوْمِ يَوْمَ الْأَحْزَابِ فَقَالَ الزُّبَيْرُ أَنَا ثُمَّ قَالَ مَنْ يَأْتِينِي بِخَبَرِ الْقَوْمِ قَالَ الزُّبَيْرُ أَنَا قَالَ مَنْ يَأْتِينِي بِخَبَرِ الْقَوْمِ فَقَالَ الزُّبَيْرُ أَنَا قَالَ لِكُلِّ نَبِيٍّ حَوَارِيٌّ وَإِنَّ حَوَارِيَّ الزُّبَيْرُ"473.

وعليه: فالحوارى هو الخالص فى النصيحة المناصر لنبي من الأنبياء فى حياته ومن بعد موته مدافعاً عن دعوته بإحقاق الحق وبإبطال الباطل الذى لحق بها، إن تعرضت للتشويه والتبديل وذلك كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ما من نبي بعثه الله فى أمة قبلى إلا كان له من أمته حوارى وأصحاب يأخذون بسنته ويقتدون بها ثم يخلف من بعدهم خلوف يقولون ما لا يفعلون ويفعلون ما لا يؤمرون فمن جاهدكم بيده فهو مؤمن ومن جاهدكم بلسانه فهو

---

472 لسان العرب، ج 4، ص 217.

473 مسند أحمد، ج 29، ص 457.

مؤمن ومن جاهدهم بقلبه فهو مؤمن وليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل"474.

### عيسى والحواريون:

بعد أن دققنا النظر في آيات الله المتعلقة بالسيدة العذراء وسيدنا المسيح عيسى ابن مريم وذلك لاستجلاء صورة الحواريين وموقفهم من نصرته سيدنا عيسى وجدنا إنهم على نفس المسافة من السيدة العذراء بمكان.

فمنهم من قد شهد ما حدث للسيدة المصطفاة المطهرة بداية

من:

- بشرى الملائكة بالميلاد المعجز.

- تحقق البشري.

- إتباع عيسى.

- براءة مريم مما نسب إليها.

- براءة عيسى مما قيل عنه ونسب إليه.

وذلك وغيره في أول مشهد للحواريين في القرآن الكريم إذ يقول الله تعالى: { وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُتْلُونَ أَقْلَامُهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى

---

474 السنن الكبرى للبيهقي، ج 10، ص 90.



ابن مريم وحيها في الدنيا والآخرة ومن المقرين ويكلم الناس في المهدي  
 وكهلاً ومن الصالحين قالت رب اني يكون لي ولد ولم يمسسني بشر  
 قال كذلك الله يخلق ما يشاء اذا قضى امراً فإتما يقول له كن فيكون  
 ويعلمه الكتاب والحكمة والتوراة والإنجيل ورَسُولاً إلى بني إسرائيل اني  
 قد جئتكم باية من ربكم اني اخلق لكم من الطين كهية الطير فانفخ  
 فيه فيكون طيراً باذن الله وأبرئ الأكمه والأبرص وأحيي الموتى باذن  
 الله وأنبتكم بما تأكلون وما تدخرون في بيوتكم ان في ذلك لآية لكم  
 ان كنتم مؤمنين ومصدقاً لما بين يدي من التوراة ولأجل لكم بعض  
 الذي حرم عليكم وجئتكم باية من ربكم فاتقوا الله وأطيعوا ان الله  
 ربي وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم فلما أحسن عيسى منهم  
 الكفر قال من أنصاري إلى الله قال الحواريون نحن أنصار الله آمنا بالله  
 وأشهد باننا مسلمون {475}.

### بشرى الملائكة بالميلاد المعجز:

لم يكن ما حدث بين الملائكة والمصطفاة المطهرة بشرى فقط  
 عبر رؤية مناميه أو وحيا وإنما كانت قولاً مسموعاً يؤيده ما حدث مع  
 زكريا تهيئة لما سيحدث مع المصطفاة المطهرة.

فما حدث معها بشرى قول مصداقاً لقوله تعالى: (وَإِذْ قَالَتِ  
 الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ  
 الْعَالَمِينَ يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ ذَلِكَ مِنْ  
 أَنْبَاءِ الْعَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَقُولُونَ أَفَلَا مَهْمُ أَيُّهُمْ  
 يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ  
 إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهاً فِي

<sup>475</sup> آل عمران 42-52.

الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ الصَّالِحِينَ

فهذا القول لا شك قد علمه زكريا وآخرون ونعتقد أن منهم من سيكون من الحواريين المصدقين لمريم ومؤمنين بأن ما سيحدث معها هو معجزة من الله.

فالملائكة قالت لمريم أبشري بأنك ستلدن غلاما (كلمة من الله اسمه المسيح ابن مريم).

فهذا قول وليس وحيا مناميا، أو إلقاء في روعها، فهو الوحي بأجلى صورته الذي لا يعلوه إلا كلام الله المباشر من وراء حجاب، وهذا ما ارتقت إليه مريم فكلمت الله وكلمها الله.

ومن يصدّق مريم في ذلك فهو مناصر لمريم وحواري لها، ومناصر لله القادر على كلّ شيء.

فقول الملائكة قول ببشارة من الله، والبشارة من الله بأمر مفرح لمريم ولمن في الهيكل.

وقد فعل الله ما يسمى بالمعجزة رحمة بزكريا الذي انتفت عنده أسباب الولادة، وكذلك زوجته، ولم يعهد إن اعتراض أحد على ما حدث لزكريا وزوجته، وهذا كان توطئة لمعجزة الله التي ستحدث مع مريم.

وترقية مريم دون نساء العالمين بأن الله كلمها مصداقا لقوله تعالى: (إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ الصَّالِحِينَ قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ

يَمَسِّنِي بَشَرًا قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ)

ألا تكون مريم في حاجة إلى حوارين لمناصرتها؟

ألم يكن لمريم مكذبون ومفترون عليها؟

أليس عيسى هو أول المناصرين لأمه بعد الله؟

ألا يمكن أن يطلق على عيس بأنه أول الحوارين الذين ناصروا

أمه العذراء المصطفاة المطهرة؟

وقد يتساءل متسائل:

وما العلاقة بين هذا الذي تسرد وبين الحوارين وعيسى؟

نقول: النص القرآني الذي بين أيدينا هو الذي يجيب.

فغير بعيد عن آيات الكلام والبشرى سيأتي خبر عن الحوارين، وذلك لقرئهم من الحدث منذ بدايته وحتى لجأ المسيح للحواريين مستنصرًا بهم.

فحقيقة عيسى التي طلبها كما نظن من الحوارين أن يظهروها هي ما عرفوه عنه وعن أمه مريم فهو (عيسى ابن مريم وكلمة من الله ألقاها إليها).

- وليس إلهًا وليس ابن إله.

- فهم قد شهدوا ذلك وعرفوه عن أمه.

- هم قد شهدوا لها بالبراءة مما نسب إليها.

- هم قد سمعوا شهادة منه ببراءة أمه.

- هم قد سمعوا شهادة منه بأنه عبد الله ورسول منه إلى بني إسرائيل.

### تحقق البشرى:

والبشرى هنا لم تكن متحققة لمريم فحسب بل كانت متحققة لمن علم بأن زكريا نبي من الله أجرى الله له معجزة ورزقه بولد مع انتفاء الأسباب المعتادة للولد، وكذلك ما حدث لمريم التي كان يأتيها الرزق بغير حساب من قبل ذلك، فلا شك أن ميلاد عيسى المعجز لمريم ولعيسى في آن واحد هو أيضا بشرى لجمع المؤمنين الذين هم الحواريون لمريم ثم لعيسى بعد ذلك.

لأنه بالمنطق من لم ينكر ما حدث لزكريا وما حدث لمريم باعتبارها صديقة قانتة راکعة مطهرة مصطفاة، سيكون من حوارى مريم وحوارى عيسى، ألم نقل إن الحوارى هو الناصح والمناصر بشكل عام؟

لذا نتساءل:

أليس تبرئة مريم من شبهة الزنا تأييدا لعيسى؟

أليس تبرئة مريم بأنها صاحبة الله (حاشا لله) تبرئة لعيسى ولمريم وتنزيها لله وهو منزه سبحانه؟

أليس الاعتراف بأن عيسى هو ابن مريم البشرى من الله عبد الله ورسوله نصر لعيسى؟

فكان من العقل أن يكون من الحواريين مَنْ شاهد معجزة الميلاد والكلام لعيسى وهو وليد، ومن العقل أن يكون من هؤلاء نواة للحوارين بعد ذلك.

فمریم قد بشرت بقصة عيسى كاملة كما ورد في سورة آل عمران  
الآيات السابقة.

- والملاحظ أنّ الخطاب كان بين مريم والملائكة ثم حدث  
انقطاع للحوار بين الملائكة ومريم بدءاً من قول مريم عليها الصلاة  
والسلام (قَالَتْ رَبِّ أُنِّي يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَمَآ يَمْسَسُنِي بِشَرٍّ)

هي لم ترد بقول على الملائكة حاملة البشرى، لأنّ ذلك الأمر  
يفوق قدرة الملائكة فتوجهت بقولها للخالق.

- فكان الرد من الله إلى مريم دون واسطة ملك بما سيحدث لها  
والمبشرة به المسيح عيسى ابن مريم فيما يخص المعجزات التي سيفعلها  
ذلك المولود من ولادته حتى رفعه بإذن الله، وكذلك طبيعة رسالته لبني  
إسرائيل قال الله تعالى: (قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا  
فَأَمَّا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ  
وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ أَنِّي أَخْلَقُ لَكُمْ  
مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ  
وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي  
بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ  
مِنَ التَّوْرَةِ وَلِأَجْلِ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ وَجِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ  
رَبِّكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَإِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ  
مُسْتَقِيمٌ)

- فنعقد جازمين بأن مريم كان لها:

- حواريون ناصروها، وعلموا أن ما حدث لها أمر من الله  
القدر على كل شيء.

- كما كان لها مكذبين قالوا عليها بهتاناً عظيماً.

- كان لها مغالون، غالوا فيها وأوصلوها وابنها على درجة الألوهية وهما براء من ذلك.

ويصدق ذلك من القرآن:

من صدق مريم وابنها قوله تعالى: {مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ} 476.

من المنطقي بأن مؤمنين صادقين كانوا بعيسى وبأمه على الحقيقة البشرية التي خلقهم الله عليها، فمريم ليست بصاحبة الله، وعيسى ليس بإله أو ابن الله وليس الله ثالث ثلاثة إنما هو كما أخبر الله عنه وعن أمه وآمن بذلك حشد من الناس في كل عصر بدءاً من وجود عيسى مولوداً وحتى يرث الله الأرض ومن عليها ويفصل بين عباده (مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ). فما عيسى إلا رسول من الرسل الذين خلوا من قبله جاء بآيات من الله كما أتوا بآيات من الله، فإن كان الله أبرأ الأكمه والأبرص وأحيي الموتى على يد عيسى فقد جعل الله العصا حية تسعى لموسى وخلق البحر على يد موسى، وإن كان الله خلق عيسى من غير ذكر فقد خلق آدم من غير ذكر ولا أنثى (وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ) فهي التي صدقت بآيات ربها وبكل ما أخبر عنه ولدها. قال تعالى: {وَصَدَقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتِبَ عَلَيْهَا} 477، وهي المصطفاة المطهرة الصديقة الخالية من المعاصي التي كفلها الله زكريا وأنبتها نباتا حسنا.

---

476 المائدة 75.

477 التحريم 12.

وهي التي رقاها الله بصدقها مع الأنبياء ومع الذين أنعم عليهم سبحانه مصداقا لقوله تعالى: { فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا } 478.

ومن كان مناصرا للمطهرة علم من سيرتها أنها أكلت الطعام، وكذلك عيسى عبد الله ورسوله، ومن المعلوم أن أكل مريم للطعام ثابت في الإنجيل والقرآن.

ومريم أم عيسى.

وعيسى نشأ طفولة عادية رضع من أمه وأكل الطعام.

ومن هذه صفته فهو ليس بإله وليس ابن إله.

من يشهد بذلك ينصر مريم وعيسى.

من يشهد بذلك في أي وقت كان هو حوارى لمريم وعيسى

ولعيسى ومريم.

من يشهد بذلك هو حوارى لله.

نحن ندعو كل من له عقل أن يشهد الحق كل من الكتاب

الذي بين يديه.

الإنجيل فيما تبقى منه ينصر مريم والمسيح.

القرآن الذي جاء مصداقا للإنجيل الذي أنزل على عيسى وليس

الذي كتب سيرة عن عيسى.

الله هو نعم المولى ونعم النصير لعيسى والمصطفاة المطهرة الصديقة فقد قال تعالى: (كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ)، فأكلهما الطعام يدل على فساد قول المغالين من النصارى بأن عيسى إله وذلك للآتي:

\*الله قال (وأمه صديقة).

- فعيسى له أم وكلّ من له أم فهو مخلوق مولود بعد أن كان غير موجود.

- وكلّ من كان له أم كان مخلوقا فهو ليس بإله.

- وإلا يكون كلّ من له أم قابل أن يكون إله فتتعد الإلهة وتبطل المسألة برمتها وإذا بطلت ثبت أن الله لم يلد ولم يولد فهو واحد أحد فرد صمد

- وقال الله تعالى (كانا يأكلان الطعام).

وكلّ من يأكل الطعام فهو في حاجة إليه، وبما أنهما كانا محتاجين للطعام أشد الحاجة ليحيا فهما ليسا بإلهين.

والإله هو الذي يكون غنيا عن جميع الأشياء، فكيف يعقل أن يكون إله من يأكل الطعام وهو في حاجة إليه.

- والله هو الذي يطعم ولا يطعم مصداقا لقوله تعالى: {قُلْ أَغْيِرَ اللَّهُ آخِذُ وَلِيًّا فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ} 479، والذي يُطْعَمُ المخلوق وليس الخالق، وعيسى وأمه كانا يطعمان فهما

---

479 الأنعام 14.



مخلوقان وعليه فهما ليسا بإلهين، وهذا مناصرة لهما قال به الحواريون  
ومن آمن بالمسيح عيسى ابن مريم عبدا لله ورسولا منه، ونحن نؤمن  
بذلك ونصدقه.

- والله هو الرازق وليس المرزوق، والله كان يرزق مريم بغير  
حساب فهي ليست إلهة وان ابنها المسيح ليس بإله مصداقا لقوله  
تعالى: {كَلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَا  
مَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ  
حِسَابٍ} 480.

- فقوله تعالى: {وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا} يعني أنها محتاجة لهذا  
الرزق، والمحتاج للرزق ليس بإله.

- واشتهر إن زكريا كان يجد عندها في الصيف فاكهة الشتاء  
وفي الشتاء فاكهة الصيف فقال زكريا صلى الله عليه وسلم للمرزوقة  
من عند الله: (قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَذَا) من أين لك هذا رزق وأنت  
لم تخرجي؟

قَالَتْ (هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ).

- ورزق مريم في المحراب يبدو أنه طعام الطعام حاجة وهذه  
الحاجة من أقوى الدلائل على أنها ليست بإله.

- ولو كانت مريم وابنها إلهين لما أكلا ولما وجدت فيهما  
الحاجة إلى الطعام أساسا ولكن من الغريب أن كل الشواهد تدل على  
إنسانية مريم والمسيح وبالرغم من ذلك يصر المغالون فيهما أنهما إلهين  
مع أن الإله هو القادر على الخلق والإيجاد، فلو كان إلهين لقدرا على

---

480 آل عمران 37.

دفع ألم الجوع عن نفسيهما بغير الطعام والشراب، فمن لم يقدر على  
دفع الحاجة للطعام والرزق عن نفسيهما كيف يعقل أن يكونا  
إلهيان؟!!

وعليه فإنّ الحواريين الذين شهدوا لمريم بذلك ولعيسى بمثله كانوا  
مناصرين لهما والله.

### إتباع عيسى:

فلما كان الرد قولاً من الله لمريم بأنّه سبحانه يخلق ما يشاء  
بقدرته لأنّه الخالق بسبب نعقله وبلا سبب لأنّه يفوق ما نعقله،  
فكان عيسى المخلوق بالكلمة كن عيسى فكان المسيح عيسى ابن  
مريم عبد الله.

وخلق الله المسيح عيسى ابن مريم رسولا منذ البداية، فهو رسول  
منذ ولادته علّمه الله الكتاب والحكمة والتوراة والإنجيل. (وَيُعَلِّمُهُ  
الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ)

- وقد خصه الله برسالة إلى بني إسرائيل. (وَرَسُولًا إِلَى بَنِي  
إِسْرَائِيلَ) الذين منهم الحواريون

- مؤيد بآية من الله شهدها الحواريون وشهدوا عليها بأنها من  
عند الله منها:

- الخلق من الطين كهيئة الطير ويطير بإذن الله (أَيُّ قَدْ جِئْتُكُمْ  
بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ  
طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ) وهذه الآية قد شهدا الحواريون وشهدوا أنّها من عند  
الله وليست من عند عيسى لأن عيسى قال بذلك (بإذن الله).

- شفاء المولود أعمى الذي لم يصر أبدا (وَأُبْرِيءُ الْأَكْمَهَ) بإذن الله.

- شفاء الأبرص وتطهيره من هذا المرض الجلدي (وَالْأَبْرَصَ) بإذن الله.

- إحياء الموتى بإذن الله (وَأُحْيِي الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللَّهِ).

- الإنباء بما يأكلون ويدخرون (وَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدْخُرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ).

- تعدد هذه المعجزات آية واحدة من الله لعيسى على بني إسرائيل المؤمن منهم والكافر ونعتقد إن من هؤلاء المؤمنين الحواريين (إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ).

- التصديق بالتوراة وما جاء فيها: (وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ) لأنه نبي إلى بني إسرائيل خاصة.

- يحلُّ بعض الذي حرّم عليهم ولم يأت لنسخ التوراة كاملة وذلك يخالف ما ورد في الإنجيل إنه جاء ليهدم المعبد وبينه في ثلاثة أيام (وَلَأُحِلَّ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ).

والدليل على ذلك أنّ النصارى يؤمنون بالعهد القديم وقد اتفقوا على ضمه في كتاب واحد مع الأناجيل التي كتبها يوحنا ومرقص ولوقا ومتّى إضافة إلى أعمال الرّسل بعد ذلك من بعد عيسى وسموا ذلك كلّ الكتاب المقدس.

- إقرار المسيح بأن الذي جاء به ليس من عند نفسه بل من عند الله ربّ المسيح وربّ بني إسرائيل وربّ العالمين حتى لا يتوهم البعض من الكافرين بأن المسيح عيسى ابن مريم قد جاء بشيء من

عند نفسه وذلك درءا للغلو في المسيح وأمه الصديقة المصطفاة المطهرة مما نسب إليها (وَجِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا إِنْ اللَّهَ رَبِّي وَرَبِّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ) فالصراط المستقيم هو عبادة الله وحده مع العلم بان المسيح عيسى ابن مريم هو عبد الله ورسوله المخلوق بقدرة الله إبداعا دون واسطة ملك بالكلمة التي ألقاها إلى مريم (كن فكان المسيح عيسى ابن مريم).

- براءة مريم مما نسب إليها.

يقول الحقّ جلّ وعلا: { فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ قَالُوا يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا يَا أُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكَ بَغِيًّا فَأَسَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا قَالَ إِنْني عَبْدُ اللَّهِ أَنَا نَبِيُّ الْكِتَابِ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا وَبَرًّا بِوَالِدِيَّ وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ مَا كَانَ لِلَّهِ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ وَلَدٍ سُبْحَانَهُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ وَإِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبِّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ مَشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ } 481.

لا شك أنّ من شهد قصة مريم منذ بدايتها وأنها الموهوبة من أمها إلى الله لخدمة المحراب وهذه النشأة الصالحة، وهذه التربية التي كفلها زكريا لها في المحراب والرزق الذي كان يأتيها بغير حساب وولادتها لعيسى ابن مريم ونطقه في المهدي وتبرئته لأمه، كل ذلك من

481 مريم 27-37.

دلائل براءة مريم المصطفاة المطهرة مما نسب إليها بهتاناً، {وَبِكْفَرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ بُهْتَانًا عَظِيمًا} 482.

فبعد ما حدث مع مريم المطهرة المصطفاة من آيات عظام تثبت إنها بشر صديقة تأكل الطعام وترزق من الله ولا تستطيع أن تدفع عن نفسها الحاجة للطعام والرزق ولا حتى البهتان الذي قيل فيها كان فريقان:

- فريق مؤمن مناصر لها وهم الحواريون بالمعنى المباح العام.

- فرق الكافرين من:

1- الذين قالوا بالبهتان.

2- الذين غالوا في مريم وقالوا إنها إله وأنها صاحبة الله (نعوذ

بالله من ذلك القول وغيره في حق العذراء).

الفريق المؤمن المناصر:

هذا الفريق الذي شهد بأن مريم صديقة كانت تأكل الطعام وترزقه من عند الله بغير حساب وقالوا على الحقيقة لمريم {يَا أُخْتُ هَازُونَ مَا كَانَ أَبُوكَ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكَ بَعِيًّا فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِي الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْ لِي جَبَارًا شَقِيًّا وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ مَا كَانَ لِلَّهِ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ وَلَدٍ سُبْحَانَهُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ وَإِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ

فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ مَشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ  
أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا لَكِنِ الظَّالِمُونَ الْيَوْمَ فِي ضَلَالٍ  
مُبِينٍ {483}.

- وأول من ناصر مريم هو المسيح نفسه الذي نطق ببراءتها  
وذلك نصرها لها.

- وثاني من ناصرها من قال لها على الحقيقة بغير تهكم (يا  
أُحْتِ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأً سَوْءٌ وَمَا كَانَتْ أُمُّكَ بَعْجِي) فهذا في  
الحقيقة اعتراف لمريم بطيب الأصل والمنبت.

فكان رد عيسى قولاً معجزاً لنصرة والدته، فهو أول الحواريين  
لمريم، وهي أول الحواريين له.

فريق الكافرين:

هؤلاء الذين كفروا بقولهم على مريم بالبهتان العظيم (وَبِكُفْرِهِمْ  
وَقَوْلِهِمْ عَلَى مَرْيَمَ بُهْتَانًا عَظِيمًا).

- فنسبوا مريم إلى الزنا (فَأَنْتَ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ قَالُوا يَا مَرْيَمُ لَقَدْ  
جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا يَا أُحْتِ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأً سَوْءٌ وَمَا كَانَتْ  
أُمُّكَ بَعْجِيًّا) بهتاناً في الآية الأولى، وتهكما في الثانية.

- أنكروا قدرة الله تعالى على خلق الولد من دون الأب ومنكر  
قدرة الله على ذلك كافر لأنه يلزمه أن يقول: كلّ ولد مولود فله والد  
يسبقه إلى النهاية.

- وذلك يوجب القول بتعدد الآلهة.

- ينفي وجود إله واحد للخلق.

- ولما كفروا وأيقنوا بأن الله ليس بقادر على الخلق بهتوا مريم وهذا كفر.

الفريق الثاني:

- الفريق الثاني منهم من لم يرم مريم بالزنا، إنما قال قولاً شنيعاً آخر وقال بأن مريم وابنها إلهان من دون الله ادعاءً بأن هذا القول من عند المسيح عيسى ابن مريم {وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّي إِهْتِنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقِّ إِنْ كُنْتُ قُلُّهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتُ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ} 484.

- ومن فريق الكفار المغالين من قال أنّ الله ثالث ثلاثة وهذا من البهتان الذي لحق عيسى وأمه.

وهنا كانت الحاجة إلى شاهد عدل ينصر عيس وأمه من هذا البهتان لذي الحقّ بهما، وهذا ما سيطلبه المسيح في الآيات التي بدأنا بها لما أحس عيسى منهم الكفر بقولهم على أمه بهتاناً، وبكفرهم بالله، وبالقول عنه وعن أمّه إلهما إلهان، أو أنّ الله ثالثهما، وغير ذلك من الكفر الذي أحسه المسيح فيهم.

براءة عيسى ممّا قيل عنه ونسب إليه وأمه:

---

484 المائدة 116-117.

(فَلَمَّا أَحَسَّ عَيْسَى مِنْهُمْ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ  
الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ آمَنَّا بِاللَّهِ وَأَشْهَدُ بِأَنَّكَ مُسْلِمُونَ).

وهنا نتساءل:

لماذا لجأ عيسى إلى الحواريين لينصروه إلى الله؟

ولماذا لم يطلب النصرة من الله؟

ولماذا كان رد الحواريين في هذا الموقف بالتحديد نحن أنصار

الله؟

لماذا لم يقولوا نحن أنصار المسيح؟

نقول:

إنّ المسيح يعلم أنّه قد نصر الله وبلغ رسالته إلى بني إسرائيل،  
ولم يقل لهم إلا ما أمره الله به بأنه رسول من الله جاء بأية منه وما فعله  
كلّه من خوارق فهو من عد الله وبإذنه.

والنصرة إلى الله من الحواريين حتى يتأكد أن من أتباعه أنصار  
لله خلصاء بأنّ الله لم يلد ولم يولد وبأن عيسى نفسه عبد لله وليس  
إله وليس ابن لله كما ادعى من كفر بعيسى وقال على أمه كفرا بذلك  
(أَلَا إِنَّهُمْ مِنْ إِفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ وَلَدَ اللَّهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ)485.

- والحواريون علموا بأنّ العذراء طاهرة مصطفاة صديقة ولدت  
المسيح بقدرة الله خلقا بالكلمة كن. لهذا لجأ لهم بأنهم علموا عن مريم  
وعنه ما يدحض كفر من تقوّل عليه وعلى أمه بغير حقّ وبغير علم.



- لهذا لجأ المسيح للحواريين لأنهم شهدوا آياته التي هي من بإذن الله وليست من عند المسيح، ولا شك إن منهم من شاهد ما حدث للعراء من آيات تثبت براءتها بدءاً من نذرهما للمحارب وكفالتها زكريا، وإنباتها نباتاً حسناً، وميلاد المسيح، وكلامه في المهد وغير ذلك، وكل ذلك شهادة بقدر الخالق لا بقدره المخلوق المسيح عيسى ابن مريم.

- الحواريون يشهدون لعيسى نصر الله على أنفسهم وعلى غيرهم بأن المسيح وأمه كانا يأكلان الطعام وهم كانا في حاجة إليه.

- مناصرة الحواريين للمسيح في ذلك الموقف بالتحديد قولهم: (قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ آمَنَّا بِاللَّهِ وَأَشْهَدُ بِأَنَّ مُسْلِمُونَ).

- (آمننا بالله) بأنه الذي خلق مريم واصطفاها وطهرها ورزقها رزقاً حسناً.

- والعجيب أنّ الحواريين قد طلبوا شهادة من عيسى ونصرا لهم (وَأَشْهَدُ بِأَنَّ مُسْلِمُونَ).

منقادون لله مؤمنون به مسلمون له.

- ولماذا لم يطلب المسيح النصرة من الله؟

ذلك لأنّ الله يعلم أن عيسى بريء مما قيل عنه، لأنّ الله يعلم عن عيسى ما لم يعلمه المسيح عن نفسه.

ولأنّ الله بلا شك ينصر عباده ولا سيما الرّسل في الحياة الدنيا  
ويم يأتي كلّ شهيد بشهادته مصداقا لقوله تعالى: { إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا  
وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ } 486.

- والمسيح من رسل الله.

- والحواريون من الذين آمنوا ونصروا الله ورسوله المسيح عيسى  
ابن مريم.

ولماذا كان رد الحواريين في هذا الموقف بالتحديد نحن أنصار  
الله؟

نقول:

- لأنّه من الطبيعي أن من ينصر الله ينصر رسله.

- لأنّ الرّسل لم تقل إلا ما أمر الله به

- لأنّهم يعلمون أنّ الله ينصر المسيح وان المسيح ينصر الله،  
فنحن أنصار الله معك وبك ولك.

- ولم يقولوا نحن أنصارك ذلك لتمام إيمانهم بأن من ينصر اله  
ينصر رسوله

- وفي ذلك كلّ نصر لله وللمسيح وأمه.

- وكلّ من يتخذ ذلك الموقف من المسيح والمصطفاة المطهرة  
ويؤمن بالله ويسلم له فهو من الحواريين.

غير أنّ الكلام عن الحواريين لا يقتصر على ما قلناه حول أول موضع ذكروا فيه بترتيب القرآن المقروء من الفاتحة، لذا سنتتبع باقي المواضع التي ذكر فيها الحواريين لنرى ما الحكمة من ذكرهم في كلّ موضع من القرآن مقترنا ذلك بنوعية المهمة التي طلبت منهم من نبيهم المسيح عيسى ابن مريم صلّى الله عليه وسلّم، فما تكلمنا عنه هو ما دار بين المسيح وبين الحواريين لما أحس عيسى من اليهود الكفر.

والكفر الذي أحسه عيسى من اليهود على احتمالات منها:

- القول بأنّ الله ولد.
- أنّ الله صاحبة.
- أنّ الله ثالث ثلاثة.
- المسيح ابن الله.
- المسيح هو الله.
- القول بالبهتان على المصطفاة المطهرة الصديقة مريم.
- القول على عيسى ادعاء بأنّه قال للناس اتخذوني وأمي إلهيين من دون الله.

والسؤال:

لماذا طلب المسيح في كلّ موقف من المواقف التي ذكر فيها الحواريون النصره منهم إلى الله؟

لأنّه إنسان مخلوق يخشى الله وليس إله أو ابن إله لأنّه لو كان كما ادعوا لما كلب النصره منهم.

وبالتأكيد إن النصره كانت متنوعه حسب ما اقتضاه ذلك الموقف، وقد حاولنا أن نستقصي أول موقف من مواقف الانتصار بالحواريين إلى الله من عيسى ابن مريم صلى الله عليه وسلم.

وفي الصفحات الآتية سنحاول أن نستجلي كل موقف من المواقف الباقية لنلقي الضوء على الخصوصيه التي استلزمت من المسيح ابن مريم الانتصار للحواريين رضي الله عنهم وأرضاهم أجمعين بما نصروا عبد الله ورسوله المسيح عيسى ابن مريم صلى الله عليهم وسلم.

قلنا إن الحواريين كانوا أنصار لله مؤمنين بالله رباً وبعيسى نبياً رسولاً من الله إليهم

والتساؤل:

هل إيمان الحواريين كان بسبب دعوة عيسى لهم؟

هل بسبب ما شاهدوه من معجزات تجري أمامهم؟

لماذا قالوا آمنا بالله؟

لماذا طلبوا الشهادة من عيسى؟

في الحقيقه التي يؤكدھا القرآن أنّ الحواريين كانوا على درجه من الاصطفاء الإلهي، وذلك لأن إيمانهم لم يكن بسبب دعوة عيسى لهم كما يروى في الأناجيل والتفاسير التي توافق ذلك المنقول من الإنجيل.

فقد كان إيمان الحواريين بالله أولاً ثم بعيسى عبداً لله ورسولاً إلى

بني إسرائيل.

وكان إيمان الحواريين إيمانا فيه من الرقي الروحي، والاختيار الإلهي ما يجعل الحواريين بعيدا عن كلّ ظن سيء يحوط بهم....: كيف؟!

لقد كان من المؤرق للعقل أن يستسيغ كيف يطلب الحواريون من عيسى المائدة، ولماذا أصروا عليها؟

ولتوضيح ذلك الأمر نعود إلى إيمان الحواريين.

فقد كان إيمانهم ليس بسبب دعوة عيس لهم، وإنما بسبب آخر يجعل الحواريين في أعلى عليين من الدرجات الإيمانية، لأنهم آمنوا وحيًا من الله سبحانه وتعالى.

فالله الذي أمرهم وحيًا بأن يؤمنوا بالله ربًا وبعيسى صلّى الله عليه وسلّم نبيًا ورسولًا إلى بني إسرائيل مصداقا لقوله تعالى: {وَإِذْ أُوحِيتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ أَنْ آمِنُوا بِي وَبِرَسُولِي قَالُوا آمَنَّا وَاشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ} 487.

إذن فإيمان الحواريين يسبق إسلامهم.

ويترتب على ذلك:

- إقرار الحواريين بأنّ الله واحد أحد فرد صمد.
- يقين الحواريين أنّ الوحي من عند الله.
- وضع الحواريين في درجة قريبة من النبوة لأنهم يوحى إليهم من الله.

- الموحى الله وليس عيسى.

- عيسى رسول من الله بوحى منه وتأيد.

- الحواريون مؤمنون بالله قبل إتباعهم لعيسى

- الحواريون هم أعلم الناس بحقيقة عيسى البشرية.

- عيسى ينتصر بالحواريين.

- الحواريون يعرفون حقيقة عيسى من قبل أن يتبعوه.

- ما فعله عيسى من معجزات هي آية واحدة من الله لعيسى.

يقول الله تعالى: ﴿وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ أَنِّي أَخْلَقْتُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّكُم إِن كُنتُمْ مُّؤْمِنِينَ ﴿وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَلَأُحِلَّ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي حَرَّمَ عَلَيْكُمْ وَجِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمْ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ آمَنَّا بِاللَّهِ وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾.

- فقدرة عيسى على الخلق من الطين (جزء من آية الله له).

ولكن هل قدرة عيسى على الخلق أغرت الحواريين بانحراف

عقيدتهم في عيسى أم زادت عقيدتهم في الله؟

لا شك أنّ الحواريين ازدادوا إيماناً بقدرة الله وبإيمانهم بأن الله

الخالق المطلق، وأنّ عيسى يخلق بتأييد الله له وبقدرة الله، وبأن عيسى

لا يخلق بذاته لأنّه ذات مخلوقة لا خالق.

والمخلوق لا يكون خالقاً بالمطلق بل بالنسبي وبما أُرده الله له أن يخلقه.

أَنَّ عملية الخلق التي أوهمت البعض بأن عيسى إله أو ابن إله أو غير ذلك منتفية كلياً عند الحواريين.

- الخلق والنفخ بإذن الله لا بقدره عيسى.

- وبقية ما فعله عيسى من شفاء الأكمه والأبرص وإحياء الموتى كان بفعل عيسى بإذن الله له لا بقدره عيسى الذاتية على فعل ذلك.

- الحواريون يعلمون ذلك

- الذين انحفوا عن هذا الطريق كانوا هم أول بؤرة للكفر بالله والمغالاة في عيسى.

- فلما أحس عيسى من بني إسرائيل الكفر قال: من أنصاري إلى الله.

قال الحواريون: نحن أنصار الله.

لماذا؟

لأنّ هم مؤمنون بالله من قبل ذلك وحي من الله (وَإِذْ أُوحِيَتْ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ أَنْ آمِنُوا بِي وَبِرَسُولِي قَالُوا آمَنَّا وَاشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ).

- فالذي إيمانه وحي من الله لا تتزعزع عقيدته.

- فكان جواب الحواريين:

نحن أنصار الله.

أشهد يا عيسى لنا بالإيمان بالله وأنا مسلمون له.

- بذلك نصرتك بأنك رسول من الله جئت بآية من الله.

والتساؤل:

لقد جاء عيسى بآية من الله، صدق بها الحواريون فما الذي دفعهم لطلب المائدة؟

هل طلبوها من الله؟ أم من عيسى؟

لماذا طلبوها بقولهم (هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ)؟

ما نتيجة المائدة على العقيدة في الله وفي عيسى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟

والذي يثير التساؤل أيضا:

- ما هو موقف الحواريين العقيدي أهو شك في الله؟

- أهو شك في عيسى؟

- أو هو شك في أنفسهم؟

- أهم يريدون تثبيتا لأنفسهم؟

إن قصة المائدة اللصيقة بالحواريين سبقها آية لا يجب أن يغفل عنها أي محلل لموقف الحواريين فهي تحمل تبينا لموقفهم يبعدهم عن أي شائبة تشوش عليهم ما هم راسخون عليه قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ أُوحِيتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ أَنْ آمِنُوا بِي وَبِرَسُولِي قَالُوا آمَنَّا وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ



يُنزَّلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ قَالَ اتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ قَالُوا نُريدُ أَنْ نَأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَنْ قَدْ صَدَقْتَنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ الشَّاهِدِينَ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا وَآيَةً مِنْكَ وَارزُقْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ قَالَ اللَّهُ إِلَيَّ مَنزَلُهَا عَلَيْكُمْ فَمَنْ يَكْفُرْ بَعْدُ مِنْكُمْ فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذَابًا لَا أُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّي إِهْتِينَ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقِّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمَ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتُ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ قَالَ اللَّهُ هَذَا يَوْمُ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ {488}.

قول الله تعالى: (وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ أَنْ آمِنُوا بِي وَبِرَسُولِي قَالُوا آمَنَّا وَاشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنزِّلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ).

فهل الذين أوحى الله لهم أن يؤمنوا يخالجهم شك في الله أو في رسوله أو في رسالته؟

وما وحي الله للحواريين؟

فالوحي فيه معان منها:

إلهام، يقول الله عزّ وجلّ: (وإذ أوحيت إلى الحواريين) ألهمتهم  
وقدفت في قلوبهم فهو وحي إلهام كما أوحى إلى أم موسى: {وَأَوْحَيْنَا  
إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ} 489، وإلى النحل: {وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ} 490.

"والوحي منه الإعلام في اليقظة والمنام.

"أصل الوحي في اللغة كلّها: إعلام في خفاء ولذلك صار

الإلهام يسمى وحيًا

والوحي الإشارة والإيماء والكتابة تسمى وحيًا والوحي إعلام  
وقال الله عزّ وجلّ {وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ  
حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بآذنيه ما يشاء إنّه عليّ  
حكيم} 491.

إمّا إلهاما

أو رؤيا

وإمّا أنّ يُنزل عليه كتابا كما أنزل على موسى أو قرآنا يُتلى  
عليه كما أنزله على سيدنا محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم وكلّ  
هذا إعلام وإن اختلفت أسباب الإعلام فيها.

وعليه فالوحي:

---

489 القصص 17.

490 النحل 68.

491 الشورى 51.

الإشارة قال الله تعالى: { قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَ لَيَالٍ سَوِيًّا فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ أَنْ سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا } 492.

فأوحى إليهم أي أشار.

والكتابة

والرسالة

والإلهام

والكلام الخفي

وكل ما ألقته إلى غيرك

والوحي المكتوب

والوحي البعث

والوحي ما يوحيه الله إلى أنبيائه

والوحي الأمر والإلهام وقال الزجاج في قوله تعالى (وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ أَنْ آمِنُوا بِي وَبِرَسُولِي) أَلْهَمْتُهُمْ كما قال عز وجل (وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ) وقال بعضهم أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ أَمَرْتُهُمْ وقال بعضهم في قوله (وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ)، أُنْتَيْتُهُمْ في الوحي إليك بالبراهين والآيات التي استدلوها بها على الإيمان فأمنوا بي وبك" 493.

ومن المعاني اللغوية يمكن أن نرد وحي الحواريين إلى معان منها:

---

<sup>492</sup> مريم 10-11.

<sup>493</sup> لسان العرب، ج 15، ص 379.

الإلهام

والأمر

والتبيين

. فالموحى لهم: الحواريون

والموحى به: (أن آمنوا بي وبرسولي) عيسى صلى الله عليه وسلم.

رد الحواريين كان إيجابياً فقالوا لله: (قالوا آمنا واشهد بأننا مسلمون) لما وفقهم الله للإيمان.

وهم قالوا: آمنا، وتقدم الإيمان على الإسلام، لأن الإيمان من أعمال القلوب، وهو عقيدة قلبية تطمئن بها نفس المؤمن وكان إيمانهم من دلائل ثباتهم على موقفهم الذي تلقوه وحيًا من الله.

ثم قالوا (واشهد بأننا مسلمون) وكما هو معلوم أن الإسلام هو الانقياد والخضوع لله في الظاهر من أعمال تقوم بها الجوارح، فالحواريون آمنوا بقلوبهم إيماناً وانقادوا بجوارحهم أعمالاً.

ونقول عن وحي الله للحواريين كان بدون واسطة من فهو من الله بالأمر أو الإلهام أو التبيين لمعرفة الحق بدلائله، أو اجتماع ذلك كله.

وقال الحواريون: (وأشهد بأننا مسلمون) وهنا تبدو ثنائية النداء:

فكلمة (واشهد)؛ فهل المقصود منها شهادة الله لهم أم منهم أم عليهم أم له؟

أم شهادة عيسى لهم أم منهم أم عليهم أم له أم عليه؟

نقول:

هم طلبوا الشهادة من الله ورسوله عيسى ابن مريم:

- من الله:

الذي أوحى لهم بالإيمان به ورسوله لذا استوجب عليهم أن يطلبوا الشهادة أولاً من الله.

- فالشهاد بالملق الله سبحانه وتعالى مصداقاً لقوله تعالى: {وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا} 494، وشهادة الله لا تقابلها غيبة، فلا غيب لديه، وهو سبحانه عالم الغيب والشهادة يعلم ما يغيب عنهم وما شهدوه يقول الله تعالى: {يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا} 495 وهو سبحانه العالم الرائي البصير بعيسى وبالحواريين.

والحواريون يعلمون أن الله يعلم أنهم آمنوا به رباً وبعيسى عبداً رسولا فلماذا طلبوا الشهادة من الله؟

مع تمام علمهم إن الشهيد جلّ جلاله له العلم المطلق الذي يليق به وبالكيفية التي يعلمها هو.

هل لعلمهم الوحي الذي أعلمهم الله به أنّ عيسى عليه السلام ستحدث حوله فتنة عظيمة، وسيغالى فيها من كفر بالله فيلحقوا بعيسى ما لم ينبغ له من ألوهية وإنّه ابن لله وإنه ثالث مقدس مع الله وروح القدس.

نقول: إن هذا الخاطر لا بدّ أن يكون قد جاء على خاطر الحواريين لأن ما قيل عن عيسى هو هذا بالفعل نسبة بالباطل إلى

---

494 النساء 79.

495 طه 110.

الحواريين كما هو منسوب زورا وكذبا نسب إليهم كما في الإنجيل  
المستعمل الآن كما جاء في الإنجيل كما دونه لوقا:

"يسوع يطعم الخمسة آلاف، وبعدهما رجع يسوع أخبروه بجميع  
ما فعلوه، فأخذهم وذهب بهم على إنفراد إلى مدينة اسمها بيت  
صيدا. ولكن الجموع علموا بذلك فلحقوا به، فاستقبلهم وحدثهم عن  
ملكوت الله، وشفى منهم من كانوا محتاجين على الشفاء. ولما كاد  
النهار ينقضي، تقدّم عليه الاثنا عشر وقالوا له: "اصرف الجمع  
ليذهبوا إلى القرى المجاورة، وإلى المزارع، فيبيتوا هناك ويجدوا طعاما،  
لأننا هنا في مكان مقفر!"

فقال لهم: "أعطوهم أنتم ليأكلوا"

أجابوا: "ليس عندنا أكثر من خمسة أرغفة وسمكتين - إلا إذا  
ذهبنا واشترينا طعاما لهذا الشعب كلّه"  
فقد كانوا نحو خمسة آلاف رجل.

ثم قال لتلاميذه: "أجلسوهم في جماعات تتألف من كلّ منها  
من خمسين".

ففعّلوا، وأجلسوا الجميع.

فأخذ الأرغفة الخمسة والسمكتين، ورفع عينيه نحو السماء، ثم  
باركها وكسرها وأعطى التلاميذ ليقدموا إلى الجمع. فأكلّ الجميع  
وشبعوا. ثم رُفِعَ من الكسر الفاضلة عنهم اثنا عشرة قفة<sup>496</sup>.

أما القصة في إنجيل يوحنا هي:

---

<sup>496</sup> إنجيل لوقا ص 100.

## "إطعام الخمسة الآلاف"

بعد ذلك عبر يسوع بحيرة الجليل على، أي بحيرة طبرية، إلى الضفة المقابلة، وتبعه جمع كبير بعدما رأوا آيات شفاؤه للمرضى. وصعد يسوع وتلاميذه إلى الجبل وجلسوا. وكان عيد الفصح اليهودي قد اقترب. وإذ تطلع يسوع ورأى جمعا كبيرا قادمًا نحوه، قال ليلس: "من أين تشتري خبزا لنطعم هؤلاء كلهم؟" وقد قال هذا ليمتحنه، لأن يسوع كان يعرف ما سيفعله.

فأجابه فيلبس: "حتى لو اشترينا خبزا بمئتي دينار، لما كان يكفي ليحصل الواحد منهم على قطعة صغيرة!" فقال له أندرواس، أخو سمعان بطرس، وهو احد التلاميذ:

"هنا ولد معه خمسة أرغفة شعير وسمكتان صغيرتان. ولكن ما هذه لمثل هذا الجمع الكبير؟"

فقال يسوع: "أجلسوهم" وكان هناك عشب كثير.

فجلس الرجال وكان عددهم نحو خمسة آلاف. فأخذ يسوع الأرغفة شكر، ثم وزع منها على الجالسين، بقدر ما أرادوا. وكذلك فعل بالسمكتين. فلما شبعوا قال لتلاميذه: "اجمعوا كسر الخبز التي فضلت لكيلا يضيع شيء!"، فجعوها، وملأوا اثنتي عشرة قفة من كسر الخبز الفاضلة عن الآكلين من خمسة أرغفة الشعير. فلما رأى الناس الآية التي صنعها يسوع قالوا: "هذا هو النبي الآتي إلى العالم"، وأحس يسوع إنهم على وشك أن يختطفوه ليقيموه ملكا، فعاد إلى الجبل وحده 497.

---

<sup>497</sup> إنجيل يوحنا، ص، 142.

في القصة المتكررة باختلاف في بعض تفاصيلها نجد الآتي:

- مباركة لطعام موجود بالفعل.

- لا إيجاد للطعام من العدم.

- التلاميذ لم يطلبوا الطعام من يسوع.

- الجموع لم تتطلب الطعام من يسوع.

- يسوع أمر تلاميذه ببقاء الناس.

- يسوع أخذ الطعام القليل وباركه.

- الناس اعترفوا بنبوة عيسى لا بألوهيته (فلما رأى الناس الآية

التي صنعها يسوع قالوا: "هذا هو النبي الآتي إلى العالم)

الطعام للخمسة آلاف ليس من الله بل ببركة عيسى. التلاميذ لم يقولوا ليسوع إنه إله أو ابن الله، وكذلك الناس. ولكن المفاجأة أن يأتي في الإنجيل أن المائدة الحقيقية والطعام النازل من السماء هو يسوع نفسه لأنه ابن الله (كما يدعون). فهنا لا علاقة بين القصة وبين ما ألقوه بها من مغالاة في عيسى وقولهم عليه قولا مفترى، كما جاء غير بعيد في أنجيل يوحنا: "فلما وجدوه على الضفة المقابلة من البحيرة، قالوا له يا معلم: متى وصلت إلى هنا؟"

أجابهم يسوع: "الحق الحق أقول لكم: أنتم تبحثون عني لا لأنكم رأيتم الآيات، بل لأنكم أكلتم وشبعتم من تلك الأرغفة. لا سعوا وراء الطعام الفاني، بل وراء الطعام الباقي إلى الحياة الأبدية، والذي يعطيكم إياه ابن الإنسان، لن هذا الطعام قد وضع الله الآب ختمه عليه".



فسألوه ماذا نفعل لنعمل ما يطلبه الله؟"

أجاب يسوع: "العمل الذي يطلبه الله أن تؤمنوا بمن أرسله؟"

فقالوا له: ما الآية التي تعملها لنؤمن بك؟ ماذا تقدر أن تعمل؟  
فإنّ آباءنا أكلوا المن من البرية كما جاء في الكتاب: "أعطاهم من  
السماء خبزاً ليأكلوا"

فأجابهم يسوع: "الحقّ الحقّ أقول لكم إنّ موسى لم يعطكم خبزاً  
من السماء وإنما أبي هو الذي يعطيكم الآن خبز السماء الحقيقي،  
فخبز الله هو النازل من السماء الواهب حياةً للعالم."

قالوا له: يا سيد، أعطنا في كلّ حين هذا الخبز"

فأجابهم يسوع: "أنا هو خبز الحياة. فالذي يقبل إليّ لا يجوع،  
والذي يؤمن بي لا يعطش أبداً."

ولكن قلت لكم إنكم رأيتموني ولا تؤمنون، ولكن كلّ ما يهبه  
الآب لي سيأتي إليّ ومن يأتي إليّ لا أطرحه إلى الخارج أبداً فقد نزلت  
من السماء لا لأتم مشيئتي بل مشيئة الذي أرسلني.

ومشيئته هي ألا أدع شيئاً ممّا وهبه لي يهلك، بل أقيمه في اليوم  
الأخير.

نعم إن مشيئة أبي هي أن كلّ من يرى الابن ويؤمن به تكون له  
الحياة الأبدية، وسأقيمه أنا في اليوم الأخير" 498.

-قصة المائدة مع التلاميذ في الإنجيل سردت لتبرز أن عيسى

هو ابن الله

---

<sup>498</sup> إنجيل يوحنا، ص 143.

- ولكن هذا الإبراز في نهاية القصة لا في أولها
- لقد ترك الناس على عمى من حقيقة الأمر
- يسوع يفصح عن نفسه ابنا لله لما تبعوه بعد مباركة الطعام.
- الادعاء بان الخبز الحقيقي هو ابن الله النازل من السماء.
- والذي يدحض ذلك من الإنجيل:
- إنَّ عيسى ولد في الأرض في الناصرة أو بيت لحم.
- إنَّ عيسى لم ير مرة واحدة ينزل من السماء ويصعد إليها في عموم الإنجيل قبل حادثة الصلب التي يقولوا بها في الإنجيل ادعاء.
- التلاميذ لم يقرأوا في القصة بنوة عيسى لله.
- يسوع هو الذي أفصح عن هذا للناس وليس للتلاميذ والناس معا.
- التضارب في عدد الآكلين من فزاد متى "وكان الآكلين خمسة آلاف رجل، ما عد النساء والأطفال" 499
- لم نجد ادعاء للربوبية المسيح في متى فيما يخص المائدة، ولكن الذي أثبتها يوحنا أثبت ألوهية يسوع بين البنوة وأنه هو الله (أستغفر الله)
- تضارب القصة يفضي إلى:
- إن النص المكتوب في الإنجيل سيرة كتبها مجموعة مختلفة لأن كل منهم كتب نصا مخالفا لغيره.

---

499 متى، ص 23.

- النص المكتوب ذو طابع إنساني وليس من إنجيل عيسى في شيء.

- النص في الإنجيل ينفي حدوث الآية الحقيقية وهي نزول المائدة من السماء.

- النص الإنجيلي يصر في بعض رواياته على الغلو في عيسى بين إنه ابن الله أو الله.

- التمهيد لفكرة الخلاص التي تقوم عليها النصرانية بأن يسوع يخلص العالم من خطاياهم.

ونعود للنص القرآني لنجد من الدلائل التي تنقض النص الإنجيلي منها:

- المائدة طلبها الحواريون من عيسى الإنسان ابن مريم: (إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ قَالَ اتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ قَالُوا نُرِيدُ أَنْ نَأْكَلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَنْ قَدْ صَدَقْتَنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ الشَّاهِدِينَ).

- فالحواريون يعلمون أن عيسى هو ابن مريم وبذلك ينتفي القول بالبنوة وبالتالوث.

- التأكيد على أن الموجد الله وليس عيسى.

- المائدة مائدة طعام للأكل وليست شيئاً معنوياً.

- الحواريون مؤمنون بالله رباً وبعيسى نبياً ورسولاً وعبداً لله.

- طلب المائدة من باب ما طلبه إبراهيم صلى الله عليه وسلم: {وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أُولِمُ تُوْمَنَ قَالَ بَلَى

وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ  
عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ  
حَكِيمٌ {500.

- الحواريون طلبوا من عيسى أن يسأل الله ولم يسألوا عيسى  
المائدة لعلمهم بأن الله الموجد لا عيسى.

- عيسى لم يفعل الآية بل دعا الله، وذلك ينفي ما الحقّ به من  
البنوة أو التثليث أو انه الله، (قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنْزِلْ  
عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا وَآيَةً مِنْكَ وَارزُقْنَا  
وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ).

- التأكيد في قصة المائدة على إن عيسى ابن مريم.

- عيسى ابن مريم يسأل الله أن ينزل المائدة من السماء.

- المائدة مائدة طعام وليست ابنا لله كما يدعون.

- نزول المائدة فرح لعيسى وللحواريين ولكل مؤمن بالله.

- المائدة آية من الله وليست من عيسى.

- المائدة رزق مادي يشبع ومعنوي يثبت الإيمان بالله الذي لم

يولد ولم يولد.

-إجابة الفورية من الله، (قَالَ اللَّهُ إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ فَمَنْ يَكْفُرْ

بَعْدُ مِنْكُمْ فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذَابًا لَا أُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ).

التأكيد على نزول المائدة من السماء.

---

500 البقرة 260.

-المائدة تطمين للحواريين.

- المائدة براءة ليعسى مما نسب إليه وقيل عنه.

ونخلص من ذلك إلى أن:

- الحواريون لم يطلبوا المائدة شكاً في الله.

ولا شكاً في عيسى.

- ولا كفراً منهم.

- بل تطميناً لهم.

- تأكيداً على أن عيسى ابن مريم.

- وليس ابناً لله.

- وذلك كله لأن الحواريون قد سبق لهم أن آمنوا وحيماً بأمر الله

وإلهاماً منه مصداقاً لقوله تعالى: (وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ أَنْ آمِنُوا

بِي وَبِرَسُولِي قَالُوا آمَنَّا وَاشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ)

ولا يجوز لأحد أن يتوهم على الحواريين أنهم شكوا في قدرة الله

تعالى لكنه كما يقول الرجل لصاحبه هل تستطيع أن تقوم معي؟ مع

علمه بأنه يقدر على القيام وإنما قصد بقوله هل تستطيع هل يسهل

عليك وهل يخف أن تقوم معي فكذاك. معنى الآية: لأنّ الحواريين

كانوا مؤمنين عارفين بالله عزّ وجلّ ومعترفين بكمال قدرته وإنما قالوا

ذلك ليحصل لهم مزيد الطمأنينة كما قال إبراهيم عليه السلام ولكن

ليطمئن قلبي. ولا شك أنّ مشاهدة هذه الآية العظيمة تورث مزيد

الطمأنينة في القلب ولهذا السبب قالوا وتطمئن قلوبنا، وقيل في معنى

الآية: هل يقبل ربك دعاءك ويعطيك بإجابة دعائك وسؤالك إنزال

المائدة، فقد ورد في الآثار: من أطاع الله أطاعه كل شيء (أن ينزل علينا مائدة من السماء)، والمائدة الإِناء الذي عليه الطعام ولا يسمى مائدة إن لم يكن عليه.

قال عيسى مجيباً للحواريين: (اتقوا الله إن كنتم مؤمنين)، يعني اتقوا الله في هذا السؤال إن كنتم مؤمنين لأنه سؤال تعنت وقيل: أمرهم بالتقوى ليحصل لهم هذا السؤال ومعنى إن كنتم مؤمنين مصدقين فلا تشكوا في قدرة الله تعالى وقيل معناه اتقوا الله أن تسألوا شيئاً لم يسأله أحد من الأمم قبلكم فنهاهم عن اقتراح الآية بعد الإيمان.

وقول عيسى ذلك يثبت إنه لا يعلم الغيب لماذا؟

لأنّ الحواريين مؤمنون متقون فلم يسألوه أن يطلب من الله المائدة شكاً فيه أو في الله، بل للطمأنة القلبية لأنهم مؤمنون فقالوا: (قالوا آمنا وأشهد بأننا مسلمون)، لذلك قالوا لعيسى ابن مريم: (قَالُوا نُرِيدُ أَنْ نَأْكُلَ مِنْهَا وَنَطْمِئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَنَّ قَدْ صَدَقْتَنَا وَنَكُونَ عَلَيَّهَا مِنَ الشَّاهِدِينَ).

من الشاهدين أنّها من عند الله لا من عندك.

ولما طلبوا ذلك قال عيسى لهم: اتقوا الله في طلب هذه المعجزة، ولم يعلم ماذا يقصدون.

-وهذا يدل على نسبية علم عيسى بما يدور في خلد الحواريين، ومن لا يعلم بالمطلق فهو يعلم بالنسبي.

ومن يعلم بالنسبي ليس بإله:

- فطلب المائدة من الحواريين لا لمجرد أن تكون معجزة وقتية لهم بل لأمر كثيرة منها:

- للأكل منها لأنها من السماء لا للجوع كما عند كثير من المفسرين.

- الحواريين مؤمنون بقدرة الله تعالى بالدليل العقلي، ولكن إذا شاهدوا نزول هذه المائدة ازداد يقينهم واطمأنت قلوبهم.

- علم الحواريين بسائر المعجزات وتصديقها بأنها من عند الله، وكذلك عيسى ابن مريم نفسه فهو معجزة من عند الله.

- مشاهدة المائدة تنزل من السماء تجعل الحواريين يتعلقون بالله لا بعيسى.

- جميع المعجزات التي جاء بها عيسى أرضية، والمائدة معجزة سماوية عينية وهي أعجب وأعظم، فإذا شاهدها الحواريون كانوا عليها من الشاهدين وعلى الذين لم يحضروها من بني إسرائيل ومن العالم أجمع بعد ذلك بكمال القدرة لله لعيسى بالرسالة والنبوة وأن عيسى عبدا لله سأله فأعطاه.

- إن عيسى لا يوجد شيئا من عند نفسه.

### الحواريون والصحابة:

مما لا شك فيه إن الحواريين لم يقتصر دورهم على مناصرة عيسى صلى الله عليه وسلم فقط بل تعدى دورهم إلى:

- مناصرة الله في عيسى.

- مناصرة عيسى في الله.

- مناصرة الحقّ أينما كان وبأيها شكلٍ من أشكاله.

- مناصرة كلّ نبي سابق على نبيهم عيسى بقول الحقّ عنه اتباع ما أمرهم الله به ونبيهم عيسى فيما لم ينسخه.

ومن اللافت للنظر وجود علاقة قوية بين أنصار عيسى إلى الله وأصحاب النبي محمد صلى الله عليه وسلّم:

- فمن نصر عيسى لا بدّ أنه سينصر سيدنا محمد صلى الله عليه وسلّم.

- من ينصر عيسى ينصر بشارته بسيدنا محمد صلى الله عليه وسلّم.

- من ينصر عيسى وينصر محمد ينصر الله.

- من يؤمن بنبوّة سيدنا محمد يؤمن بالحقّ الذي جاء به عيسى.

- من ينصر سيدنا عيسى وسيدنا محمد من على الحقّ الذي دعا وبشر به عيسى وقال به سيدنا محمد صلى الله عليه وسلّم كما قال الله تعالى: {وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعَى إِلَى الْإِسْلَامِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنَجِّيْكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ تُوْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ



بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ يَعْفِرْ لَكُمْ  
ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي  
جَنَّاتٍ عَدْنٍ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ وَأُخْرَى تُحِبُّوهَا نَصَرَ مِنَ اللَّهِ وَفَتَحَ  
قَرِيبٌ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا أَنْصَارَ اللَّهِ كَمَا قَالَ  
عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ  
أَنْصَارُ اللَّهِ فَأَمَنْتَ طَائِفَةٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَكَفَرْتَ طَائِفَةٌ فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ  
آمَنُوا عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ {501.

وبتناول الآيات نرى الآتي:

. تصديق عيسى بالتوراة والإنجيل.

. التوراة والإنجيل.

. التصديق بالتوراة والإنجيل يبشر بأحمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

. عيسى جاء بني إسرائيل بنبات الصدق عن بشارته بأحمد.

. البينات تأييد من الله.

. الكفار قالوا عن النبات سحر مبین.

وذلك مصداقا لقوله تعالى (وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي  
إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَمُبَشِّرًا  
بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا  
سِحْرٌ مُبِينٌ).

ومن الآيات نلاحظ:

---

501 الصف 146.

. التأكيد على نسب عيسى صلى الله عليه وسلم: فهو المخلوق  
الوحيد من أبناء آدم الذي ينسب لأمه لأنه يعود إليها (وَإِذْ قَالَ  
عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ)

فقول عيسى ابن مريم هو إخبار لقومه بما أنباه الله له وصدقت  
به التوراة والإنجيل بأن عيسى ابن مريم رسول إلى بني إسرائيل خاصة  
ولم مرسلًا لسواهم مصداقًا لقوله تعالى: (يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ).

فالنداء يا بني إسرائيل فيه من الخصوصية التي تعم وتخص في آن  
واحد:

- تعم بني إسرائيل كلهم في دعوته سواء من حضر ذلك النداء  
ومن لم يحضره.

- من عاصر عيسى ابن مريم ومن لم يعاصره وجاء بعده.

- وتخص بني إسرائيل دون غيرهم من الأمم مصداقًا لقوله تعالى  
(إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ).

وهذه الخصوصية فيها من الشرف العظيم لبني إسرائيل منه  
الآتي:

- أن الله أرسل لهم المسيح عيسى ابن مريم آية منه.

- أن الله أيّد المسيح عيسى ابن مريم بالروح القدس.

- أن الله أعطى المسيح آية في أظهر المعجزات من إحياء الموتى  
والنفخ في الطين وشفاء الأكمه والأبرص وغير ذلك.

- أن الله جعل بني إسرائيل الذين آمنوا بالمسيح حاملِي البشارة  
بالنبي الخاتم أحمد.

- أن جعل الله من آمن منهم أنصارا لله ولرسوله عيسى ابن مريم.

- أن جعل هؤلاء شهودا على هذه البشارة لغيرهم من الأمم.  
وتبيان ذلك: قول المسيح (إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ) تأكيدا على أن رسول الله وليس ابنا لله أو الله أو ثالث ثلاثة أو غير ذلك.  
. وأرسل بالوصف الذي عرفه الجميع من أم دون أب آية من الله مصدقا بالتوراة وبكتب الله وبأنبيائه جميعا ممن تقدم منهم.  
. ومؤمنا بمن تأخر منهم في الزمن وليس في الرتبة بسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم

- وقول المسيح في بشارته (وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ) يصدق بالتوراة الصحيحة مثل تصديقي بها وبظهوره.

. المبشر به من قبل المسيح المصدق بالتوراة والإنجيل اسمه أحمد صلى الله عليه وسلم، وأحمد رسول من الله للكافة يصدق بالتوراة والإنجيل ويرسله الله بكتاب مهيمن هو القرآن مصدقا لقوله تعالى: {وَقَفَّيْنَا عَلَىٰ آثَارِهِم بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ وَأَتَيْنَاهُ الْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ وَلِيَحْكُمَ أَهْلُ الْإِنجِيلِ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فِيهِ وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيِّمًا عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلِّ} 502.

. ليحكم أهل الإنجيل بالإنجيل قبل نزول القرآن المهيمن عليه  
من قبل الله تعالى،

. وليحكم أهل التوراة بالتوراة من قبل نزول القرآن.

. وليكن الحكم بالقرآن لأنه لن ينسخ ولن يحرف.

لماذا يكون الحكم بالقرآن لأن القرآن يصدق التوراة والإنجيل  
وليس العكس، لأن القرآن فيه من الشرائع الصالحة لكلّ زمان ومكان  
لأنه منزل لكافة بينما التوراة والإنجيل لا مصداقا لقوله: (وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ  
الكتاب بالحقّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ) وهذا خطاب مع  
سيدنا محمد صلّى الله عليه وسلّم فالكتاب الذي أنزله الله يهيمن على  
كلّ كتاب نزل من السماء.

وقوله (وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ) لها معاني منها:

ومن معاني الهيمنة التي للقرآن على التوراة والإنجيل وغيرهما من  
الكتب المنزلة على الأنبياء بمعنى يؤمن بها جميعا ويكون أمينا عليها  
وذلك كالأتي: آمن يؤمن فهو مؤمن، آمن يؤمن فهو مؤمن بهمزتين،  
ثم قلبت الأولى هاء كما في: هرقت وأرقت، وهياك وإياك، وقلبت  
الثانية ياء فصار مهيمنا فلهذا يقال (وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ) أمينا على الكتب  
التي قبله.

. عدم النسخ: فالقرآن مهيمنا على الكتب لأنه الكتاب الذي  
تتبدل أحكامه ولا ينسخها كتاب آخر، لأن لا يلحقه التحريف  
تصديقا لما قال تعالى: {إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ} 503.

. اشتماله عليها: وبما أنّ القرآن شهد هذه الكتب بأنّها من عند الله؛ فهو يحتويها ويضمها في ثناياه.

لذلك قال الله تعالى: (فاحكم بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ) بالقرآن المهيمن على الكتب السابقة، ومن أن يضطلع على بشارة المسيح القولية بأحمد فليقرأ النص كما قاله المسيح لبني إسرائيل والبشارة متضمنة الاسم المبشر به بعد المسيح صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أحمد مصداقا لقوله تعالى: {يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ}.

ومّا ورد في كتب أهل الكتاب من الإنجيل ما بشارة المسيح ما أورده الرازي من نسخة من الإنجيل المعاصرة له جاء فيها كما نقله الرازي: "ولنذكر الآن بعض ما جاء به عيسى عليه السلام، بمقدم سيدنا محمد عليه السلام في الإنجيل في عدة مواضع أولها: في الإصحاح الرابع عشر من إنجيل يوحنا هكذا: (وأنا أطلب لكم إلى أبي حتى يمنحكم، ويعطيكم الفارقليط حتى يكون معكم إلى الأبد، والفارقليط هو روح الحقّ اليقين) هذا لفظ الإنجيل المنقول إلى العربيّ، وذكر في الإصحاح الخامس عشر هذا اللفظ: (وأما الفارقليط روح القدس يرسله أبي باسمي، ويعلمكم ويمنحكم جميع الأشياء، وهو يذكركم ما قلت لكم) ثم ذكر بعد ذلك بقليل: (وإني قد خبرتكم بهذا قبل أن يكون حتى إذا كان ذلك تؤمنون)، وثانيها: ذكر في الإصحاح السادس عشر هكذا: (ولكن أقول لكم الآن حقًا يقينا انطلاقي عنكم خير لكم، فإن لم أنطلق عنكم إلى أبي لم يأتكم الفارقليط، وإن انطلقت أرسلته إليكم، فإذا جاء هو يفيد أهل العالم، ويدينهم ويمنحهم ويوقفهم على الخطيئة والبرّ والدين) وثالثها: ذكر بعد ذلك بقليل هكذا: (فإن لي كلاما كثيرا أريد أن أقوله لكم، ولكن لا تقدرون على قبوله والاحتفاظ به، ولكن إذا جاء روح الحقّ إليكم

يلهمكم ويؤيدكم بجميع الحق، لأنه ليس يتكلم بدعة من تلقاء نفسه) هذا ما في الإنجيل، فإن قيل: المراد بفارقليط إذا جاء يرشدهم إلى الحق ويعلمهم الشريعة، وهو عيسى يجيء بعد الصلب؟ نقول: ذكر الحواريون في آخر الإنجيل أن عيسى لما جاء بعد الصلب ما ذكر شيئا من الشريعة، وما علمهم شيئا من الأحكام، وما لبث عندهم إلا لحظة، وما تكلم إلا قليلا، مثل أنه قال: «أنا المسيح فلا تظنوني ميتا، بل أنا ناج عند الله ناظر إليكم، وإني ما أوحى بعد ذلك إليكم"504.

ولله در البوصيري حين قال:

جاء المسيح من الإله رسولا .. فأبى أقل العالمين عُقولا  
قوم رأوا بشرا كريما فادعوا .. من جهلهم لله فيه حلولا  
وعصاة ما صدقته وأكثرت .. بالإفك والبهتان فيه القيلا  
لم يأت فيه مفرط ومفرط .. بالحق تجرحا ولا تعديلا  
فكأما جاء المسيح إليهم .. ليكذبوا التوراة والأنجيلا  
فاعجب لأمتيه التي قد صيرت .. تنزيها لإلهها التنكيلا  
وإذا أراد الله فتنة معشر .. وأضلهم رأوا القبيح جميلا  
هم بجلوه بباطل فابتزوه .. أعداؤه بالباطل التبجيلا  
وتقطعوا أمر العقائد بينهم .. زمرأ لم تر عقدها محلولا  
هو آدم في الفضل إلا أنه .. لم يعط حال النخعة التكميلا

---

<sup>504</sup> تفسير الرازي، ج 15، ص 338.

أَسْمِعْتُمْ أَنَّ الْإِلَهَ لِحَاجَةٍ .. يَتَنَاوَلُ الْمَشْرُوبَ وَالْمَأْكُولَا  
 وَيَنَامُ مِنْ تَعَبٍ وَيَدْعُو رَبَّهُ .. وَيُرْوَمُ مِنْ حَرِّ الْهَجِيرِ مَقِيلَا  
 وَيَمْسُهُ الْأَمُّ الَّذِي لَمْ يَسْتَطِع .. صَرَفَا لَهُ عَنْهُ وَلَا تَحْوِيلَا  
 يَا لَيْتَ شِعْرِي حِينَ مَاتَ بَرَعْمِهِمْ .. مِنْ كَانَ بِالتَّدْبِيرِ عَنْهُ كَفِيلَا  
 هَلْ كَانَ هَذَا الْكَوْنُ دَبَّرَ نَفْسَهُ .. مِنْ بَعْدِهِ أَمْ آثَرَ التَّعْطِيلَا  
 زَعَمُوا الْإِلَهَ فَدَى الْعَبِيدِ بِنَفْسِهِ .. وَأَرَاهُ كَانَ الْقَاتِلَ الْمُقْتُولَا  
 أَيْكُونُ قَوْمٌ فِي الْجَحِيمِ وَيَصْطَفِي .. مِنْهُمْ كَلِيمَا رَبَّنَا وَخَلِيلَا  
 وَإِذَا فَرَضْتُمْ أَنَّ عَيْسَى رَبُّكُمْ .. أَفَلَمْ يَكُنْ لِفِدَائِكُمْ مَبْدُولَا

ولما جاءهم المسيح بدلائل الصدق على كونه عبدا لله كفروا  
 وغالوا فيه، ولما جاءهم الخاتم محمد صلى الله عليه وسلم كذبوه وقالوا  
 ساحر وذلك مصداقا لقوله تعالى {وَإِذْ قَالَ عَيْسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي  
 إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَمُبَشِّرًا  
 بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا  
 سِحْرٌ مُبِينٌ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعَى إِلَى  
 الْإِسْلَامِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ} 505؛ فقد كذبوا ما قاله  
 المسيح وبما جاء به محمد، لذا كان وجود الحواريين ضرورة، لينشروا نور  
 الحق الذي أراد المبطلون إطفاءه بالكذب الذي يقولون على المسيح  
 وعلى محمد صلى الله عليهما وسلم {يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ

وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَىٰ الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ {506}.

وإطفاء نور الله تعالى بأفواههم، تحكم بهم في إرادتهم إبطال الإسلام بقولهم في القرآن: {هذا سحر} 507، وحالهم حال من ينفخ في نور الشمس بفيه ليطفئه.

فهل يستطيع أحد أن يطفىء نور الشمس بنفخة من فيه؟

أو يستطيع أحد أن يحجب نور سيدنا محمد حتى لو بالغ هذا الكذاب في كذبه على النبي صلى الله عليه وسلم؟

لا يستطيع لأن الله قال (والله مُتِمُّ نُورِهِ).

والنور هنا أربعة أنوار:

نور الله.

نور سيدنا محمد.

نور القرآن.

نور الإسلام.

وقوله تعالى: (وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ) فالكارهون منه:

- من اليهود.

- ومن النصارى.

- المشركون.

---

506 الصف 8، 9.

507 الصف 6.



والله أرسل المسيح ومحمد (بالهدى) لمن اتبع المسيح في أن يتبع عيسى عبدا لله ومبشرا بمحمد رسولا يؤكد على عبودية المسيح صلى الله عليه وسلم.

- كما أرسل محمد بدين الحق الذي لا يقول على المسيح إلا ما ينصر المسيح وينصر الله لأن دين النبي محمد حق لقوله تعالى: (وَدِينِ الْحَقِّ).

والحق هو الله تعالى والدين دين الله الحق: (يُظْهِرُهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ)، يظهر الله الإسلام والرسول محمد صلى الله عليه وسلم بالحجة والعلم.

ونتساءل:

وهل هناك دين بالطل؟

مجازا يقال على الصنم إله وهو ليس بإله، ويقال على المعتقد الفاسد دين وهو ليس بدين مصداقا لقوله تعالى: {أَفَعَيَّرَ دِينَ اللَّهِ يَتَّبِعُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ} 508.

فدين الحق هو دين الله الذي عليه أنبيأؤه ونصراؤهم الذين أمروا بقتال دين الباطل الذي من صفات أهله:

كما جاء في قوله تعالى: {قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ} وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرُ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ

---

<sup>508</sup> آل عمران 83.

بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ  
اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهَبَاءَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا  
إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ {509}.

فأنصار الله أمروا بقتال دين الباطل وأهله الذين من صفاتهم:

. (لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ) والإيمان بالله بالمطلق ينفي الشرك أو الكفر  
به كلياً، فلا يؤمنون بالله رغم علمهم به ولكن اتخذوا معه شركاء، أو  
آمنوا به وعطلوا صفاته من مثل إنه سيحاسب الناس على أعمالهم  
فأنكروا اليوم الآخر والجنة والنار وهذا معتقد اليهود إلى الآن والثابت  
في التوراة التي بين أيديهم وأيدينا حتى هذا الوقت، وهذا تحريف بين.

. (وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ) فمن أنكر الله منهم الله ولم يؤمن أنكر اليوم  
الآخر، ومنهم من يؤمن بالله ولكن ينكر اليوم الآخر وهم اليهود كما  
قلنا، لكن النصارى يشركون بالله ويؤمنون باليوم الآخر.

. (وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ) وهؤلاء لا يحرمون ما حرم  
الله وأمثلة ذلك متنوعة متعددة، فهم قد حرموا على أنفسهم متعة  
الحياة الدنيا من طيب الطعام وحلال النساء، ويكفي قول الله فيهم:  
{ قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَى بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ } 510.

ويكفي من هذا الاستبدال ما أحدثه النصارى من ابتداع  
الرهبانية التي لم يكتبها الله عليهم، وأكلهم الخنزير، وشرهم الخمر، إلى  
غير ذلك من أمور حرمها الله وأنفت منها الفطرة السليمة.

---

509 التوبة 31.

510 البقرة 61.

ولعلّ ما تتوارده نشرات الأخبار من خطر الخنزير مما يؤكد على صدق نبوة الرسول محمد صلى الله عليه وسلم مصداقا لقوله تعالى: {حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالِدَمُّ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهْلِيَ لِعَیْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ وَأَنْ تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَامِ ذَلِكَ فُسُوقُ الْيَوْمِ بِئْسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنَ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمْ الْإِسْلَامَ دِينًا فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرٍ مُتَجَانِفٍ لِإِيْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ} 511.

. (وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ) ودين الحق هو ما كان عليه الأنبياء منذ آدم إلى محمد صلى الله عليه وسلم مروراً بإبراهيم المسلم الحنيف مصداقا لقوله تعالى: {مَا كَانَ إِبْرَاهِيمَ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ} 512. ومن كفرها قالوا كذبا كثيرا من مثل:

. (وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ) والسؤال: لماذا عزير بالذات وقد أجرى الله لموسى صلى الله عليه وسلم من المعجزات ما فاق ما حدث لعزير وكذلك مع أنبياء كثر فلماذا عزير؟

اللهم لأنهم قد جبلوا على التمرد والاستبدال.

. (وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ) فالذين كفروا من اليهود قالوا عزير ابن الله وكذلك استفاد النصارى هذا

511 المائدة -3.

512 آل عمران 67.

الضلال منهم، وكذلك جماعات من الذين كفروا من العرب فقال عن اللات بنت لله وكذلك العزى بنت العزيز، وكله كفر وكذب على الله.

. (اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهَبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ) توسلوا برهبانهم وأحبارهم بيل اتخذهم أربابا من دون الله، والله أمرهم بعبادته وحده وأسل لهم من البينات العقلية والنقلية مع أنبيائه ما يجعلهم على جادة الصواب لكنهم اتخذوا من دونه أربابا.

والتساؤل:

في حال تعدد الكفر وطغيانه ماذا يفعل المؤمن بالله وماذا يقول؟

الإجابة في هذه السورة العظيمة: {قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ وَلَا أَنَا عَابِدٌ مِمَّا عَبَدْتُمْ وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينٌ} 513.

. تمام نور الله:

وبعد البشارة بأحمد تعهد الله بان يتم نوره بقوله تعالى: (وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعَى إِلَى الْإِسْلَامِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُنِيرٌ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ هُوَ الَّذِي

513 الكافرون 1-6.

أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ  
الْمُشْرِكُونَ)

وافترأ الكذب على الله يتعدد ومنه:

— المسيح ابن الله.

— المسيح هو الله.

— الله ثالث ثلاثة.

— لله بنات من الملائكة.

وقد أبطل الله ذلك القول بقوله {أَلَا إِنَّهُمْ مِنْ إِنْكِهِمْ لَيَقُولُونَ  
وَلَدَ اللَّهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ أَصْطَفَى الْبَنَاتِ عَلَى الْبَنِينَ} 514.

{الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ قِيَمًا  
لِيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِنْ لَدُنْهُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ  
أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا مَا كَثِيرِينَ فِيهِ أَبَدًا وَيُنذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا (مَا  
هُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِإِنْبَائِهِمْ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِنْ يَقُولُونَ  
إِلَّا كَذِبًا} 515.

ومنهم من افترى على المسيح ومحمد صلى الله عليهما وسلم  
وادعوا أهما ساحران أو إن ما جاء به عيسى هو السحر: (وَمُبَشِّرًا  
بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا  
سِحْرٌ مُبِينٌ).

<sup>514</sup> الصفات 151-153.

<sup>515</sup> الكهف 1-6.

وهنا يبدو أنّ الآية تنسحب على سيدنا عيسى وسيدنا محمد  
صلى الله عليهما وسلّم:

ما يخص سيدنا عيسى: إنّهُ لما جاءهم بالبينات الدالة على  
صدق بشارته بسيدنا محمد صلى الله عليه وسلّم؛ قالوا عن عيسى  
صلى الله عليه وسلّم وهو يتبع أمر الله تعالى: {إِذ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى  
ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَالِدَتِكَ إِذْ أَيَّدْتُكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ  
تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَةَ  
وَالْإِنْجِيلَ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ  
طَيْرًا بِإِذْنِي وَتُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ بِإِذْنِي وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِي وَإِذْ  
كَفَفْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَنْكَ إِذْ جِئْتَهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ  
إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ} 516.

ويتبعها وحي الله للحوارين للإيمان بالله ربّا وبعيسى نبيا مصداقا  
لقوله تعالى: {وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ أَنْ آمِنُوا بِي وَبِرَسُولِي قَالُوا آمَنَّا  
وَاشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ} 517.

ما يخص سيدنا محمد صلى الله عليه وسلّم: لما جاء الكفار  
وأهل الكتاب بالبينات الدالة على إنه المبشر به من عيسى وإن النبي  
المنتظر قالوا (هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ) ومن مثل ذلك أيضا: {وَعَجِبُوا أَنْ  
جَاءَهُمْ مُنذِرٌ مِنْهُمْ وَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا سَاحِرٌ كَذَّابٌ أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِهًّا  
وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ} 518.

---

516 المائة 110.

517 المائة 111.

518 ص 1-5.

وقوله تعالى: {وَإِذَا رَأَوْا آيَةً يَسْتَسْخِرُونَ وَقَالُوا إِن هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ أَئِنَّا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَئِنَّا لَمَبْعُوثُونَ أَوْ آبَاؤُنَا الْأَوَّلُونَ قُلْ نَعَمْ وَأَنْتُمْ دَاخِرُونَ} 519.

ولما كان الكفر بسيدنا محمد وتكذيبه والقول عليه بأنه ساحر كان النداء للذين آمنوا بأن ينصروا سيدنا محمد كما نصر الحواريون سيدنا عيسى فقال الله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ تُوْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ)، والذين كفروا على البينات سحر مبين أرادوا أن يطفئوا نور الله بأفواههم، وقال الله (والله متم نوره).

فهل نور الله ناقص؟

هل نور دينه ناقص؟

هل نور كتابه ناقص؟

حتى يتمه!!!

نقول: النقص ليس في النور ولكن في الاستفادة منه، فالقرآن

نوره كامل ولكن من يستفيد منه؟

- ونور الأنبياء كامل، ولكن النقص في الاستفادة منه!!

- وتمام نوره استفادة خلق الله من نوره.

وإتمام نوره بحسب النقصان في المستفيدين منه ونور الله ودينه

ورسوله على الكمال والتمام لقوله تعالى: {الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ

وَأَتَمَّمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمْ الْإِسْلَامَ دِينًا فَمَنِ اضْطُرَّ فِي  
مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ {520.

ونلاحظ هنا:

. أن الكمال في الدين .

. والتمام في النعمة .

فدين الله كامل

ونعمته تامة على عباده بتنوعهم في قبول النعمة وشكره عليها،  
ولتعدد نعمه فلم يستأثر أحد من خلقه بنعمه تعالى، ولكن كلّ منهم  
نال من النعم بالقدر الذي يريد الله، وذلك لعدم إحصاء نعمه  
مصادقا لقوله تعالى: { وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا } {521.

والتساؤل:

ما وسائل إتمام نور الله؟

من هذه الوسائل:

المؤمنون بالله.

لذلك كان نداء الله وحثهم على التجارة معه بقوله: ( يَا أَيُّهَا  
الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ تُؤْمِنُونَ  
بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذَلِكَُمْ خَيْرٌ  
لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ).

---

520 المائدة 3.

521 إبراهيم 34.



ونداء المؤمنين وتعقيبه بالاستفهام الغرض منه الحث والإغراء وليس السؤال، والتجارة الراجحة المحثوث عليها هي تجارة الإيمان مع الله والربح فيها مضمون كما قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةُ﴾ {522، وشرط هذه التجارة يقوم على:

(تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ) والتجارة مبادلة الشيء بالشيء، وكما أن التجارة تنجي التاجر من الفقر، فهذه التجارة مع الله تنجي من النار، ويتم فيها مبادلة النفس والمال بالجنة.

والإيمان بالله ورسوله ي التجارة المنجية التجارة ورأس مالها التصديق بالعمل والإقرار بالقلب والاعتراف.

ثم الجهاد بالمال والنفس وبذل الروح في سبيل الله ورسوله، وهذا هو رهبانية الإسلام، فعن أبي سعيد الخدري "أَنَّ رَجُلًا جَاءَهُ فَقَالَ أَوْصِنِي فَقَالَ سَأَلْتَ عَمَّا سَأَلْتُ عَنْهُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ قَبْلِكَ أَوْصِيكَ بِتَقْوَى اللَّهِ فَإِنَّهُ رَأْسُ كُلِّ شَيْءٍ وَعَلَيْكَ بِالْجِهَادِ فَإِنَّهُ رَهْبَانِيَّةُ الْإِسْلَامِ وَعَلَيْكَ بِذِكْرِ اللَّهِ وَتِلَاوَةِ الْقُرْآنِ فَإِنَّهُ رَوْحُكَ فِي السَّمَاءِ وَذِكْرُكَ فِي الْأَرْضِ" 523

وقوله صلى الله عليه وسلم: "لكل أمة رهبانية ورهبانية هذه الأمة الجهاد في سبيل الله" 524.

. والشبه قائم بين حوارين والصحابة:

- فبشرى المناصرة يتبعها النصر للصحابة على الكفار.

---

522 التوبة 111.

523 مسند أحمد، ج 23، ص 394.

524 مصنف ابن أبي شيبة، ج 4، ص 565.

- المشاهدة في أن طائفة آمنت لله مع عيسى فأظهرها الله.

- طائفة آمنت بالله المبشر به أحمد فستنتصر على أعدائها ليوم

الدين.

. من عهد الله على نفسه تمام نور الإسلام { وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ

مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا } 525.

وقال تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا أَنْصَارَ اللَّهِ كَمَا قَالَ

عِيسَى ابْن مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ

أَنْصَارَ اللَّهِ).

- التشبيه محمول على المعنى والمراد كونوا كما كان الحواريون.

- وقال حواريو عيسى قولاً نحن أنصار الله

-وفعل أصحاب محمد فعلاً فجاهدوا بأموالهم وأنفسهم.

-وطائفة الحق ممن اتبعوا عيسى ومحمد سيكونون ظاهرين على

دوهم إلى يوم القيامة بتأييد الله لهم، وبعودة المسيح متبعاً لمحمد وناصراً

لله سبحانه وتعالى.

الشبه بين الحواريين والصحابة:

من الشبه بين الحواريين والصحابة:

1- الإيمان:

إيمان الحواريين بوحى من الله:

قال الله تعالى: {وَإِذْ أُوحِيَ إِلَى الْخَوَارِيِّينَ أَنْ آمِنُوا بِي وَبِرَسُولِي  
قَالُوا آمَنَّا وَاشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ} 526.

-الله الذي أوحى للحواريين بالإيمان به وبرسوله عيسى ابن  
مريم.

-إيمان الحواريين قائم على تمام الإيمان بالله قادرا ويتمثل ذلك  
في خلقه لرسوله عيسى ابن مريم بوجه معجز للبشر وآية للعالمين.

-استجابة الحواريين لله بوحيه لهم أن آمنوا بي وبرسولي استجابة  
فورية لأنهم محل اختيار الله سبحانه وتعالى مصداقا لقوله تعالى: (قَالُوا  
آمَنَّا وَاشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ).

- واستجابة الحواريين لله بنيت على أسس منها:

- تلبية الوحي فوريا.

- الإيمان المطلق بما أمر به الله.

- الوجدانية لله تعالى والرسالة لعيسى ابن مريم.

- الإيمان بأن ما قام به عيسى ابن مريم وما سيقوم به هو  
بتأييد من عند الله.

- الإيمان بما حدث للعدراء إنه من قدرة الله القادر.

-ثم تلا ذلك الإيمان بالإسلام.

- والإسلام: "الخضوع والانقياد، لما أخبر به الرسول صلى الله  
عليه وسلم" 527.

وبإسقاط ذلك التعريف على إسلام الحواريين فهو يأتي في مرحلة لاحقة في الرتبة متساوية في الزمن مع الإيمان إذ أن الإيمان بالله جاء أولاً بوحي من الله ثم الإقرار بالانقياد لله رباً موحياً لهم بالإيمان فجاء إيمانهم اصطفاً بالوحي، وإسلامهم إظهاراً للطاعة والانقياد لما أمر الرسول عيسى ابن مريم بتبليغه والتبشير به.

- إيمان الصحابة:

التساؤل الذي يطرح بداية من هم الصحابة؟ ومن هو الصحابي؟

الصحابي: " في العرف من رأى النبي صلى الله عليه وسلم وطالت صحبته معه، وإن لم يرو عنه، صلى الله عليه وسلم. وقيل: وإن لم تطل" 528.

ولكن هذا التعريف لا يبين موقف الصحابي من نصرة رسول الله صلى الله عليه وسلم لأنه يمكن أن يكون قد رأى النبي صلى الله عليه وسلم ولم ينصره، ويمكن أن يكون قد رأى النبي صلى الله عليه وسلم ولم يؤمن به فهو بذلك لم يكن صحابياً.

فالإيمان بالنبي صلى الله عليه وسلم ومناصرته شرط لأن يكون الذي لقي النبي صحابياً، وعليه:

نقول: إنَّ الصحابي من عاصر النبي صلى الله عليه وسلم وآمن به رسولا من عند الله ونصره بما يجب أن ينصره به بقدر استطاعته.

---

527 التعريفات -، ج 1، ص 6.

528 التعريفات -، ج 1، ص 42.

ولهذا؛ فالإيمان بالله ربًا وبالنبي رسولا من أسس أن يكون  
الإنسان صحابيا للنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ بِشَرَطِ مَعَاصِرَتِهِ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللهُ  
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ورؤيته إياه رؤية عينية.

والتساؤل الذي يبدو ملحا على ذهن الباحث والقارئ هو:

هل الصحابي مصطلح قرآني أم جاء في السنة المطهرة والسيره  
الشريفة للنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟

لم يرد لفظ الصحابة و صحابي والأصحاب في عموم القرآن  
الكريم

بينما ورد (أصحاب) تسع وخمسون مرة.

ما يخص منهم المصطلح الذي نبحت فيه:

{وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَآمَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَى مُحَمَّدٍ وَهُوَ  
الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ} 529. (فالذين آمنوا  
بما نزل على محمد).

يتسع هذا التعريف القرآني للصحابة فيدخل فيه غيرهم وذلك  
انطلاقا من التقيد بالتعريف الذي يلزم أن يكون الصحابي ممن رأى  
النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وآمن به، لأنّ الذين آمنوا بما انزل على  
محمد يمتد زمنهم من بعث النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في زمانه بالظهور  
الجسدي ثم بانتقاله على الرفيق الأعلى إلى يوم أن يرث الله الأرض  
ومن عليها.

وعليه يكون:

- كل صحابي مؤمن مسلم.

- ليس شرطاً أن يكون كل مؤمن مسلم صحابي.

- كل مؤمن مسلم رأى النبي صحابي.

- ليس كل من رأى النبي صحابي (بعدم الإيمان).

ومن الآيات التي تناولت أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم:

{هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ  
كُلِّهِ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ  
تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ  
مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ  
شَطَأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيغِيظَ بِهِمُ  
الْكُفَّارَ وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا  
عَظِيمًا} 530.

تبدو الجملة (فالذين معه) أيضاً ذات دلالات متنوعة:

(معه) صلى الله عليه وسلم في زمن وجوده.

أم معه فكراً واعتقاداً وتأسياً به؟

فإن كانت الأولى لا بد من إثارة تساؤلات منها:

هل من يعتقد عقيدة النبي صلى الله عليه وسلم ويأتسي به غير

ملزم بالصفات الواردة في الآية؟

وذلك لكون هذه الصفات للذين معه زمنياً؟

أم أنّ المعية بالإتباع تبيح الاتصاف بصفات من كان معه صلّى  
الله عليه وسلّم زمنياً؟

نحن نقول:

قبل الإجابة على هذه التساؤلات نعود قليلاً إلى حوار  
عيسى، ونتساءل:

هل كلّ من فعل الحواريين هو حوارى بالأصل أم  
بالاتصاف؟

هل كلّ من فعل الحواريين ونصر المسيح لله ونصر الله أمام  
الكفار والمشركين هو حوارى؟

نقول:

كلّ من فعل الحواريين هو على نفس الاتصاف بالفعل لا  
على نفس الدلالة من الذات!

لماذا؟

أنّ الحواريين موحى لهم بالإيمان من الله تعالى وذلك مصداقاً  
لقوله تعالى: (وَإِذْ أُوحِيَتْ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ أَنْ آمِنُوا بِي وَبِرَسُولِي قَالُوا آمَنَّا  
وَإَشْهَدُ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ).

فمن المؤكد أن كلّ من آمن بالله ربّاً وبعيسى ابن مريم عبد الله  
ورسوله من بعد عيسى ليس من الحواريين إذ لم يكن موحى إليه وعلى  
ذلك يبقى للحواريين فضل الوحي من الله بالإيمان والإسلام.

ومثل ذلك الفارق يبقى للصحابة في الآتي:

- إنّ الصحابة هم الذين آمنوا بالله واحداً واحداً وبسيدنا محمد خاتماً للأنبياء وآمنوا بكلّ الأنبياء والمرسلين الذين جاؤوا قبل سيدنا محمد زمناً، وكانت صفاتهم المذكورة في الآية بمعية النبي الزمنية مع الرؤية العينية والكلام معه والتقي منه صلى الله عليه وسلم.

وعليه:

- فكلّ من كانت صفاته مثل الصفات التي وردت في الآيات (محمد والذين معه) هي على الأصل للصحابة.

- وهي على الوصف لكلّ من اتصف بها بعد النبي صلى الله عليه وسلم وصحابته فهم ليسوا بصحابة.

- والحواريون على الأصل هم من نصرنا المسيح في زمنه.

- وبالوصف من جاء بعد المسيح وفعل ما فعله الحواريون وليسوا بحواريين.

إذن، تبقى رتبة الصفة متاحة للجميع لتسمح بدخول من صفتهم حواري أو صحابي دون أن يكون صحابياً أو حواريًا.

. وعلى مستوى الفرق بين الحواري والصحابي:

يبدو فارق مهم بين الاثنين من حيث المصطلح وذلك في الآتي:

- الحواري وصف قرآني مصداقاً لقوله تعالى: (وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ أَنْ آمِنُوا بِي وَبِرَسُولِي قَالُوا آمَنَّا وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ).

- بينما الصحابة والأصحاب مصطلح نبوي ورد في السنة

المطهرة فعن أبي هريرة "أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَرَجَ إِلَى الْمَقْبَرَةِ فَقَالَ السَّلَامَ عَلَيْكُمْ دَارَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ وَإِنَّا إِنْ شَاءَ اللَّهُ بِكُمْ



لَا حَقُّونَ وَدِدْتُ أَيْيَ قَدْ رَأَيْتُ إِخْوَانَنَا فَقَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ أَلَسْنَا بِإِخْوَانِكَ قَالَ بَلَى أَنْتُمْ أَصْحَابِي وَإِخْوَانُنَا الَّذِينَ لَمْ يَأْتُوا بَعْدُ وَأَنَا فَرَطُهُمْ عَلَى الْخَوْضِ فَقَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ كَيْفَ تَعْرِفُ مَنْ يَأْتِي بَعْدَكَ مِنْ أُمَّتِكَ قَالَ أَرَأَيْتَ لَوْ كَانَ لِرَجُلٍ حَيْلٌ غُرٌّ مُحَجَّلَةٌ فِي حَيْلٍ ذُهُمٍ بِيَهُمْ أَلَا يَعْرِفُ حَيْلَهُ قَالُوا بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ فَإِنَّهُمْ يَأْتُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ غُرًّا مُحَجَّلِينَ مِنَ الْوُضُوءِ وَأَنَا فَرَطُهُمْ عَلَى الْخَوْضِ فَلَا يُدَادَنَّ رَجَالٌ عَنْ حَوْضِي كَمَا يُدَادُ الْبَعِيرُ الضَّالُّ أَنْادِيهِمْ أَلَا هَلُمَّ أَلَا هَلُمَّ أَلَا هَلُمَّ فَيُقَالُ إِنَّهُمْ قَدْ بَدَّلُوا بَعْدَكَ فَأَقُولُ فَسُحْحًا فَسُحْحًا فَسُحْحًا" 531.

وهنا يبدو الفرق بين الصحابة وبين الإخوان:

- فالصحابه كما عرفهم المصطفى صلى الله عليه وسلم هم من كانوا معه في الحقبه الزمنية التي عاشها النبي صلى الله عليه وسلم منذ بداية الدعوة وحتى الوفاة.

- بينما الإخوان هم من آمنوا به صلى الله عليه وسلم ولم يروه رؤية عينية، فيدخل في الإخوان التابعون ومن تلاهم إلى يوم القيامة. وقد وصى النبي صلى الله عليه بأصحابه بقوله "أحفظوني في أصحابي" 532.

وعليه: فلا يجب الخوض في الصحابة وذمهم وتكفيرهم كما يفعل البعض ولا ينبغي اتهامهم بنفاق أو برده أو بتقصير في حق الله رسوله، كما يجب تنفيذ ما أمر به النبي صلى الله عليه وسلم في حق الصحابة "قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الله الله في أصحابي الله الله في أصحابي لا تتخذوهم غرضاً بعدي فمن أحبهم فبحبي أحبهم"

<sup>531</sup> موطأ مالك -، ج 1، ص 78.

<sup>532</sup> سنن ابن ماجه، ج 7، ص 176.

وَمَنْ أَبْغَضَهُمْ فَبِغْضِي أَبْغَضَهُمْ وَمَنْ آذَاهُمْ فَقَدْ آذَانِي وَمَنْ آذَانِي فَقَدْ آذَى اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى وَمَنْ آذَى اللَّهَ فَيُوشِكُ أَنْ يَأْخُذَهُ" 533.

فهذه ما نعتقد في أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم (الذين معه).

يبقى تساؤل حول النبي عيسى ابن مريم والحواريين وحول النبي الخاتم والصحابة:

هل كان عيسى ابن مريم يعرف حواريه؟

هل كان النبي محمد صلى الله عليه وسلم يعرف أصحابه؟

نقول:

عن سيدنا عيسى ابن مريم لا نقول جازمين بأنه لم يكن يعرف حواريه، لكن على الأرجح أنه كان لا يعرفهم مصداقا لقوله تعالى (فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمْ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ آمَنَّا بِاللَّهِ وَأَشْهَدُ بِأَنَّكَ مُسْلِمُونَ).

من ظاهر السياق في الآية يبدو أنّ سيدنا عيسى لما طلب من بني إسرائيل الإيمان بالله وبرسالته التي تصدق بما جاء به موسى والأنبياء من قبله، ومبشرا بأحمد النبي الخاتم من بعده لم يجد عيسى في بني إسرائيل استجابة له وبدا كفرهم أقرب من إيمانهم فتوجه إليهم جميعا طالبا المناصرة لله وله وذلك بسؤال فيه من طلب المناصرة بنصير غير معلوم.

---

<sup>533</sup> مسند أحمد، ج 42، ص 4.

فكان الجواب الفوري من الحواريين المؤمنين بالله المسلمين له دون أن يعلمهم عيسى ابن مريم (على الأرجح)، قالوا: (نحن أنصار الله).

وهنا توحى الإجابة التي قالها الحواريون بأنهم أنصار الله سواء طلب عيسى ابن مريم المناصرة أم لم يطلبها.

- ومما يؤكد أن الحواريين كانوا مجهولين لعيسى ابن مريم قولهم:

- (نحن) فهم جمع يعلمه الله في بني إسرائيل وهم على علم بأنفسهم.

- لا أحد يعلم إيمانهم غيرهم.

-وعلى احتمال أن عيسى ابن مريم لم يكن على علم بإيمانهم.

- هم الذين من بني إسرائيل يعلمون أن عيسى ابن مريم على الحق.

- وقولهم: (نحن أنصار الله).

فكما قلنا إن كلمة (نحن) تعني علمهم بأنفسهم و(أنصار الله) توحى بعلمهم بدورهم.

- كما يوحي ذلك احتمالاً عدم علم عيسى بهم ولا بدورهم

وعليه:

-فالحواري يعرف الحواري

-الحواري يعرف النبي.

- النبي يمكن أن يعرف الحواري (كما في حالة النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والزيير بن العوّام).

- جازئ أنّ النبي لا يعلم الحواري (كما في حال سيدنا عيسى ابن مريم مع الحواريين على وجه الاحتمال الذي سقناه).

. الحواري مناصر يظهر في وقت شدة النبي (كما في حال مؤمن آل فرعون مع سيدنا موسى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ).

وكما في حال حواري سيدنا عيسى ابن مريم.

- الحواري موحى إليه من الله (كما في حال حواري سيدنا عيسى ابن مريم عليه الصّلاة والسّلام).

- الحواري تابع للنبي (بعدهما يؤمن الحواري بالله لا بدّ وأن يتبع النبي وينقاد له وذلك كما قال الحواريون لعيسى ابن مريم (آمنا بالله واشهد بأنا مسلمون).

ونتساءل هل ينبغي أن يعلم النبي الحواري؟

هل لا بدّ أن يناصر الحواري النبي؟

نقول:

ليس شرطاً أن يكون النبي على علم بالحواري، لماذا؟

لأنّ الحواري آمن وحيًا من الله كما الحال في حواري عيسى، وليس بدعوة منه.

ومع هذا لا يبقى عدم علم النبي بحواريه في كلّ الأحوال، بل من الجائز العلم بهم.

وهنا، تبدو تساؤلات يمكن أن تتراءى لذهن القارئ منها.

أليس من الممكن أن يكون الحواري قد آمن بسبب دعوة النبي  
مع عدم علم النبي به؟

أليس من الممكن أنّ الحواري قد آمن بسبب دعوة النبي وبعلم  
النبي به؟

أليس من المحتمل أن يكون الحواري قد آمن بدعوة النبي وكنتم  
إيمانه استجابة لأمر النبي؟

نقول:

كلّ هذه الاحتمالات واردة ولا يمنع من قبولها شيء، بل يؤيده  
شواهد من السيرة النبوية للنبي المصطفى صلى الله عليه وسلّم، من  
مثل الدعوة السرية في بداية الإسلام وأمر سيدنا العباس بن عبد  
المطلب خير شاهد لذلك.

ولنا مثال حسن في أحد المناصرين لسيدنا موسى صلى الله  
عليه وسلّم الذي يمكن لنا مجازاً أن نطلق عليه صفة حواري وهو  
مؤمن آل فرعون الذي كنتم إيمانه ونصح لموسى صلى الله عليه وسلّم  
في شدته وذلك مصداقاً لقوله تعالى: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ  
مُوسَى وَلْيَدْعُ رَبَّهُ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ  
الْفُسَادَ وَقَالَ مُوسَى إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ مِنْ كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَا يُؤْمِنُ  
بِيَوْمِ الْحِسَابِ وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ  
رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ وَإِنْ يَكْذِبُوا  
فَعَلَيْهِمْ كَذِبُهُمْ وَإِنْ يَكُ صَادِقًا يُصِيبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا  
يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ يَا قَوْمِ لَكُمْ الْمُلْكُ الْيَوْمَ ظَاهِرِينَ فِي  
الْأَرْضِ فَمَنْ يَنْصُرُنَا مِنَ بَاسِ اللَّهِ إِنَّ جَاءَنَا قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا

أَرَىٰ وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ مِثْلَ يَوْمِ الْأَحْزَابِ مِثْلَ دَابِ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعِبَادِ وَيَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنَادِ يَوْمَ تُثَلَّثُونَ مُدْبِرِينَ مَا لَكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ {534}.

ونعود للنبي محمد صلى الله عليه وسلم وصحابته:

ونتساءل هل كان النبي يعرف صحابته وحواريه؟

نقول:

على الأرجح بل من المؤكد نعم كان النبي محمد يعرف صحابته وحواريه وذلك مصداقا لقوله تعالى: (مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ تَرَافُهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيَّمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا).

- فالذين معه تعني المعية والمصاحبة لذلك لا بد أن يعرفهم بسيماهم التي في وجوههم التي هي من أثر إتباعهم له صلى الله عليه وسلم وطاعتهم لله تعالى.

-ولأنهم آمنوا بدعوته لهم.

فكيف لا يعرف الداعي المدعو؟

كما أننا لاحظنا أنّ المعية في كلّ القرآن إذا كانت مقرونة بنبي من الأنبياء لابد وأن توافقها نجاه ونصر وذلك كما في قوله تعالى عن سيدنا نوح: {فَكَذَّبُوهُ فَأَنْجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ فِي الْفُلِكِ وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا عَمِينَ} 535.

وعن سيدنا هود وقومه عاد قال الله تعالى: {فَأَنْجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَقَطَعْنَا دَابِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَمَا كَانُوا مُؤْمِنِينَ} 536.

وعن سيدنا إبراهيم ومن كان معه يقول الله تعالى: {قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَاءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحَدَهُ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنْتَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ} 537.

ومما تقدم نقول:

- إن كلّ نبي يعلم من كان معه.

- النبي محمد يعرف من كان معه.

الإسلام والإيمان بين الحواريين والصحابة:

الحواريون في النص القرآني سبق إيمانهم إسلامهم!!

لماذا سبق إيمان الحواريين إسلامهم؟

---

535 الأعراف 64.

536 الأعراف 72.

537 الممتحنة 4

تساؤل يطرح نفسه بديهية.

والإجابة عليه يمكن أن تكون في الآتي؟

لأنهم قد تلقوا الأمر بالإيمان وحيًا من الله مصداقًا لقوله تعالى:  
(وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ أَنْ آمِنُوا بِي وَبِرَسُولِي قَالُوا آمَنَّا وَاشْهَدْ بِأَنَّا  
مُسْلِمُونَ).

ولماذا اقتصر الأمر بإيمان الحواريين بالله وبرسوله عيسى ابن

مريم؟

هذا التساؤل يفتح بابًا من البحث يفضي إلى تساؤلات تحمل  
في طياتها الإجابة منها.

هل لأنّ الإيمان بالله وبرسوله عيسى يتسع لكلّ ما يتطلبه  
الإيمان من آخرة وبعث وحساب وجنة ونار وملائكة وكتب سابقة  
ولاحقة وأنبياء سابقين، وبني مبشر به يأتي من بعد عيسى ابن مريم.

أم لأنّ الإيمان برسوله عيسى ابن مريم سيترتب عليه أمر مهم  
يتمثل في أن الرسول عيسى ابن مريم سيعلمهم بتفاصيل الإيمان، بمعنى  
أنّ الإيمان بالله فيه الإجمال، والإيمان برسوله عيسى ابن مريم فيه  
تفصيل ذلك الإيمان.

نحن نقول:

يحتمل أن يكون إيمان الحواريين بالله فيه من الشمولي التي  
تجعلهم يقبلون بكلّ ما هو غيبي يجب الإيمان به.

لذا، ترتب على إيمان الحواريين أمر مهم وهو إسلامهم فقالوا  
(آمنّا) بك يا ربّ، وبرسولك.



ثم ترتب على الإيمان الإسلام والذي سيفضى إلى تفصيل  
الإيمان الذي سيعرفون أركانه من رسول الله عيسى ابن مريم.

والإسلام هنا على مقصدين:

الأول: الإذعان والانقياد لله.

الثاني: الانقياد والإتباع لعيسى ابن مريم.

والأول يندرج تحت الإيمان بالله لأنه لن يسلم الله إلا المؤمن به،  
فالإيمان قلبي تصديقي والإسلام عملي تنفيذي سلوكي.

الإيمان يمكن أن يكون سرا.

الإسلام لابد أن يكون علنا.

لأنهم قالوا آمنا.

ومن المحتمل أن يكون إيمانهم سابق على ذلك الإشهار.

والإسلام إشهار للإيمان.

الإيمان تسليم بالمطلق.

الإسلام إذعان بالتفاصيل.

وعليه نحن نقول:

يترتب على الإيمان بالله الآتي:

الإسلام لله منه إسلام الوجه لله دونما وجود رسول وهذا النوع  
من الإسلام هو ما يمكن أن نسميه الإسلام الإيماني الذي يعبر عن  
الإذعان الكامل لله مصداقا لقوله تعالى: ﴿بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ

وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ  
يَحْزَنُونَ {538.

وإسلام الوجه هو إسلام الأنبياء المؤمنين به تعالى تصديقا ألم تر  
قول الله تعالى عن هذا النوع في قوله تعالى: {قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ  
فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ  
وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ  
لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ {539.

فتقلب وجه سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم في السماء هو  
نفس تقلب سيدنا إبراهيم في السماء، لأن كلا منهما يدرك أن وجهة  
المؤمن الحقة هي وجه الله.

ولما يتحقق ذلك النوع من الإيمان بالمطلق (الله) يترتب عليه  
إسلام الأنبياء في تلقي تفاصيل الإسلام عن طريق الأمر الإلهي وذلك  
مصدقا لقوله تعالى: (فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ  
الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ)، فالتقلب الأول  
من النبي إيمانه بالمطلق، والتوجه الثاني للقبلة إسلام بالتفاصيل المؤتاة  
من الله سبحانه وتعالى، وكلّ التفاصيل يكمن فيها شريعة النبي التي  
تشمل مجموع الأوامر والنواهي.

لذلك فإسلام النبي يتضمن إيمانه لأن إيمان الأنبياء متساو مع  
إسلامهم، والإسلام إشهار الإيمان مصدقا لقوله تعالى: {قُلْ إِنِّي  
أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ {540.

---

538 البقرة 112.

539 البقرة 144.

540 الأنعام 14.

إذن فهو صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مؤمن مسلم ومسلم مؤمن

أما الحواريون:

فهم على احتمالات:

كانوا غير مؤمنين ولا مسلمين

أوحى إليهم الإيمان بعد لا إيمان ولا إسلام

ترتب عليه:

إيمان

إسلام

كانوا مؤمنين إيماناً ناقصاً

أوحى إليهم بالإيمان التام

فآمنوا

وأسلموا

3- كانوا مؤمنين ومسلمين

أوحى إليهم لتوكيد إيمانهم

آمنوا

أسلموا

وهنا تبدوا تساؤلات منها

هل الإيمان منه ناقص وتام؟

هل ينطبق ذلك على الأنبياء؟

هل من الأنبياء تحقق فيهم ذلك؟

نقول:

الإيمان هو إيقان قلبي، والقلب جارحة يعتريها ما يعتري الجوارح من التقلب بين صحة وسقم فإن كان القلب صحيحا دائما كان الإيمان تاما دائما.

وعليه فالإسلام هو تمام الإيمان ورسوخه مع ممارسته قولاً وعملاً.

لذا فالقلب يريد ما يثبتته وذلك مصداقا لقوله تعالى: {وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَىٰ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَىٰ وَلَكِنَّ لِيُطْمَئِنَّ قَلْبِي} {541،

ما من شك في عن سيدنا إبراهيم مؤمن تمام الإيمان، وهو مسلم منقاد لله في ذات الوقت، أما ليطمئن قلبي فهي من باب تأكيد الإيمان الذي هو متحقق في قلب سيدنا إبراهيم صلى الله عليه وسلم.

ونعتقد إن ذلك الاطمئنان القلبي كان في مرحلة السقم التي مرت بسيدنا إبراهيم أثناء البحث عن الإيمان المطلق مصداقا لقوله تعالى: {وَإِنَّ مِنْ شَيْعَتِهِ لِإِبْرَاهِيمَ إِذْ جَاءَ رَبَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَاذَا تَعْبُدُونَ أَفُنُكَا آلِهَةً دُونَ اللَّهِ تُرِيدُونَ فَمَا ظَنُّكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ فَنَظَرَ نَظْرَةً فِي النُّجُومِ فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ فَتَوَلَّوْا عَنْهُ مُدْبِرِينَ فَرَاغَ

---

541 البقرة 206.

إِلَىٰ أَهْلِيهِمْ فَقَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ مَا لَكُمْ لَا تَنْطِفُونَ فَرَغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًا  
بِالْيَمِينِ {542}

فقلبه صَلَّى اللهُ عليه عليه سليم، وسقمه إمّا:

من قومه.

من كثرة تفكره.

من الاطمئنان الذي يبحث عنه.

وسقمه سيزول لما يره الله ملكوت السماوات والأرض، ويطمئنه  
بما سيريه من معجزات طلبها رؤية عينيه.

والإيمان عند بعض الأنبياء تام قابل للزيادة ومن مثل ذلك  
سيدنا موسى في موقف الرؤية لما لم يستطع رؤية الله، وأغشى عليه  
فقال أنا أول المؤمنين وذلك مصداقا لقوله تعالى: {وَلَمَّا جَاءَ مُوسَىٰ  
لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ نَرَاكَ وَلَكِنِ انظُرْ  
إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ  
دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ  
الْمُؤْمِنِينَ } 543.

أول المؤمنين من حيث:

أنَّ الله لا يرى

وأول المؤمنين قد تخصَّصه هو فقط.

---

<sup>542</sup> الصافات-83-93.

<sup>543</sup> الأعراف-143.

لأنه لم نر في عموم القرآن أن طلب نبي من الأنبياء النظر إلى الله.

ترتب عليه عدم النظر، وعدم الرؤيا.

تأكيد الإيمان بأنه لن يرى، ولن ينظر إليه.

مع ذلك لا يرقى للشك في إيمان سيدنا موسى، بل يؤكد إيماننا جديدا لموسى ولقومه ولكل من جاء بعده.

- أمّا إنّ الإيمان زيادة ونقصا:

نقول: إيمان الأنبياء تام غير منقوص، يؤكده الله بالآيات، وكذلك إيمان المؤمنين يزيده الله تثبيتا وطمأنة منه مصداقا لقوله تعالى: {وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا} 544.

فالذي يزيد إذن إيمان الأنبياء والمؤمنين دون شبهة نقص في إيمان الأنبياء.

وعليه:

- الإيمان تام بداية.

- إيمان الأنبياء في زيادة.

- إيمان المؤمنين في زيادة.

- إيمان الحواريون تام بداية.

- طلب الحواريين المائة طمأنة مثلما فعل الخليل إبراهيم.

---

544 الأحزاب 22.

- الأنبياء مسلمون مؤمنون ومؤمنون مسلمون.

- المؤمنون مسلمون مسلمون.

- وإسلام الحواريين هو الإسلام لله والإيمان به واحداً أحداً.

وعليه فإسلام الحواريين:

- لله

- ولرسوله عيسى ابن مريم

وعن إيمان الصحابة:

فإيمانهم ناتج عن دعوة النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لا عن وحي  
من الله لهم مصداقاً لقوله تعالى: {ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ  
وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ  
ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ} 545.

وإيمان الصحابة بالمطلق مصداقاً لقوله تعالى: {آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا  
أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا  
يُفَرِّقُونَ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ  
الْمَصِيرُ} 546.

وعليه:

- فإيمان النبي يسبق إيمان الصحابة.

- النبي يعلم صحابته المؤمنين.

---

545 النحل 125

546 البقرة 285

- إيمان الصحابة عن دعوة النبي لهم.

- إيمان الصحابة ليس عن وحي من الله لهم.



## النبي

### يحيى من السنّة

النبي يحيى عليه السّلام هو ابن الرّسول الكريم زكريا عليه السّلام، الذي رزقه الله به بعد مناجاة في المحراب وتضرّع إلى الرّب الرزّاق،

وكان ليحيى عليه السّلام مزايا وقد اختصّ بها كما ورد في كتاب الله تعالى، وذلك كاختصاصه بالاسم من عند الله عزّ وجلّ وانفراده به أوّل اسم، وكذلك وصفه بالسّيّد، وأنّه حصوّر، وأنّه زكاة من الله وحنانا وكان تقيا، وكان بارّا ولم يكن جبّارا عصيا، وقد آتاه الله الحكمة والنبوّة وسلّم عليه يوم ولادته ويوم موته ويوم يبعثه حيا.

هو يحيى بن زكريا الذي ينتهي نسبه إلى يعقوب عليه السّلام، وهو من أنبياء بني إسرائيل كأبيه زكريا عليهما الصّلاة والسّلام الذين بلّغوا النّاس ما أمرهم الله بتبليغه وجاهدوا في الله حقّ جهاده. وقد علّمه الله تبارك وتعالى الكتاب (التوراة) وآتاه الحكم والنبوّة والعلم صبيّا.

كان ميلاده استحالة فقد جاء لأبيه زكريا بعد عمر طال حتى يئس الشيخ من الذرية فقد جاء بعد دعوة نقية تحرك بها قلب النبي زكريا عليه الصّلاة والسّلام. إنّه الغلام الذي سماه الله (يحيى) أي سمّاه الله تعالى قبل دُخوله في الوجود، ولم يكن له مثلٌ وشبيهٌ في هذه الحاصيّة.

ويقال أَنَّ يَحْيَى عَلَيْهِ السَّلَامُ أَوَّلَ مَنْ آمَنَ بِعِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ  
وَصَدَّقَهُ، وَكَانَ يَحْيَى أَكْبَرَ مِنْ عِيسَى وَهُوَ ابْنُ خَالَتِهِ 547

ونحن نقول:

أَنَّ اسم يحيى له علاقة بالحياة، فهو اسم يطمئن القلب، وكان  
الله تعالى يريد أن يقول: اطمئني يا أمَّ يحيى؛ فهو سيعيش حياته شاباً  
ونضجاً ونبياً ورسولاً؛ فلا خوف عليه، فالله ضامن له الحياة طوال  
عمره الذي كتب له كما تكتب جميع الأعمار لأصحابها من الخالق  
تعالى.

كان نبي الله يحيى عليه السلام قد أُمر بخمس كلمات أن يعمل  
بهنَّ ويأمر بني إسرائيل أن يعملوا بهنَّ؛ وللتبشير والتنفيذ بهذا الأمر  
جمع يحيى عليه السلام بني إسرائيل في بيت المقدس حتى امتلأ بهم  
المسجد؛ فقعد مشرفاً عليهم، فحمد الله تعالى وأثنى عليه ثم قال:  
"بَلَّغْنَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «أَمَرَ يَحْيَى بْنُ زَكَرِيَّا  
بِخَمْسِ كَلِمَاتٍ أَنْ يُبَلِّغَهُنَّ وَيُعَلِّمَهُنَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ، وَيَعْمَلَ بِهِنَّ، وَيَأْمُرَ  
بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنْ يَعْمَلُوا بِهِنَّ، فَكَأَنَّهُ أَبْطَأَ فَقِيلَ لِعِيسَى: مُرَّ يَحْيَى أَنْ  
يَأْمُرَ بِهَذِهِ الْكَلِمَاتِ وَإِلَّا فَأْمُرَ بِهِنَّ أَنْتَ، فَقَالَ عِيسَى لِيَحْيَى ذَلِكَ،  
فَقَالَ يَحْيَى: لَا تَفْعَلْ، فَإِنِّي أَخَافُ إِنْ أَمَرْتُ بِهِنَّ أَنْ أُعَذَّبَ أَوْ يُخَسِفَ  
اللَّهُ بِي الْأَرْضَ، قَالَ: فَجَمَعَ يَحْيَى بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي بَيْتِ الْمَقْدِسِ حَتَّى  
امْتَلَأَ الْمَسْجِدَ، ثُمَّ جَلَسُوا عَلَى شُرْفِهِ فَقَالَ: إِنَّ اللَّهَ أَمَرَنِي بِخَمْسِ  
كَلِمَاتٍ أَنْ أُعَلِّمَكُمُوهُنَّ وَأَمُرُكُمْ أَنْ تَعْمَلُوا بِهِنَّ، ثُمَّ قَالَ: أُولَاهُنَّ: أَلَّا  
تُشْرِكُوا بِاللَّهِ شَيْئًا، فَإِنَّ مَثَلَ مَنْ يُشْرِكُ بِاللَّهِ كَمَثَلِ رَجُلٍ اشْتَرَى عَبْدًا،  
فَجَعَلَهُ فِي دَارِهِ، وَقَالَ: هَذِهِ دَارِي وَهَذَا عَمَلِي، فَأَدَّ إِلَيَّ عَمَلَكَ،

<sup>547</sup> تفسير البغوي، إحياء التراث، 1، ص 436.

فَجَعَلَ يَعْمَلُ وَيُؤَدِّي عَمَلَهُ إِلَى غَيْرِ سَيِّدِهِ، فَأَيُّكُمْ يُحِبُّ أَنْ يَكُونَ لَهُ  
عَبْدٌ كَذَلِكَ، وَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَرَزَقَكُمْ فَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا،  
وَأْمُرْكُمْ بِالصَّلَاةِ، فَإِذَا صَلَّيْتُمْ فَلَا تَلْتَفِتُوا فِي صَلَاتِكُمْ، فَإِنَّ اللَّهَ يَنْصِبُ  
- حَسْبَتُهُ قَالَ - وَجْهَهُ لِعَبْدِهِ فِي صَلَاتِهِ مَا لَمْ يَلْتَفِتْ، قَالَ: وَأْمُرْكُمْ  
بِالصَّدَقَةِ، فَإِنَّ مَثَلَ الصَّدَقَةِ كَمَثَلِ رَجُلٍ أَخَذَهُ الْعَدُوُّ فَقَدَّمُوهُ لِيَضْرِبُوا  
عُنُقَهُ، فَقَالَ: مَا تَصْنَعُونَ بِضَرْبِ عُنُقِي، أَلَا أَفْتَدِي نَفْسِي مِنْكُمْ  
بِكَذَا وَكَذَا؟ قَالُوا: بَلَى، فَأَفْتَدَى نَفْسَهُ مِنْهُمْ، فَكَذَلِكَ الصَّدَقَةُ تُطْفِئُ  
الْحَطِيئَةَ، قَالَ: وَأْمُرْكُمْ بِالصِّيَامِ، فَإِنَّ مَثَلَ الصَّائِمِ كَمَثَلِ رَجُلٍ فِي قَوْمٍ  
مَعَهُ صِرَّةٌ مِسْكٍ لَيْسَ مَعَ أَحَدٍ مِنَ الْقَوْمِ مِسْكٌ غَيْرُهُ، فَكَلَّهْمُ يُحِبُّ أَنْ  
يَجِدَ رِيحَهُ، فَكَذَلِكَ الصَّائِمُ عِنْدَ اللَّهِ أَطْيَبُ مِنْ رِيحِ الْمِسْكِ، وَأْمُرْكُمْ  
بِذِكْرِ اللَّهِ، فَإِنَّ مَثَلَ ذِكْرِ اللَّهِ كَمَثَلِ رَجُلٍ انْطَلَقَ فَارًّا مِنَ الْعَدُوِّ وَهُمْ  
يَطْلُبُونَهُ حَتَّى لَجَأَ إِلَى حِصْنٍ حَصِينٍ، فَأَفْلَتَ مِنْهُمْ، وَكَذَلِكَ الشَّيْطَانُ  
لَا يُحْرِزُ مِنْهُ إِلَّا ذِكْرُ اللَّهِ" 548

### يحيى خير زمانه:

روى قتادة عن الحسن أن يحيى عليه السلام قال لعيسى عليه  
السلام حين التقيا: "أنت خير مني. فقال عيسى صلوات الله عليه:  
بل أنت خير مني، سلم الله عليك وأنا سلمت على نفسي" 549.

وروي عن بعض الصحابة أنه قال: "ما من الناس أحد إلا وهو  
يلقى الله عز وجل يوم القيامة وهو ذو ذنب إلا يحيى بن زكريا عليهما  
السلام" وروي عن الحسن، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال:  
"ما أذنب يحيى ولا هم بامرأة" 550

<sup>548</sup> جامع معمر بن راشد، 11، ص 339 .340.

<sup>549</sup> تفسير السمرقندي، بحر العلوم، 2، ص 370.

<sup>550</sup> المصدر السابق ص 370.

## من صفات يحيى:

وصف الله تعالى يحيى عليه السلام، بأربع صفات كريمة فقال:  
"مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِّنَ اللَّهِ. وَسَيِّدًا. وَحَصُورًا. وَنَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ فَالصِّفَةُ  
الأولى: من صفات يحيى عليه السلام أنه كان مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِّنَ اللَّهِ  
وللعلماء في تفسير هذه الجملة الكريمة اتجاهان:

أما الاتجاه الأول فيرى أصحابه وهم جمهور العلماء: أن المراد  
بكلمة الله هو عيسى عليه السلام؛ لأنه كان يسمى بذلك، أي أن  
يحيى كان مصدقا بعيسى ومؤمنا بأنه رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم  
وروح منه.

وقد كان يحيى معاصرا لعيسى. وكانت بينهما قرابة قوية إذ أن  
والدة يحيى كانت أختا لأم مريم، وقيل: إن أم يحيى كانت أختا لمريم.

وأما الاتجاه الثاني؛ فيرى أصحابه أن المراد بكلمة الله كتابه، أي  
أن يحيى من صفاته الطيبة أنه كان مصدقا بكتاب الله وبكلامه،  
وذلك لأن الكلمة قد تطلق ويراد منها الكلام، والعرب تقول أنشد  
فلان كلمة أي قصيدة، وقال كلمة أي خطبة 551.

ويبدو لنا أن الاتجاه الأول أقرب إلى الصواب، لأن القرآن قد  
وصف عيسى بأنه كلمة الله قال تعالى: { يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي  
دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ  
اللَّهِ وَكَلَّمْتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ فَأَمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةَ

551 التفسير الوسيط لطنطاوي، 2، ص 95.

انْتَهُوا خَيْرًا لَكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِي  
السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا {552}

ولأنّ في التعبير عن عيسى الذي صدّقه يحيى - بأنّه كلمة من  
الله، إشعاراً بأنّ ولادتهما متقاربتان من حيث الزّمن، وإيماء إلى أنّ زكريا -  
عليه السّلام - قد أوتي علماً بأنّ المسيح عهده قريب، وأنّ يحيى - عليه  
السّلام - سيعيش حتى يدرك عيسى.

وقوله مُصَدِّقًا منصوب على الحال المقدره من يحيى، أي على  
الحال الحالية التي سيكون عليها في المستقبل، والمراد بهذا التصديق  
الإيمان بعيسى - كما سبق أن أشرنا - قيل: هو أول من آمن بعيسى  
وصدّق أنّه كلمة الله وروح منه.

والصفة الثانية: من صفات يحيى عبّر عنها القرآن بقوله (وسيداً)  
والسيد - كما يقول القرطبي - الذي يسود قومه وينتهي إلى قوله.  
وأصله سيود يقال: فلان أسود من فلان على وزن أفعل من السيادة،  
ففيه دلالة على تسمية الإنسان سيّداً 553.

وفي الحديث أنّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم قال لبني قريظة  
عند ما دخل سعد بن معاذ - (قوموا إلى سيّدكم) وفي الصّحاحين أنّه  
قال في الحسن "إنّ ابني هذا سيّد ولعلّ الله يصلح به بين فئتين  
عظيمتين من المسلمين" والمراد أنّ يحيى - عليه السّلام - من صفاته أنّه  
سيكون سيّداً، أي يفوق غيره في الشرف والتقوى وعفة النفس، بأن  
يكون مالكا لزماتها، ومسيطرًا على أهوائها.

552 النساء 171.

553 التفسير الوسيط لطنطاوي، 2، ص 95.

والصِّفَةُ الثالثة: من صفاته عبَّرَ عنها القرآن بقوله: (وَحصُورًا) في حفظه ورعايته ولهذا فهو محصَّن فلا شهوة تغلبه ولا رذيلة. وفي هذا الشأن قال ابن كثير: وقد قال القاضي عياض في كتابه الشِّفاء: اعلم أنّ ثناء الله على يحيى بأنّه كان حصُورًا معناه أنّه معصوم من الذنوب، أي لا يأتيها كأنّه حصور عنها. وقيل: مانعا نفسه من الشهوات

أمّا الوصف الرَّابِع: من أوصاف يحيى - عليه السّلام - فهو قوله - تعالى - (وَنَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ) وفي هذا الوصف بشارة ثانية لذكرا بأنّ ابنه سيكون من الأنبياء الذي اصطفاهم الله لتبليغ دعوته إلى النَّاس، وهذه البشارة أسمى وأعلى من الأولى التي أخبره الله فيها بولادة يحيى، لأنّ النبوّة منزلة لا تعدلها منزلة في الشرف والفضل. هذا وقد دعاه الله تعالى بستة عشر اسما في القرآن:

1 . طَيْبُ: (ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً).

2 . مُصَدِّقٌ (مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِّنَ اللَّهِ)

3 . سَيِّدُ.

4 . حصُورٌ.

5 . نَبِيٌّ.

6 . صالحٌ (وَسَيِّدًا وَحصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ).

7 . هِبَةُ اللَّهِ (وَوَهَبْنَا لَهُ يحيى)

8 . وَلِيُّ (فَهَبْ لِي مِّن لَّدُنكَ وَلِيًّا)

9 . ارثٌ (بِرثني وَرِثْتُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ)

10 . رَضِيٌّ (واجعله ربّ رَضِيًّا)

11 . غُلام (نُبَشِّرُكَ بِغُلامٍ)

12 . زَكِيٌّ (وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا وَرِكَاءً)

13 . تَقِيٌّ (وَكَانَ تَقِيًّا)

14 . قَوِيٌّ (يا يحيى خُذِ الكتابَ بِقوَّة)

15 . حَكَمٌ صَبِيٌّ (وَآتَيْنَاهُ الْحَكَمَ صَبِيًّا)

16 . بارٌّ (وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ).

### يحيى لم يخلق للعب:

وَرُوِيَ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ، قَالَ: دَخَلَ يَحْيَى بْنُ زَكْرِيَّا عَلَيْهِ السَّلَامُ إِلَى بَيْتِ الْمُقَدَّسِ وَهُوَ ابْنُ ثَمَّانِي حَجَّجَ، فَنَظَرَ إِلَى عِبَادِ بَيْتِ الْمُقَدَّسِ قَدْ لَبَسُوا مَدَارِعَ الشَّعْرِ وَبِرَانِسَ الصُّوفِ، وَنَظَرَ إِلَى مُجْتَهِدِيهِمْ، أَوْ قَالَ: "مُتَّهَجِدِيهِمْ، قَدْ خَرَقُوا التَّرَافِي، وَسَلَكُوا فِيهَا السَّلَاسِلَ وَشَدُّوْهَا إِلَى حَنَائِيَا بَيْتِ الْمُقَدَّسِ، فَهَالَهُ ذَلِكَ، وَرَجَعَ إِلَى أَبِيهِ، فَمَرَّ بِصَبِيَّانٍ يَلْعَبُونَ، فَقَالُوا: يَا يَحْيَى هَلُمَّ فَلْنَلْعَبْ.

قَالَ: إِنِّي لَمْ أُخْلَقْ لِلْعِبِّ "554.

### طائفة من الصابئة ترى يحيى نبيها:

الصابئة المندائية هي طائفة الصابئة الوحيدة الباقية إلى اليوم والتي تعتبر يحيى عليه السلام نبيًا لها، يقُدِّس أصحابها الكواكب والنجوم ويعظمونها، ويعتبر الاتجاه نحو نجم القطب الشمالي وكذلك التعميد في المياه الجارية من أهم معالم هذه الديانة التي يميز أغلب

<sup>554</sup> الرقة والبكاء لابن قدامة، ص 72.

فقهاء المسلمين أخذ الجزية من معتنقيها أسوة بالكتائبيين من اليهود والنصارى.

ولقد حَقَّق ابن تيمية في كتاب الردِّ على حَقِيقَةِ الصابئة كما وردت في القرآن الكريم فقال ما حاصله: "إنَّ الصابئة نوعان: صابئة حنفاء وصابئة مشركون.

أما الصابئة الحنفاء فهم بمنزلة من كان متبعا لشريعة التوراة والإنجيل قبل النسخ والتحريف والتبديل، وهؤلاء حمدهم الله وأثنى عليهم. والثابت أنَّ الصابئين قوم ليس لهم شريعة مأخوذة عن نبي، وهم قوم من المجوس، ولكنهم عرفوا الله وحده، ولم يحدثوا كفرا، وهم متمسكون "بالإسلام المشترك" وهو عبادة الله وحده وإيجاب الصدق والعدل وتحريم الفواحش والظلم ونحو ذلك ممَّا اتفقت الرُّسُل على إيجابه وتحريمه وهم يقولون "لا إله إلا الله" فقط وليس لهم كتاب ولا نبي. والصحيح أنهم كانوا موجودين قبل إبراهيم عليه الصَّلَاة والسَّلَام بأرض اليمن.

وأما الصابئة المشركون فهم قوم يعبدون الملائكة ويقرؤون الزبور ويصلون، فهم يعبدون الروحانيات العلوية<sup>555</sup>.

والصابئة الذين يزعمون أنَّ يحيى عليه السَّلَام هو نبيهم الذي أرسل إليهم كانوا يقيمون في القدس، وبعد الميلاد طردوا من فلسطين فهاجروا إلى مدينة حران فتأثروا هناك بمن حولهم وتأثروا بعبدة الكواكب والنجوم من الصابئة الحرائيين. ثمَّ هاجروا من حران إلى

---

<sup>555</sup> الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، 2، ص 714.



موطنهم الحالي في جنوبي العراق وإيران وما يزالون فيه، حيث يعرفون بصابئة البطائح"556.

وكان لهم مجموعة أعياد من بينها عيد يسمونه عيد يحيى، وهو يوم واحد من أقدس الأيام عندهم، يأتي بعد عيد البنجة بستين يوما وفيه كما يعتقدون كانت ولادة النبي يحيى عليه السلام"557

### يحيى في مواجهة إبليس:

عَنْ وَهَيْبِ بْنِ الْوَرْدِ، قَالَ: "بَلَعْنَا أَنَّ الْحَبِيثَ، إِبْلِيسَ تَبَدَّى لِيَحْيَى بْنِ زَكَرِيَّا عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَقَالَ لَهُ: إِيَّيَّيْ أُرِيدُ أَنْ أَنْصَحَكَ فَقَالَ: كَذَبْتَ أَنْتَ لَا تَنْصَحُنِي وَلَكِنْ أَحْبَبْتَنِي عَنْ بَنِي آدَمَ، فَقَالَ: هُمْ عِنْدَنَا عَلَى ثَلَاثَةِ أَصْنَافٍ:

صِنْفٌ مِنْهُمْ هُوَ أَشَدُّ الْأَصْنَافِ عَلَيْنَا نُقْبِلُ حَتَّى نَفْتِنَهُ وَنَسْتَمْكَنَ مِنْهُ ثُمَّ يَفْرُغُ إِلَى الْإِسْتِعْفَارِ وَالتَّوْبَةِ فَيُفْسِدُ عَلَيْنَا كُلَّ شَيْءٍ أَذْرَكْنَا مِنْهُ، ثُمَّ نَعُودُ لَهُ فَيَعُودُ، فَلَا نَحْنُ نَيَّاسَ مِنْهُ وَلَا نَحْنُ نُدْرِكُ مِنْهُ حَاجَتَنَا، فَنَحْنُ مِنْ ذَلِكَ فِي عَنَاءٍ.

وَأَمَّا الصِّنْفُ الْآخَرُ فَهُمْ فِي أَيْدِينَا بِمَنْزِلَةِ الْكُرَةِ فِي أَيْدِي صِبْيَانِكُمْ نُلْقِيهِمْ كَيْفَ شِئْنَا قَدْ كَفَوْنَا أَنْفُسَهُمْ.

وَأَمَّا الصِّنْفُ الْآخَرَ فَهُمْ مِثْلُكَ مَعْصُومُونَ لَا نَقْدِرُ مِنْهُمْ عَلَى شَيْءٍ. فَقَالَ لَهُ يَحْيَى: عَلَى ذَلِكَ هَلْ قَدَرْتَ مَعِي عَلَى شَيْءٍ، قَالَ: لَا إِلَّا مَرَّةً وَاحِدَةً فَإِنَّكَ قَدَّمْتَ طَعَامًا تَأْكُلُهُ فَلَمْ أَرْزُ أَشْهِيهِ إِلَيْكَ حَتَّى أَكَلْتَ أَكْثَرَ مِمَّا تُرِيدُ فَنِمْتَ تِلْكَ اللَّيْلَةَ، وَلَمْ تَقُمْ إِلَى الصَّلَاةِ كَمَا كُنْتَ

556 الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، 2، ص 715.

557 الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، 2، ص 719.

تَقُومَ إِلَيْهَا. قَالَ: فَقَالَ لَهُ يَحْيَى: لَا جَرَمَ لَا شَبِعْتَ مِنْ طَعَامِ أَبَدًا حَتَّى  
أَمُوتَ. فَقَالَ لَهُ الْحَبِيثُ: لَا جَرَمَ لَا نَصَحْتَ آدَمِيًّا بَعْدَكَ" 558

وعن ثابت البناني، قال: "بَلَعَنِي أَنَّ إِبْلِيسَ ظَهَرَ لِيَحْيَى بْنِ زَكَرِيَّا  
عَلَيْهِ السَّلَامُ فَرَأَى عَلَيْهِ مَعَالِيْقَ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ فَقَالَ يَحْيَى عَلَيْهِ السَّلَامُ:  
يَا إِبْلِيسُ مَا هَذِهِ الْمَعَالِيْقُ الَّتِي أَرَى عَلَيْكَ؟ قَالَ: هَذِهِ الشَّهَوَاتِ الَّتِي  
أُصِيبَ بِهِنَّ ابْنُ آدَمَ قَالَ: فَهَلْ لِي فِيهَا مِنْ شَيْءٍ؟ قَالَ: رَبَّمَا شَبِعْتَ  
فَتَقَلُّنَاكَ عَنِ الصَّلَاةِ وَعَنِ الذِّكْرِ قَالَ: هَلْ غَيْرُ ذَلِكَ؟ قَالَ: لَا، قَالَ:  
لِلَّهِ عَلَيَّ أَنْ لَا أَمَلًا بَطْنِي مِنَ الطَّعَامِ أَبَدًا، قَالَ إِبْلِيسُ: وَاللَّهِ عَلَيَّ أَنْ لَا  
أَنْصَحَ مُسْلِمًا أَبَدًا" 559

وعن عبد الله بن حُبَيْقٍ قَالَ: لَقِيَ يَحْيَى بْنَ زَكَرِيَّا عَلَيْهِمَا الصَّلَاةُ  
وَالسَّلَامُ إِبْلِيسَ فِي صُورَتِهِ فَقَالَ لَهُ: يَا إِبْلِيسُ أَخْبِرْنِي مَا أَحَبُّ النَّاسِ  
إِلَيْكَ وَأَبْغَضُ النَّاسِ إِلَيْكَ؟ قَالَ: أَحَبُّ النَّاسِ إِلَيَّ الْمُؤْمِنُ الْبَخِيلُ،  
وَأَبْغَضُهُمْ إِلَيَّ الْفَاسِقُ السَّخِي. قَالَ يَحْيَى: وَكَيْفَ ذَلِكَ؟ قَالَ: لِأَنَّ  
الْبَخِيلَ قَدْ كَفَانِي بُخْلَهُ، وَالْفَاسِقُ السَّخِي أَتَخَوَّفُ أَنْ يَطَّلَعَ اللَّهُ عَلَيْهِ فِي  
سَخَاهُ فَيَقْبَلَهُ، ثُمَّ وَلَّى وَهُوَ يَقُولُ: لَوْلَا أَنَّكَ يَحْيَى لَمْ أُخْبِرَكَ 560.

### خلق يحيى ليحيى:

قال تعالى: { يَا زَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَى } 561

فقوله تعالى: (اسمه يحيى) يعني أنه اسم يبقى، ولن يزول أبداً،  
أي أنّ صاحب هذا الاسم (يحيى) عليه السَّلَامُ سيكون اسمه من بعده

558 الإيمان بالجن بين الحقيقة والتهويل، ص 433.

559 الإيمان بالجن بين الحقيقة والتهويل، ص 434.

560 الإيمان بالجن بين الحقيقة والتهويل، ص 434.

561 م ريم 7.

باقيا، ولأنه سيظل باقيا، فهو مع أنه سمي في زمن الرّسالتين المنسوختين (التوراة والإنجيل) ولكنه لم ينسخ؛ فكان الاسم باقيا وسيظل كذلك مع بقاء القرآن إلى يوم الدين؛ ذلك لأنّ الله تعالى قد أخذ اسم يحيى من صفته جلّ جلاله (الحي) الذي خلق الحياة والموت، قال تعالى: {الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ} 562.

وعليه؛ فالحي المطلق هو الذي خلق الحياة وهو الذي جعل اسم (يحيى منها)، والحي: "يعني، الذي له الحياة الدائمة، والبقاء الذي لا أول له بحدّ، ولا آخر له بأمد" 563.

والحي الدائم، دائم الحياة المطلقة، والحي بالإضافة هو: كما هو حال يحيى عليه السّلام؛ الذي يستمدّ حياته من الحي المطلق بالقول والعمل الذي لا يزول، ولهذا يكون متبعا لما أمر به الحي المطلق جلّ جلاله، ولذا الحي بالإضافة هو من يكون حيا بأقواله وأعماله وأفعاله التي تُحسب مصداقا لقوله تعالى: {وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ} 564، وقوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَبْطُلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِثَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا لَا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ} 565

---

562 الملك 2.

563 تفسير الطبري - ج 5، ص 386.

564 آل عمران، 169.

565 البقرة، 264.

الحي هو خالق الحياة، ولأن كل مخلوق يفنى، وخالق المخلوق لا يفنى فجاء اتصافه بالحي جلّ جلاله. ولذا فمن يخلق الحياة لا بدّ وأن يتصف بها.

ولأنّته الحي خلق الموت ليكون باقيا حيا أمام امتثال الموت للموت بعد مماته للحياة غير الباقية. قال تعالى: { تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا مَا تَرَىٰ فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِن تَفَوتٍ فَأَرِجِ الْعَبَصَرَ هَل تَرَىٰ مِنْ فُطُورٍ ثُمَّ أَرِجِ الْعَبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ حَاسِنًا وَهُوَ حَسِيرٌ وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحٍ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ السَّعِيرِ وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَيُسَمَّى الْمَصِيرُ إِذَا أُلْقُوا فِيهَا سَمِعُوا لَهَا شَهيقًا وَهِيَ تَفُورٌ تَكَادُ تَمَيِّزُ مِنَ الْغَيْظِ كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلْتَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ قَالُوا بَلَىٰ قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ كَبِيرٍ وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ {566}.

اسم الحي من أسماء الصفات التي اتصف بها في علياه، قال تعالى: { اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ {567} . ففي قوله تعالى: (اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ) تقدم الحياة على القيومية، إذ لو لم تكن هناك حياة لم تكن هناك قيومية

566 الملك 10.1.

567 البقرة، 255.

على أي أمر من أموره، فالله هو الحي بلا ابتداء، أي من ظلمات الأزل إلى ظلمات الأبد، وترتب على هذا الاسم كونه جلّ جلاله:

1. الأول بلا ابتداء: قال تعالى: {لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ} {568}. فهو جلّ جلاله موجود قبل وجود الزمان، لأنه موجود قبل الأشياء كلّها، والسابق لها، وهو الموجد لها، والمحدث لها؛ لا ابتداء المسببات منه جل في علاه؛ وبذلك تكون الأوليّة ذاتية.

2. الآخر بلا انتهاء: قال تعالى: {لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ} {569}. إن الله جلّ جلاله ليس بعده آخر، فهو الآخر بلا انتهاء كما هو الأول بلا ابتداء، وليعلم الخليفة أن الخلائق كلّها تفنى ويبقى الله تعالى في علاه، قال تعالى: {كُلٌّ مِنْهَا عَلَيْهَا فَانَ وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ} {570}.

3. المحيي لكلّ حي: قال تعالى: {قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكِ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ تُؤَلِّجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُؤَلِّجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَمِيتِ وَتُخْرِجُ الْمَمِيتَ مِنَ الْحَيِّ وَتَرْزُقُ مَنْ تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ} {571}. إن الله جلّ جلاله خلق كلّ

---

568 الحديد 2،3.

569 الحديد 2،3.

570 الرحمن، 25-28.

571 آل عمران، 26.

حي، وذلك لأن الخلائق تحت أمره أوجدها كيف شاء وأراد، وكل ذلك تحت كلمة (كن)، قال تعالى: {أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَىٰ وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ} إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ} 572. إنه القادر على كل شيء سبحانه الحي الدائم، كل شيء يعود إليه في الخلق والموت والبعث لا إله إلا هو، ولذا لا رجوع إلا إليه:

الرجعة الأولى في الحياة: قال تعالى: {قَالُوا يَا نُوحُ قَدْ جَادَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ} قَالَ إِنَّمَا يَأْتِيكُمْ بِهِ اللَّهُ إِنْ شَاءَ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ وَلَا يَنْفَعُكُمْ نُصْحِي إِنْ أَرَدْتُ أَنْ أَنْصَحَ لَكُمْ إِنْ كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُغْوِيَكُمْ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ إِنْ افْتَرَيْتُهُ فَعَلَيَّ إِجْرَامِي وَأَنَا بَرِيءٌ مِمَّا تُجْرِمُونَ وَأَوْحِيَ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ قَدْ آمَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحِينَا وَلَا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُعْرِضُونَ} 573، وقال تعالى: {وَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ} كل شيء هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ} 574، وقال تعالى: {أَفَعَبِّرَ دِينَ اللَّهِ يَبْعُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ} 575، وقال تعالى: {إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ} وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا يَا أَبَتِ إِنَّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي

572 يس 81-83.

573 هود 32. 37.

574 القصص، 88.

575 آل عمران، 83.

أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ  
عَصِيًّا يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ  
لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا قَالَ أَرَاغِبُ أَنْتَ عَنْ أِهْلِي يَا إِبْرَاهِيمُ لَئِنْ لَمْ تَنْتَه  
لَأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرِيْ مَلِيًّا قَالَ سَلَامٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ  
بِي حَفِيًّا وَأَعْتَرِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُوا رَبِّي عَسَىٰ أَلَّا أَكُونَ  
بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا فَلَمَّا اعْتَرَاهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَهَبْنَا لَهُ  
إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا وَوَهَبْنَا لَهُمْ مِنْ رَحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ  
لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا {576}.

الرجعة الثانية في الممات: قال تعالى: {أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي  
السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَلَا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ هُوَ  
يُحْيِي وَيُمِيتُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ} {577}، وقال تعالى: {وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِنْ  
قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِنْ مِتَّ فَهُمْ الْخَالِدُونَ كُلِّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَنَبَلُّوكُمُ  
بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فَنُنَزِّلُ وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ} {578}، وقال تعالى: {إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ  
الَّذِينَ يَسْمَعُونَ وَالْمَوْتَى يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ  
عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنَّ اللَّهَ قَادِرٌ عَلَىٰ أَنْ يُنَزِّلَ آيَةً وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا  
يَعْلَمُونَ وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ  
أَمْثَلُكُمْ مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ وَالَّذِينَ  
كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا صُمُّ وَبُكْمٌ فِي الظُّلُمَاتِ مَنْ يَشَأُ اللَّهُ يُضِلَّهُ وَمَنْ يَشَأُ  
يَجْعَلُهُ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَنَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمْ  
السَّاعَةُ أَغَيْرَ اللَّهِ تَدْعُونَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ} {579}.

<sup>576</sup> مريم 40 . 50.

<sup>577</sup> يونس، 55، 56.

<sup>578</sup> الأنبياء، 34، 35.

<sup>579</sup> الأنعام، 36 . 40.

الرجعة الثالثة في البعث: قال تعالى: { كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ  
أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ هُوَ الَّذِي خَلَقَ  
لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ  
وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ } 580، وقال تعالى: { وَآتَلُوا عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَاهِيمَ  
إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَنْظِلُ لَهَا عَاقِبِينَ  
قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ أَوْ يَنْفَعُونَكُمْ أَوْ يُضُرُّونَ قَالُوا بَلَى  
وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ قَالَ أَفَرَأَيْتُمْ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ أَنْتُمْ وَأَبَاؤُكُمْ  
الْأَقْدَمُونَ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ  
وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ  
يُحْيِينِ وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ رَبِّ هَبْ لِي  
حُكْمًا وَالْحَقِّنِي بِالصَّالِحِينَ وَاجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ وَاجْعَلْنِي  
مِنْ وَرَثَةِ جَنَّةِ النَّعِيمِ وَاعْفُرْ لِأَبِي إِنَّهُ كَانَ مِنَ الصَّالِحِينَ وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ  
يُبْعَثُونَ يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ } 581.

والخليفة هو الحي بالإضافة أي هو الذي علمه الله الأسرار  
الباقية جميعها ثم طلب منه أن يعلمهم بها، وبذلك فهو الخليفة الذي  
حمل الأمانة الباقية من الحي القيوم قال تعالى: { وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ  
لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا  
وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا  
تَعْلَمُونَ وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي  
بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا  
إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ قَالَ يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ  
بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا

580 البقرة، 28، 29.

581 الشعراء 69 . 88.



تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ} 582. وبهذا فالخليفة يستمد علمه من العليم الحكيم فيصنع حياة بين المستخلفين فيها مؤسسة على المحبة والتعاون وإصلاح الأرض وإحيائها بعد جذب إذا ما استخرج الماء من بطنها لتعمها الحياة بالإنتاج وهو المحي بفكره ثقافة وحضارة وعلما (سلطان)، وهو محيي الكافة بنشره دين الكافة، قال تعالى: { يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِنَّ اسْتِطْعَمْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانْفُذُوا لَا تَنْفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكذِّبَانِ} 583. والمراد بالسلطان هنا هو العلم والمعرفة والدراية والفهم لكل ما يجري في هذا الكون، وهو الذي يكون عليه خلفاؤه في أرضه، حتى تكون الرسالة التي كلّفوا بها على أكمل وجه.

ولأنّ الخليفة يستمد حياته من الحي الذي لا يموت، فهو الباقي بأعماله من بعده التي ستظل إلى يوم يبعثون، وهي التي بها سيجازى ثوابا ويكون من الوارثين، إما غيره من بني آدم الذين لم تبق لهم أعمال على قيد الحياة سيكونون مع أعمالهم الفانية في الدار التي لا تبقي ولا تذر قال تعالى: { إِنْ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ سَأُصْلِيهِ سَقَرَ وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرٌ لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ لَوْ اِحْتَأْتِ الْبَشَرُ عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا لِيَسْتَيَقِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَيَزْدَادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانًا وَلَا يَرْتَابَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْمُؤْمِنُونَ وَلِيَقُولَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْكَافِرُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكْرَى لِلْبَشَرِ كَلَّا وَالْقَمَرِ وَاللَّيْلِ إِذْ أَدْبَرَ وَالصُّبْحِ إِذَا أَسْفَرَ إِنَّهَا لَلْأَحَدَى الْكُبْرَى نَذِيرًا لِلْبَشَرِ لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ

582 البقرة، 30 . 33.

583 الرحمن، 34، 33.

أَنْ يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةً إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِينِ فِي  
جَنَّاتٍ يَتَسَاءَلُونَ عَنِ الْمُجْرِمِينَ مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرٍ قَالُوا لَمْ نَكُ مِنْ  
الْمُصَلِّينَ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمِ الْمَسْكِينِ وَكُنَّا نَحُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ وَكُنَّا  
نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ حَتَّى أَتَانَا الْيَقِينُ {584.

4 . المميت لكل حي: قال تعالى: {كل نفس ذائقة الموت  
وَإِنَّمَا نُوفُّونَ أَجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ  
فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ {585. ليعلم الخليفة من على  
الأرض أن كل من على الكون سيموت، لوجود الموت والتي ستكون  
آخر من يموت، ولكن علم المستخلفين في الأرض بموتهم لا يعني  
تركهم لحقوقهم وواجباتهم في الحياة، وإلا فما قيمة الحياة التي خلقوا  
لها، فما يتركه الإنسان خلفه من إعمار أو دمار هو دليل حياته؛  
ولأن الحياة الباقية بالنسبة للخليفة هي حياة الأعمال الحسان قال  
تعالى: {وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ  
يُرْزَقُونَ فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا  
بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ إِلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةِ مِنَ  
اللَّهِ وَفَضْلِهِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ  
مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقُوا أَجْرٌ عَظِيمٌ الَّذِينَ  
قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا  
حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ {586. ولذلك على الخليفة أن يجتهد في  
خدمة مستخلفيه ويجتهد في بناء الأرض بالخير والنماء، ويكون ذلك:

584 المدثر 25 . 47.

585 آل عمران، 185.

586 آل عمران، 169 . 173.

أ . بالتحريض: قال تعالى: { يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ } 587.

ب . بالتبشير: قال تعالى: { كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِي مَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ } 588، وقال تعالى: { إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ أزدادوا كُفْرًا لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلًا بَشِّرِ الْمُنَافِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَيْبَتَعُونَ عِنْدَهُمُ الْعِزَّةَ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا } 589، وقال تعالى: { وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ فَمَنْ آمَنَ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا يَمَسُّهُمُ الْعَذَابُ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ إِنْ أَتَّبِعْ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ } 590.

ج . بالإنذار: قال تعالى: { وَأَنْذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْ يُخْشَرُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُمْ مِنْ دُونِهِ وِلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ } 591، وقال تعالى: { ق وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ بَلْ عَجِبُوا أَنْ

587 الأنفال 65.

588 البقرة، 123.

589 النساء، 137 . 139.

590 الأنعام، 48 . 51.

591 الأنعام، 52.

جَاءَهُمْ مُنذِرٌ مِنْهُمْ فَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ أُنزِلَ مِنَّا وَكُنَّا  
 ثُرَابًا ذَلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنْقُصُ الْأَرْضُ مِنْهُمْ وَعِنْدَنَا كِتَابٌ  
 حَفِيظٌ بَلْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ فَهُمْ فِي أَمْرٍ مَرِيحٍ {592، وقال  
 تعالى: {وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ وَاحْفَظْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ  
 الْمُؤْمِنِينَ فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنَّي بِرَبِّيءٍ مِمَّا تَعْمَلُونَ وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ  
 الرَّحِيمِ الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ وَتَقْلُبُكَ فِي السَّاجِدِينَ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ  
 الْعَلِيمُ} {593.

د . بالعدل: قال تعالى { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَيْتُمْ بِدِينٍ  
 إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوهُ وَلْيَكْتُب بَيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ وَلَا يَأْب  
 كَاتِبٌ أَنْ يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ فَلْيَكْتُبْ وَلْيُمْلِلِ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ  
 وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ وَلَا يَبْخَسْ مِنْهُ شَيْئًا فَإِنْ كَانَ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ سَفِيهًا أَوْ  
 ضَعِيفًا أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُمْلِئَ هُوَ فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُ بِالْعَدْلِ وَاسْتَشْهِدُوا  
 شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجَالِكُمْ فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّنْ تَرْضَوْنَ  
 مِنَ الشُّهَدَاءِ أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكَّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى وَلَا يَأْب  
 الشُّهَدَاءُ إِذَا مَا دُعُوا وَلَا تَسْأَمُوا أَنْ تَكْتُبُوهُ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا إِلَىٰ أَجَلِهِ  
 ذَلِكَمْ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ وَأَقْوَمُ لِلشَّهَادَةِ وَأَدْنَىٰ أَلَّا تَرْتَابُوا إِلَّا أَنْ تَكُونَ  
 تِجَارَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَلَّا تَكْتُبُوهَا وَأَشْهِدُوا  
 إِذَا تَبَايَعْتُمْ وَلَا يُضَارَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ وَإِنْ تَفَعَّلُوا فَإِنَّهُ فُسُوقٌ بِكُمْ  
 وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ} {594، وقال تعالى:

592 ق، 1 . 5.

593 الشعراء 215 . 220.

594 البقرة، 282.

{ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ  
الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ } 595.

هـ . بإيفاء العهد: قال تعالى: { وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلَا  
تَنْفُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ  
مَا تَفْعَلُونَ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَقَضَتْ عُزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكَاثًا تَتَّخِذُونَ  
أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ أَنْ تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَىٰ مِنْ أُمَّةٍ إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ اللَّهُ بِهِ  
وَلَيُبَيِّنَنَّ لَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ } 596، وقال تعالى:  
{ وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا  
الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدُوا  
وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَلِكُمْ وَصَاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ وَأَنَّ  
هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ  
ذَلِكُمْ وَصَاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ } 597.

و . بإيفاء الكيل والميزان: قال تعالى: { وَيَا قَوْمِ أَوْفُوا الْمِكْيَالَ  
وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْنُوا فِي الْأَرْضِ  
مُفْسِدِينَ } 598، وقال تعالى: { إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلَا تَتَّقُونَ إِنِّي  
لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا أَوْفُوا الْمِكْيَالَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُخْسِرِينَ  
وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْنُوا فِي  
الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ } 599.

595 النحل 90.

596 النحل 91، 92.

597 الأنعام، 152، 153.

598 هود 85.

599 الشعراء 177 . 183.

ع . بالمشاورة: قال تعالى: {فِيمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ} 600، وقال تعالى: {وَالَّذِينَ يَحْتَسِبُونَ كِبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنْتَصِرُونَ وَجِزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ وَلَمَنِ انْتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولَئِكَ مَا عَلَيْهِمْ مِنْ سَبِيلٍ إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِعَيْرِ الْحَقِّ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ وَجِيٍّ مِنْ بَعْدِهِ وَتَرَى الظَّالِمِينَ لَمَّا رَأُوا الْعَذَابَ يَقُولُونَ هَلْ إِلَى مَرَدٍّ مِنْ سَبِيلٍ} 601.

غ . بالإنفاق: قال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمْ يَوْمٌ لَا بَيْعَ فِيهِ وَلَا خُلَّةَ وَلَا شَفَاعَةَ وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ} 602، وقال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ وَلَسْتُمْ بِآخِذِيهِ إِلَّا أَنْ تُغْمِضُوا فِيهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُمْ بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُمْ مَغْفِرَةً مِنْهُ وَفَضْلًا وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ} 603

600 آل عمران، 159.

601 الشورى 37 . 44.

602 البقرة، 254.

603 البقرة، 267، 268.

ف . بالصدقة: قال تعالى: {وَأَنْ تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ} 604، وقال تعالى: {خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ وَأَخْرَجُونَ مُرْجُونَ لِأَمْرِ اللَّهِ إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ} 605، وقال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِمُوا بَيْنَ يَدَيْ نُجُوتِكُمْ صَدَقَةً ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ وَأَطْهَرُ فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ أَلْأَشْفَقْتُمْ أَنْ تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نُجُوتِكُمْ صَدَقَاتٍ فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا وَتَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ} 606.

ق . بالزكاة: قال تعالى: {إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْعَالِيُونَ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُؤًا وَلَعِبًا مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَالْكَفَّارَ أَوْلِيَاءَ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ} 607، وقال تعالى:

604 البقرة، 280، 281.

605 التوبة 103 . 106.

606 المجادلة 12، 13.

607 المائدة، 55 . 57.

{وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ} 608، وقال تعالى:  
{قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى} 609.

ك . بالمعروف: قال تعالى: {قَوْلٌ مَعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِنْ  
صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أَدَىٰ وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ} 610، وقال تعالى: {وَالَّذِينَ  
يَتَّقُونَ مِنْكُمْ وَيَنْذَرُونَ أَزْوَاجًا وَصِيَّةً لِأَزْوَاجِهِمْ مَتَاعًا إِلَى الْحَوْلِ غَيْرَ  
إِخْرَاجٍ فَإِنْ خَرَجْنَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِي مَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ مِنْ  
مَعْرُوفٍ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ} 611، وقال تعالى: {قَوْلٌ مَعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ  
خَيْرٌ مِنْ صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أَدَىٰ وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ} 612.

ل . بالمغفرة: قال تعالى: {الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُمُ  
بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُم مَغْفِرَةً مِنْهُ وَفَضْلًا وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ} 613،  
وقال تعالى: {وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ  
وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاطِمِينَ  
الْعَيْظِ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا  
فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرِ  
الدُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ أُولَٰئِكَ جِزَاؤُهُمْ  
مَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ  
الْعَامِلِينَ} 614.

---

608 البقرة، 43.

609 الأعلى، 14، 15.

610 البقرة، 263.

611 البقرة، 240.

612 البقرة، 263.

613 البقرة، 268.

614 آل عمران، 133 . 136.



م . بحسن التحيّة: قال تعالى: {وَإِذَا حُيِّتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا} 615، وقال تعالى: {أُولَئِكَ يُجْزَوْنَ الْعُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَامًا خَالِدِينَ فِيهَا حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا} 616.

وعليه فإن للخليفة مهاماً في إصلاح الأرض بما أنه قد قبل بحمل الرسالة التي أبت الجبال أن تحملنها، مصداقاً لقوله تعالى: {إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا} 617، ولذا فعليه أن يعدل وأن يكيل ويزن بالقسطاس المستقيم ويتقي الله ربّه في نفسه وأسرته ومجتمعه مراعيًا لاعتبارات الأعراف والتشريعات الإنسانية دون أن يغفل عن أداء العبادات كاملة فيزكي ويتصدق ويغفر ويرحم ويعفو ويصفح ويصلح ويُفلح ويعمر ولا يفسد ولا يسفك الدماء في الأرض بغير حقّ.

وعلى الخليفة أن يعمل بكلّ ما في وسعه لأجل بناء العقول بالعلم فتبني وتُعمّر وبهذا المعنى يكون الخليفة حياً، قال تعالى: {قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا الَّذِينَ ضَلَّ سَعِيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يُحْسَبُونَ أَنَّهم يُحْسِنُونَ صُنْعًا أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزَنًا ذَلِكَ جَزَاؤُهُمْ جَهَنَّمَ بِمَا كَفَرُوا وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَرُسُلِي هُزُوًا} 618.

615 النساء، 86.

616 الفرقان، 75، 76.

617 الأحزاب 72.

618 الكهف 103-106.

ولذا فالبناء يؤدّي إلى العمار والعمار حياة تشيد على أرض الله  
الواسعة، فكلّما كان الإنسان في وضع مستريح كلّما كان عطاؤه أكبر  
وأعظم، وليكن كلّ ذلك في عمار الأرض بناء المأوى الذي هو سترة  
لإشباع الحاجة للفرد والعائلة المحترمة وفي ذلك حياة لمن يتقي ربه.

وباستصلاح الأرض بالزراعة وشق الأنهار والقنوات والترع،  
وتوفير ما يلزم من الأسمدة والبذور المحسنة، واستغلال الوجه الأمثل  
لتوفير ما يحتاجه الإنسان من الغذاء، وليوفر الحلول المناسبة للمشاكل  
التي تترتب على عدم إشباع الحاجة للمأكل والمشرب، وبما يحقّ المن  
للمستخلفين فيها.

وعليه فالحي هو:

. القادر على الخلق: قال تعالى: {وَلَيْنُ أَرْسَلْنَا رِيحًا فَرَأَوْهُ مُصْفَرًّا  
لَظَلُّوا مِنْ بَعْدِهِ يَكْفُرُونَ فَإِنَّكَ لَا تَسْمَعُ الْمَوْتَى وَلَا تُسْمِعُ الصُّمَّ  
الدَّعَاءِ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ وَمَا أَنْتَ بِهَادِي الْعُمِّيِّ عَنْ ضَلَالَتِهِمْ إِنْ تَسْمَعُ  
إِلَّا مَنْ يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ مُسْلِمُونَ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ  
جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا  
يَشَاءُ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ} 619. والقادر بالإضافة إلى الله جلّ جلاله  
هو الخليفة الذي يمكن أن يشارك في القدرة على خلق الإبداع في  
نفسه ومجتمعه، وأن يكون طموحا واثقا من نفسه في القدرة على  
الدفع والنفذ بمجتمعه، فالخليفة الحي بالإضافة هو الذي يجعل الحياة  
حية في الأرض وأن يجعل لنفسه حياة ذات تاريخ يبقى حيا ما بقي  
ثم من بعد يبقى، قال تعالى: {وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ  
أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرَزَقُونَ فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ

<sup>619</sup> الروم، 51-54.

وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةِ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقُوا أَجْرٌ عَظِيمٌ الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ {620}.

ولهذا الخليفة هو الذي يعمل ويتقي الله في كل ما يعمل، قال تعالى: {وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سُدَّخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَعْدَ اللَّهِ حَقًّا وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا لَيْسَ بِأَمَانِيَّتِكُمْ وَلَا أَمَانِيَّ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ وَلَا يَجِدْ لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظَلَّمُونَ نَقِيرًا} {621} ولا يكون ذلك إلا بما يقدمه من إنجازات وأعمال نافعة صالحة، وبكل إخلاص وود لبني عصره، ولا يكون ذلك إلا بالتفاني والجد وبكل همة ونشاط حتى يحصل التقدم الذي هو هدف الخليفة الذي استخلفه الله في الأرض ليعمرها بكل ما هو مصلح، وليصل بذلك الخليفة إلى العمل بأمره تعالى: {آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلِفِينَ فِيهِ فَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَأَنْفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ وَمَا لَكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالرَّسُولِ يَدْعُوكُمْ لِتُؤْمِنُوا بِرَبِّكُمْ وَقَدْ أَخَذَ مِيثَاقَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ هُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ عَلَىٰ عَبْدِهِ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَإِنَّ اللَّهَ بِكُمْ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ

<sup>620</sup> آل عمران، 169 . 173.

<sup>621</sup> النساء، 122 . 124.

أُولَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدِ وَقَاتَلُوا وَكَلَّا وَعَدَّ اللَّهُ  
الْحُسْنَ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا  
فِيضَاعِفَهُ لَهُ وَلَهُ أَجْرٌ كَرِيمٌ {622}.

. المبدئ لكل مخلوق: قال تعالى: {إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ إِنَّهُ  
هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ وَهُوَ الْعَفُورُ الْوَدُودُ ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ فَعَالٌ لِمَا  
يُرِيدُ} {623}، وقال تعالى: {لَا يَخْزُهُمُ الْفَرْعُ الْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ  
هَذَا يَوْمُكُمْ الَّذِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِ  
لِلْكِتَابِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعَدَّا عَلَيْنا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ وَلَقَدْ  
كَتَبْنَا فِي الزُّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ إِنَّ  
فِي هَذَا لَبَلَاغًا لِقَوْمٍ عَابِدِينَ} {624}.

والخليفة الحي هو الذي يستمد صفاته من صفات خالقه،  
فيحيي الكلمة لتكون باقية للفعل، ويحيي الفعل ليكون صائبا في  
العمل، ويحيي العمل ليكون منتجا لما يفيد وينفع. كما انه يحيي  
الجملة لتكون حاقة للحق وزاهقة للباطل، وتكون عادلة بين الناس  
وذلك من خلال ما تتضمنه من حكم وحجة، وتحبي العدل ليكون  
بين الناس محبة لا فتنة. كذلك يحيي الخليفة النص والخطاب ليكون  
رسالة تصلح ولا تفسد وتُعمِّر ولا تُدمِّر، تبني علاقات الوحدة بين  
المستخلفين في الأرض وتبطل مفعول كل فعل من أفعال الفساد  
وسفك الدماء فيها بغير حق.

قال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ  
لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ وَكَلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَالًا

622 الحديد 7-11.

623 البروج، 12-16.

624 الأنبياء، 103-106.

طَيِّبًا وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ {625، وقال تعالى: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ وَلَسْتُمْ بِآخِذِيهِ إِلَّا أَنْ تُغْمِضُوا فِيهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَنِّي حَمِيدٌ الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُم مَغْفِرَةً مِنْهُ وَفَضْلًا وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ {626.

. المعيد لكل مخلوق: قال تعالى: { أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ إِنْ يَشَأْ يُدْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ {627، وقال تعالى: { فَسُبْحَانَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَيُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَكَذَلِكَ تُخْرَجُونَ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ تَنْتَشِرُونَ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالَمِينَ وَمِنْ آيَاتِهِ مَنَامُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَابْتِعَاؤُكُمْ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ وَمِنْ آيَاتِهِ يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنزِلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَيُحْيِي بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ {628. وللخليفة الحي أن يعيد إحياء ما يحتاج إلى إحياء من أراض بور، وذلك بالاستصلاح والاستزراع، وبناء وإعادة

625 المائدة، 88، 87.

626 البقرة، 267-269.

627 إبراهيم، 19، 20.

628 الروم، 17-24.

الترميم لكلّ قديم، من البناء المادي والمعنوي والمعرفي، وذلك ليعيد الحياة في مستخلفيه ببناء البناء الصالح للأمة.

وعليه الكلمة الطيبة تحيي أنفس، والصدقة الطيبة تحيي أنفس، والزكاة الطيبة تحيي أنفس، والصلاة الطيبة تحيي أنفس، والجهاد في سبيل الله ييقني النفس حية بين المستخلفين فيها إلى يوم يبعثون فهي المستخلفة في الأرض والوارثة في الجنة.

. القائم على كلّ شيء: قال تعالى: {وَعَنْتِ الْأُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقِيُومِ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا} 629. وقال تعالى: {الم الله لا إله إلا هو الحي القيوم نزل عليك الكتاب بالحق مصدقًا لما بين يديه وأنزل التوراة والإنجيل من قبل هدى للناس وأنزل الفرقان إن الذين كفروا بآيات الله لهم عذاب شديد والله عزيز ذو انتقام} 630. والخليفة يكون حيا بقيامه على ما كلف به من واجبات، وأمور تجاه ربه ونحو مجتمعه، ولكن على أساس من العدل والتقوى والمحبة، وحياته في ذلك لا تكون إلا بإخلاصه وصدقه ووفائه على ما كلف به، وعلى ما أداه من واجبات وممارسه من حقوق وحمله من مسؤوليات.

قال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدِينَ وَالْأَقْرَبِينَ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىٰ أَن تَعْدِلُوا وَإِن تَلَوُوا أَوْ تَعْرِضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي

629 طه، 111.

630 آل عمران، 1-4.

نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنْزَلَ مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ  
وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا {631}.

. العالم بكلّ شيء: قال تعالى: {كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ  
أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ مُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ هُوَ الَّذِي خَلَقَ  
لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ  
وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ {632}، وقال تعالى: {وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ  
وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَإِنَّ السَّاعَةَ لَأْتِيَةٌ فَاصْفَحِ الصَّفْحَ  
الْجَمِيلَ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ {633}.

ولذا فالخليفة يكون حيا بعلمه بكلّ ما يدور حوله، وذلك  
بمتابعة الأحداث والمجريات كلّ ساعة بساعة بالليل والنهار، ولا يكون  
غافلا عن مستخلفيه، وذلك بمتابعتهم باستمرار، وتقديم التوجيهات  
والنصائح اللازمة لهم، ليكونوا سعداء في الدنيا والآخرة، ويكون قد  
حمل المسؤولية فأحسن حملها، وأخذ حقوقه فأحسن ممارستها، وعمل  
واجباته فأحسن أداءها.

. المهيمن على كلّ شيء: قال تعالى: {وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا  
سُبْحَانَهُ بَلْ لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلٌّ لَهُ قَانِتُونَ بَدِيعُ  
السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ {634}،  
وقال تعالى: {وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ  
الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ  
عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ

---

631 النساء، 136، 135.

632 البقرة، 29، 28.

633 الحجر، 85، 86.

634 البقرة، 117، 116.

لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِيَبْلُوكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ وَأَنْ أَحْكَمَ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَاعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُصِيبَهُمْ بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ أَفْحَكَمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْعُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ {635}. وهيمنة الحي بالإضافة تكون بالقضاء على مظاهر الفساد والفتن وكل ما يؤثر على سير مجتمعه إلى الأمام ليكون مجتمعا حيا مزدهرا راقيا، ومتبعا لكل ما أمر الله به ومبتعدا عن كل ما نهى عنه.

. الخبير بكل شيء: قال تعالى: {وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ وَكَفَى بِهِ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ الرَّحْمَنُ فَاسْأَلْ بِهِ خَبِيرًا} {636}، وقال تعالى: {مَنْ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ الْقُرُونِ مِنْ بَعْدِ نُوحٍ وَكَفَى بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا} {637}.

الحياة تعلم المستخلفين، أي أن حياتهم في الدار الدنيا تعلمهم أساليب الحياة فيها، فيتعرفون على الكيفية التي يجب أن يكون قولهم عليها مع مراعاة الزمان والمكان الذين يستوجبان المراعاة عند كل حديث أو قول، ويتعرفون على السلوك الذي ينبغي أن يسلك وفقا

635 المائدة، 48-50.

636 الفرقان، 58،59.

637 الإسراء، 15-17.



لكلّ عرف سليم، ويتعرفون على العمل المستوجب للأداء والعمل الذي يبغى تجنبه مع احترام وتقدير الآخر مصداقا لقوله تعالى: {لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ} 638.

. مدبر الأمر: قال تعالى: {قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمْ مَنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ فَذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ الْحَقُّ فَمَاذَا بَعَدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ} 639. بطبيعة الحال لو لم يكن عزّ وجلّ حيا ما كان مدبرا للأمر، وهكذا لن يكون الخليفة مدبرا للأمر الذي يتعلق به لو لم يكن حيا، ولهذا فالقاعدة تقول: (لا يدبر الأمر إلا من قبل المتعلق به)، ولذا فإن الأمر المطلق يتعلق بالحي المطلق، والأمر النسبي يتعلق بالحي النسبي، ولهذا علاقة ترابط تمتد بين الأمر ومدبر حاله.

واسم الحي المطلق يطلق على من يكون على أكمل أحواله وصفاته الحسان ولا يكون ذلك إلا لله عزّ وجلّ؛ ولأنه كمال فهو باقٍ لا يزول ولا ينتهي، فالحي الباقي لا سبيل للموت عليه ولا الفناء. وهو الذي يعلم ويقدر وإلا فما قيمة الحياة عنده، قال الطبري: "وهو الذي له الحياة الدائمة، والبقاء الذي لا أول له بحد، ولا آخر له بأمد، إذ كان كلّ ما سواه فإنه وإن كان حيا فلحياته أول محدود، وآخر ممدود، ينقطع بانقطاع أمدها، وينقضي بانقضاء غايتها. {الحيّ}: الباقي، الذي لا يزول، ولا يحول. وهو المصّرّف

---

638 الكافرون، 6.

639 يونس، 31، 32.

للأمور، والمقدّر للأشياء. حيّ كما وصف نفسه، ويسلم ذلك دون أن ينظر فيه"640. واسم "{الحيّ}" فيه تأويلات:

أحدها: أنه سمى نفسه حيا لصرّفه الأمور مصارِفها.

ثانيها: تقدير الأشياء مقاديرها، فهو حي بالتقدير.

ثالثها: أنه حي بحياة هي له صفة.

رابعها: أنه اسم من أسماء الله تَسَمَّى به، فقلناه تسليما لأمره.

خامسها: أن المراد بالحي الباقي 641.

وسادسها: بدوامه الذي لا يزول يتصف بالحي. قال تعالى: {وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ لَكُمْ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلٌّ لَهُ قَانِتُونَ بَدِيعَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا اللَّهُ أَوْ تَأْتِينَا آيَةٌ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِثْلَ قَوْلِهِمْ تَشَابَهَتْ قُلُوبُهُمْ قَدْ بَيَّنَّا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ}642.

وسابعها: بخلقه للحياتين الأولى والآخرة. قال تعالى: {وَهُوَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْحَمْدُ فِي الْأُولَىٰ وَالْآخِرَةِ وَلَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ}643.

640 تفسير الطبري، ج 5، ص 386.

641 النكت والعيون، ج 1، ص 188.

642 118. 115.

643 القصص، 70.

وثامنها: بخلقه للموت التي بها يميت الأحياء. قال تعالى: {وَلَقَدْ كُنْتُمْ تَمَنَّوْنَ الْمَوْتَ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَلْقَوْهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ} {644، وقال تعالى: {كُلَّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّقُونَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْعُرُورِ} {645.

وتاسعها: بقتله للموت بعدما تفتى الخلائق لا يبقى إلا هو بصفته الحي. قال تعالى: {وَلَيْئِن قُلْتِ إِنَّكُمْ مَبْعُوثُونَ مِنْ بَعْدِ الْمَوْتِ لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ وَلَيُنَّ أَحْرَنَّا عَنْهُمْ الْعَذَابَ إِلَى أُمَّةٍ مَعْدُودَةٍ لَيَقُولُنَّ مَا يَحْسِبُهُ آلَا يَوْمَ يَأْتِيهِمْ لَيْسَ مَصْرُوفًا عَنْهُمْ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ} {646، وقال تعالى: {كُلَّ مَنْ عَلَيهَا فَإِنِ وَيَبْقَى وَجْهَ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ} {647، وقال تعالى: {وَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ كُلَّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ} {648.

وعاشرها: إنه الحي بوجود الحركة. قال تعالى: {أَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا اللَّيْلَ لَيْسَكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَمَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَاخِرِينَ وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنِعَ اللَّهُ الَّذِي الَّذِي أَتَقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ حَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ} {649، وقال تعالى: {وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا

644 آل عمران، 143.

645 آل عمران، 185.

646 هود 7، 8.

647 الرحمن، 26. 28.

648 القصص، 88.

649 النمل 86. 88.

حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَاَدْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةً نَغْفِرْ لَكُمْ  
 خَطَايَاكُمْ وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ  
 لَهُمْ فَأَنْزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا مِّنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ وَإِذِ  
 اسْتَسْقَى مُوسَى لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا  
 عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ كَلُوا وَاشْرَبُوا مِنْ رِزْقِ اللَّهِ وَلَا  
 تَعْنُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نَصْبِرَ عَلَى طَعَامٍ  
 وَاحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ مِنْ بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا  
 وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصِلَهَا قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَى بِالَّذِي هُوَ  
 خَيْرٌ اهْبِطُوا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُمْ مَّا سَأَلْتُمْ {650}، وقال تعالى: {قَالَ  
 رَجُلَانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا  
 دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ} {651}.

وعلى ذلك فإن الخليفة حي بالإضافة بكل ما تعنيه هذه  
 الكلمة، وليعلم أن من ورائه الموت، ويعلم أنه الحي الباقي من بعدها،  
 أي أنه الحي الباقي بعد أن يموت الموت، وتكون له الحياة الحيوان،  
 ولتكن سيرته كما قال تعالى: {يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ  
 وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا  
 رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ} {652}، وقال تعالى: {وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا هُوَ  
 وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ} {653}. وعلى  
 خلفائه في أرضه أن يمضوا أوقاتهم في إدراك معاني اسم (الحي)، ويمعنوا  
 النظر في مظاهر هذه الحياة، ليتعظوا، وليعظوا غيرهم، ومن مظاهر  
 ذلك أن ينظر إلى:

650 البقرة، 58 . 61.

651 المائدة، 23.

652 المؤمنون، 51، 52.

653 العنكبوت 64.

. خَلَقَهُ لِّلْمَوْتِ: قَالَ تَعَالَى: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا وَقَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ إِذَا ضَرَبُوا فِي الْأَرْضِ أَوْ كَانُوا غُزًى لَوْ كَانُوا عِنْدَنَا مَا مَاتُوا وَمَا قُتِلُوا لِيَجْعَلَ اللَّهُ ذَلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ يُحِبُّ وَيُمَيِّتُ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ وَلَئِن قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ مُتُّمْ لَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ } 654، وقال تعالى: { قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمَيِّتُ فَأَمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ وَمِن قَوْمِ مُوسَى أُمَّةٌ يَهْتَدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ } 655. وقال تعالى: { كُلَّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّقُونَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ } 656. والخليفة تجاه هذه سواء أكان الموت جهادا في سبيله أو لأي سبب كان لابد أن يكون متقبلا لما يحدث تجاهه، قال تعالى: { وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِنَّ لَا تَشْعُرُونَ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاغِبُونَ } 657.

. إحياءه للقلوب بالإيمان: قال تعالى: { وَذَرُوا ظَاهِرَ الْإِثْمِ وَبَاطِنَهُ إِنَّ الَّذِينَ يَكْسِبُونَ الْإِثْمَ سَيُجْزَوْنَ بِمَا كَانُوا يَفْتَرُونَ وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ أَوْ مَنْ كَانَ مِينًا فَأَخْيَيْنَاهُ

654 آل عمران، 157، 156.

655 الأعراف 159، 158.

656 آل عمران، 185.

657 البقرة، 154- 156.

وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ {658}.

. إحياءه للأرض الجذباء: قال تعالى: { وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا لِنُحْيِيَ بِهِ بَلَدَةً مَيِّتًا وَنُسْقِيَهُ مِمَّا خَلَقْنَا أَنْعَامًا وَأَنَاسِيَّ كَثِيرًا وَقَدْ صَرَّفْنَا فِيهِمْ لِيَذَكَّرُوا فَأَبَى أَكْثَرَ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا } {659}، وقال تعالى: { وَالَّذِي نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَنْشَرْنَا بِهِ بَلَدَةً مَيِّتًا كَذَلِكَ نُخْرِجُونَ } {660}، قال تعالى: { وَالْأَرْضَ مَدَدْنَا حَاكِيمًا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ تَبْصِرَةً وَذِكْرَى لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُبَارَكًا فَأَنْبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَهَا طَلْعٌ نَضِيدٌ رِزْقًا لِلْعِبَادِ وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلَدَةً مَيِّتًا كَذَلِكَ الْخُرُوجُ } {661}، وقال تعالى: { وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْتَ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَّتْ إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِي الْمَوْتَى إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ } {662}.

. إحياءه للسماء بحفظها بالنجوم: قال تعالى: { ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَى فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ } {663}، قال تعالى: { إِنَّ إِلَهُكُمْ لَوَاحِدٌ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ الْمَشَارِقِ إِنَّا زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةِ الْكَوَاكِبِ وَحِفْظًا مِنْ كُلِّ

658 الأنعام، 120-122.

659 الفرقان، 48-50.

660 الزخرف 11.

661 ق، 7-11.

662 فصلت، 39.

663 فصلت، 11، 12.

شَيْطَانٍ مَّارِدٍ لَا يَسْمَعُونَ إِلَى الْمَلَأِ الْأَعْلَى وَيُقَدِّفُونَ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ  
 دُحُورًا وَهُمْ عَذَابٌ وَأَصِيبٌ إِلَّا مَنْ حَطَفَ الْخُطْفَةَ فَاتَّبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ  
 فَاسْتَفْتِهِمْ أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقًا دِيَارِهِمْ خَلَقْنَا إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِنْ طِينٍ لَازِبٍ  
 بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ وَإِذَا ذُكِّرُوا لَا يَذْكُرُونَ {664}.

. توزيعه للأقوات: قال تعالى: {وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى  
 اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ وَهُوَ الَّذِي  
 خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ لِيُنْزِلَ  
 عَلَيْكُمْ أَنْحَسَ عَمَلًا وَلَئِنْ قُلْتُمْ إِنَّكُمْ مَبْعُوثُونَ مِنْ بَعْدِ الْمَوْتِ لَيَقُولَنَّ  
 الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ {665}، وقال تعالى: {وَكَايَيْنَ مِنْ  
 دَابَّةٍ لَا تَحْمِلُ رِزْقَهَا اللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ وَلَئِنْ  
 سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولَنَّ  
 اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ إِنْ  
 اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ  
 الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولَنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا  
 يَعْقِلُونَ {666}. وعلينا أن نشكر هذه النعم التي جعلها لنا رب العزة  
 سهلة ميسورة ولا نكفر بأنعمه تعالى في علاه وإلا سيلحق بنا ما لحق  
 بالأمم السابقة التي عنت عن أمر ربها وكان عاقبة أمرها خسرا -  
 والعياذ بالله- قال تعالى: {وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً  
 يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعَمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِيَاسَ  
 الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْهُمْ فَكَذَّبُوهُ  
 فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ وَهُمْ ظَالِمُونَ فَكَلَّوْا مِمَّا رَزَقَهُمُ اللَّهُ حَالًا لَاطِبًا  
 وَاشْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالِدَّمَ

664 الصافات، 4-13.

665 هود، 7، 6.

666 العنكبوت 60-63.

وَلَحْمَ الْخَنزِيرِ وَمَا أُهْلِيَ لغيرِ اللَّهِ بِهِ فَمَنْ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ اللَّهَ  
عَفُورٌ رَحِيمٌ وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلَالٌ وَهَذَا  
حَرَامٌ لَتَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا  
يُفْلِحُونَ {667}.

. إحياءه الأرض بالتعمير: قال تعالى: { وَإِذِ اسْتَسْقَى مُوسَى  
لِقَوْمِهِ فُقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ  
عَلِمَ كُلُّ أَنَاسٍ مَشْرِبَهُمْ كُلُّوا وَاشْرَبُوا مِنْ رِزْقِ اللَّهِ وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ  
مُفْسِدِينَ {668}، وقال تعالى: { يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ  
حَلَالًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ إِنَّمَا يَأْمُرُكُمْ  
بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ {669}، وعلينا  
أن ننظر في الأمم السابقة ولتكن فيهم للخلفاء موعظة حسنة وإلا  
فإنه مصيبهم ما أصاب الذين عتوا عن أمر ربهم، قال تعالى:  
{ يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ أَوَلَمْ  
يَتَفَكَّرُوا فِي أَنفُسِهِمْ مَا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا  
بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ لَكَافِرُونَ أَوَلَمْ  
يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا أَشَدَّ  
مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا الْأَرْضَ وَعَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ  
بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ثُمَّ كَانَ  
عَاقِبَةُ الَّذِينَ أَسَاءُوا السُّوْأَى أَنْ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَكَانُوا بِهَا يَسْتَهْزِئُونَ  
اللَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ {670}، وقال تعالى: { لَقَدْ  
كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكِنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُّوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ

<sup>667</sup> النحل 112-116.

<sup>668</sup> البقرة، 60.

<sup>669</sup> البقرة، 169.

<sup>670</sup> الروم، 7-11.



وَأَشْكُرُوا لَهُ بَلَدَهُ طَيِّبَةً وَرَبِّ غُفُورٍ فَأَعْرِضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ  
وَبَدَّلْنَاهُمْ بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتِي أُكُلٍ حَمْطٍ وَأَثَلٍ وَشَيْءٍ مِنْ سِدْرٍ قَلِيلٍ  
ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكَفُورَ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ  
الْفُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا فُرىً ظَاهِرَةً وَقَدَرْنَا فِيهَا السَّيْرَ سِيرُوا فِيهَا لِيَالِي  
وَأَيَّامًا آمِنِينَ فَقَالُوا رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَجَعَلْنَاهُمْ  
أَحَادِيثَ وَمَزَّقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ  
وَلَقَدْ صَدَقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَمَا كَانَ  
لَهُ عَلَيْهِمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يُؤْمِنُ بِالْآخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنْهَا فِي  
شَكٍّ وَرَبِّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ  
لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِنْ  
شَرِكٍ وَمَا لَهُ مِنْهُمْ مِنْ ظَهِيرٍ {671}.

. إجابته للدعاء: قال تعالى: {أَمْ مَنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ  
وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ أُوْلَئِكَ مَعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَا  
تَذَكَّرُونَ} {672}، وقال تعالى: {وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ  
الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ} {673}، وقال  
تعالى: {وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا  
دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ} {674}. ومن  
المستخلفين من عمل مخلصا حتى بلغ في حياته مراتب الخلافة التي  
منها الآتي:

671 سبأ 15-22.

672 النمل 62.

673 غافر 60.

674 البقرة، 186.

1. داعي الله: قال تعالى: { يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ يَغْفِرَ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ وَمَنْ لَا يُجِبِ دَاعِيَ اللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءُ أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ أَوْ لَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَغَيِّ بِخَلْقِهِنَّ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُغَيِّبَ الْمَوْتَى بَلَى إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَلَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ قَالُوا بَلَى وَرَبَّنَا قَالَ فَذُقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ بَلَاغٌ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا الْقَوْمُ الْفَاسِقُونَ } 675.

2. داعي الحق: وذلك بالدعوة إلى الحق وما يصلح به المجتمع وليكونوا صالحين، وأهلاً للخلافة والتي لا تكون إلا بدواعي الصلاح والفلاح في الدنيا والآخرة، هذا ما يجب أن يستجيب له كل من مستخلف على أرضه، قال تعالى: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ } 676.

3. إحياءه للموتى: قال تعالى: { قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ إِنَّ الْبَقَرَ تَشَابَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّا إِن شَاءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا ذَلُولَ تُثِيرُ الْأَرْضَ وَلَا تَسْقِي الْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لَا شِيَةَ فِيهَا قَالُوا الْأَن جِئْتَ بِالْحَقِّ فَذَبْحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَلِكَ يُحْيِي اللَّهُ

675 الأحقاف، 31-35.

676 الأنفال 25، 24.

الْمَوْتَى وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ {677، وقال تعالى: {وَإِذْ قَالَ  
 إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أَوْمِمْ تُؤْمِنُ قَالَ بَلَىٰ وَلَكِنَّ  
 لِيَظْمِنَنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَىٰ  
 كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ  
 حَكِيمٌ {678، وقال تعالى: {ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ يُحْيِي  
 الْمَوْتَى وَأَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ  
 اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا  
 هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّبِينٍ تَأْتِي عِطْفِهِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ لَهُ فِي الدُّنْيَا  
 خِزْيٌ وَنَذِيقُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَذَابَ الْحَرِيقِ ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتَ يَدَاكَ وَأَنَّ اللَّهَ  
 لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ  
 خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انْقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا  
 وَالْآخِرَةَ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ يَدْعُو مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْصُرُهُ وَمَا  
 لَا يَنْفَعُهُ ذَلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ يَدْعُو لَمَنْ ضَرُّهُ أَقْرَبُ مِنْ نَفْعِهِ  
 لَيْسَ الْمَوْلَىٰ وَلَيْسَ الْعَشِيرُ إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا  
 الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ مَنْ  
 كَانَ يَظُنُّ أَن لَّن يَنْصُرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى  
 السَّمَاءِ ثُمَّ لِيَقْطَعْ فَلْيَنْظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُ مَا يَغِيظُ {679، وقال  
 تعالى: {يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَيُحْيِي الْأَرْضَ  
 بَعْدَ مَوْتِهَا وَكَذَلِكَ نُخْرِجُونَ وَمِنَ آيَاتِهِ أَن خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ  
 بَشَرٌ تَنْتَشِرُونَ {680.

677 البقرة، 70-73.

678 البقرة، 260.

679 الحج 6-15.

680 الروم، 19، 20.

وللخليفة من بعد تلك الآيات والمكارم العظام التي أظهرها الله على عباده الصالحين ينبغي أن يقدم على إحياء كل ما من شأنه أن يترك أثرا طيبا يرضاه الحي جلّ جلاله وذلك من خلال الآتي:

1 . إحياء القلوب: وذلك بدعوة المستخلفين للإيمان بالله والعمل بما يرضيه، والابتعاد عن نواهيه، قال تعالى: ﴿وَدَّرُوا ظَاهِرَ الْإِثْمِ وَبَاطِنَهُ إِنَّ الَّذِينَ يَكْسِبُونَ الْإِثْمَ سَيُجْزَوْنَ بِمَا كَانُوا يَفْتَرُونَ وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰ أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ أَوْ مِنْ كَانَ مِثْلًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَابِرَ مُجْرِمِيهَا لِيَمْكُرُوا فِيهَا وَمَا يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنْفُسِهِمْ وَمَا يَشْعُرُونَ وَإِذَا جَاءَهُمْ آيَةٌ قَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ حَتَّىٰ نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَا أُوتِيَ رُسُلُ اللَّهِ اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ سَيُصِيبُ الَّذِينَ أَجْرَمُوا صَغَارٌ عِنْدَ اللَّهِ وَعَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا كَانُوا يَمْكُرُونَ} 681.

2 . إحياء الدين: ويكون ذلك بالدعوة إلى الحق والرد على الباطل ممثلا لأمر الله تعالى: ﴿وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا وَنُنزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا} 682.

3 . شفائه للمرضى: بالعلم يتمكن الخليفة من معرفة ما يؤدي إلى الشفاء وما يؤدي إلى العلة والمرض، وبالعلم يتمكن الإنسان من التوكل على العليم الحكيم فيزيده علما وحكمة، ومن يؤدي ذلك يؤدي خيرا كثيرا، قال تعالى: ﴿وَالَّذِي هُوَ يُطْعَمُنِي وَيَسْقِينِي وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ

681 الأنعام، 120-124.

682 الإسراء، 81، 82.

يَشْفِينِ وَالَّذِي يُمَيِّنِي ثُمَّ يُحْيِينِ وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ  
الدِّينِ رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَالْحَقِّي بِالصَّالِحِينَ {683، وقال تعالى:  
{وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا وَنُنزِلُ مِنَ الْقُرْآنِ  
مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا}{684.

4 . إحياءه للبذرة: قال تعالى: {إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى يُخْرِجُ  
الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ ذَلِكُمْ اللَّهُ فَالِقُ  
تُؤْفِكُونَ}{685. ويكون الخليفة حيا بغرسه للبذرة الصالحة في  
مجتمعه، وتوفير الجو الملائم، التربة الخصبة لها لتحيي حياة سليمة  
طاهرة، وبذلك تنتج الذرية الطيبة التي تعمر الأرض بالصلاح والخير  
والبركة، وبالتالي تعود على الخليفة الحياة التي تبقى في ذاكرة التاريخ،  
ليعلم مستخلفيه أن من يغرس البذرة الصالحة يكون له نصيب من  
أجرها والعكس بالعكس، قال تعالى: {مَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً حَسَنَةً يَكُنْ  
لَهُ نَصِيبٌ مِنْهَا وَمَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً سَيِّئَةً يَكُنْ لَهُ كِفْلٌ مِنْهَا وَكَانَ اللَّهُ  
عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُّقِيمًا وَإِذَا حُيِّتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا  
إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا}{686.

5 . خلقه لليل والنهار: {فَالِقُ الإِصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا  
وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا ذَلِكَ تَفْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ}{687. وقال  
تعالى: {تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا وَقَمَرًا

---

683 الشعراء 79-83.

684 الإسراء، 81، 82.

685 الأنعام، 95.

686 النساء، 85، 86.

687 الأنعام، 96.

مُنِيرًا وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ  
شُكُورًا {688}.

6 . خلقه النجوم: { وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا  
فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ } {689}. وقال  
تعالى: { وَعَلَامَاتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ } {690}.

7 . خلقه للنفس البشرية: قال تعالى: { وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ مِنْ  
نَفْسٍ وَاحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ  
يَفْقَهُونَ } {691}، وقال تعالى: { يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِنَ  
الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ  
مُخَلَّقَةٍ وَعَجَبٍ مُخَلَّقَةٍ لِنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى  
ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّى وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ  
إِلَى أَرْدَلِ الْعُمَرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً  
فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَّتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ رَوْحٍ  
بِهَيْجٍ } {692}. ويجب في الخليفة الحي بالإضافة أن يخلق النفس البشرية  
التي تأمر بالخير وتحث عليه دونما كَلَلٍ، أو مَنَّةٍ، وذلك بالعمل على  
دعوها للحياة السليمة والصحيحة الراجحة في الدارين، قال تعالى: { يَا  
أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَعَلَّمُوا  
أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ } {693}.

---

688 الفرقان، 62، 61.

689 الأنعام، 97.

690 النحل 16.

691 الأنعام، 98.

692 الحج 5.

693 الأنفال 24.

8 . خلقه لأصناف النبات: { وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُتَرَاكِبًا وَمِنَ النَّخْلِ مِنْ طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّاتٍ مِنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ انظُرُوا إِلَى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ إِنَّ فِي ذَلِكُمْ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ } 694 . ويكون الخليفة حيا باختيار الأصناف الصالحة من الأشجار والبدور ولتعطي ما يكفي لحاجة المستخلفين من الثمار والغلل، والبدور الصالحة لتسد حاجة البشرية من الغذاء والكساء.

9 . إبداعه للسموات والأرض: قال تعالى: { بَدِيعَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا اللَّهُ أَوْ تَأْتِينَا آيَةٌ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِثْلَ قَوْلِهِمْ تَشَابَهتْ قُلُوبُهُمْ قَدْ بَيَّنَّا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يُؤْفَنُونَ } 695 ، وقال تعالى: { بَدِيعَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ } 696 .

10 . خلقه للعقل: قال تعالى: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَوَلَّوْا عَنَّهُ وَاتَّبَعْتُمْ تَسْمَعُونَ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ } 697 . وقال

694 الأنعام، 99 .

695 البقرة، 117 ، 118 .

696 الأنعام، 101 .

697 الأنفال 20-25 .

تعالى: {أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ} 698.

والخليفة الحي الذي يحيي العقول بالمعرفة والدراية والفكر الذي يحيي العالم وينهض به ويخرجه من الظلمات إلى النور، هذا الذي ينال به رضا الله جلّ جلاله في الدنيا والآخرة عندما يكون العلم موظفا للإصلاح والعمار والفلاح لا للفساد والخراب والدمار.

11 . بسطه للعلم: قال تعالى: {أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ} 699، وقال تعالى: {وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا قَالُوا أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِنَ الْمَالِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ} 700، وقال تعالى: {هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ رَبَّنَا لَا تُلْغِ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ} 701.

698 الحج 46.

699 البقرة، 120.

700 البقرة، 247.

701 آل عمران، 7، 8.



12 . تنويحه لأصناف الكائنات الحية: قال تعالى: {وَفِي الْأَرْضِ قِطْعٌ مُتَجَاوِرَاتٌ وَجَنَّاتٌ مِنْ أَعْنَابٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنَوَانٌ وَعَيْرٌ صِنَوَانٍ يُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفِضِلُ بَعْضَهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الْأُكْلِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ} 702، وقال تعالى: {حَتَّىٰ إِذَا أَتَوْا عَلَىٰ وَادِ النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِنْ قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهُدْهَدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ لَأُعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطْتُ بِمَا لَمْ مَحُطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَبَأٍ يَقِينٍ} 703، وقال تعالى: {وَمَا ذَرَأَا لَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حَبْلَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاحِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ} 704.

13 . خلقه للشمس والقمر: قال تعالى: {اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمًّى يُدَبِّرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ} 705. وقال تعالى: {وَسَخَّرَ لَكُمْ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ} 706.

702 الرعد 4.

703 النمل 18 . 22.

704 النحل 13، 14.

705 الرعد 2.

706 النمل 12.

14 . خلقه للأرض والجبال: قال تعالى: { وَهُوَ الَّذِي مَدَّ  
 الْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْهَارًا وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ  
 اثْنَيْنِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ } 707،  
 وقال تعالى: { وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً  
 قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ  
 وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ } 708، وقال تعالى:  
 { وَادْكُرُوا إِذْ جَعَلْنَا خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأْنَاكُمْ فِي الْأَرْضِ فَتَتَّخِذُونَ  
 مِنْ سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ الْجِبَالَ بُيُوتًا فَاذْكُرُوا آلَاءَ اللَّهِ وَلَا تَعْتُوا فِي  
 الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ } 709، وقال تعالى: { وَيَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبَالَ وَتَرَى  
 الْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُعَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا } 710.

15 . تذليله الحيوان لخدمة الإنسان: قال تعالى: { وَالْأَنْعَامَ  
 خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ  
 تُرْيَحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا بَالِغِيهِ إِلَّا  
 بِشِقِّ الْأَنْفُسِ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرءُوفٌ رَّحِيمٌ وَالْحَيْلُ وَالْبَعَالُ وَالْحَمِيرَ لَتَرَكَّبُوهَا  
 وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ وَعَلَى اللَّهِ فَصْدُ السَّبِيلِ وَمِنْهَا جَائِرٌ وَلَوْ  
 شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ } 711، وقال تعالى: { وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِي الْأَرْضِ  
 مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ } 712.

16 . إنزاله للمطر: قال تعالى: { هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ  
 مَاءً لَكُمْ مِنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ }، وقال تعالى: { يُنْبِتُ

707 الرعد 3.

708 البقرة، 30.

709 الأعراف 74.

710 الكهف 47.

711 النحل 9.

712 النحل 13.

لَكُمْ بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ {713}.

17 . تسخيره للبحر وما جعل فيه من منافع: قال تعالى: {وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاجِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلِعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ} {714}، وقال تعالى: {وَمِنْ آيَاتِهِ الْجَوَارِ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ إِنَّ يَشَأْ يُسْكِنِ الرِّيحَ فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ عَلَى ظَهْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ أَوْ يُوبِقُهُنَّ بِمَا كَسَبُوا وَيَعْفُ عَنْ كَثِيرٍ} {715}.

18 . تنبيته للأرض: قال تعالى: {وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَأَهْوَارًا وَسُبُلًا لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ} {716}، وقال تعالى: {الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ} {717}، وقال تعالى: {وَإِذِ اسْتَسْقَى مُوسَى لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرِبَهُمْ كَلُوا وَاشْرَبُوا مِنْ رِزْقِ اللَّهِ وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ وَإِذْ قُلْنَا يَا مُوسَى لَنْ نَصْبِرَ عَلَى طَعَامٍ وَاحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ مِنْ بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِيهَا وَبَصِلِهَا} {718}.

---

713 النحل 11.

714 النحل 14.

715 الشورى 32 . 34.

716 النحل 15.

717 البقرة، 22.

718 البقرة، 60، 61.

19 . إيجاده للخلق: قال تعالى: { أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ } 719، وقال تعالى: { وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَإِنَّ السَّاعَةَ لَأَتِيَةٌ فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ } 720، وقال تعالى: { هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ } 721، وقال تعالى: { وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَكْهَارًا وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ وَفِي الْأَرْضِ قِطْعٌ مِّنْجَاوِرَاتٍ وَجَنَاتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ وَزُرْعٌ وَنَخِيلٌ وَصِنَوَانٌ وَعَيْرٌ صِنَوَانٍ يُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفِضَلٌ بَعْضُهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الْأُكُلِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ وَإِنْ تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ أَإِذَا كُنَّا تُرَابًا أَئِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ } 722.

20 . ابتلاؤه للمؤمنين: قال تعالى: { لَتُبْلَوُنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ } 723. ما أجمل الصبر عندما يكون طاعة لأمر الحي الدائم، وما أجمل الحياة بين الصابرين في طاعة الحي الدائم.

719 النحل 17، 18.

720 الحجر 85، 86.

721 البقرة، 29.

722 الرعد 3، 5.

723 آل عمران، 186.

اللهم يا حي يا دائم لا تُحْمِلْنَا ما طاقة لنا به وأعفو عنا وأغفر  
لنا وارحمنا أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين وعلى الكاذبين  
والمنافقين أنت مولانا بك أمانا وعليك توكلنا وأولينا أمرنا وأسرننا إليك  
فنعم المولى ونعم النصير.

الابتلاء امتحان من الله فالمؤمن يتعرض لمواقف إن نجح في  
مواجهتها بما يرضي الله فقد فاز، وإن فشل في الفرصة الأولى تعطى له  
فرص أخرى وكلما نجح بتغلبه على الصعاب كلما كان جزاؤه أعظم  
ومكانته عند الله أرفع.

21 . بعثه للحياة ببعثه الرُّسل: ما قبل الرُّسل كانت الأمم  
تعيش عصور الجهالة المظلمة، حياتها غم على غم، ضالة السبيل لا  
تعلم بما يجب لتتبعه ولا تعلم بما لا يجب فتجتنبه، إلى أن بعث الله  
فيهم الرُّسل والأنبياء مبشرين ومنذرين ومحرضين على أفعال الخيرات  
يرشدون على الحقّ ويسلكون سلوك القدوة الحسنة، فكانت سننهم  
متماثلة مع كلّ عمل يرضي الحي الدائم. قال تعالى: {وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ  
رَسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ  
فَاسْتَعْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَعْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولَ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا فَلَا وَرَبِّكَ  
لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيما شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ  
حَرَجًا مَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا} 724، قال تعالى: {وَلَقَدْ آتَيْنَا  
مُوسَى الْكِتَابَ وَقَفَّيْنَا مِنْ بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ  
الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى  
أَنْفُسُكُمْ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ} 725، وقال تعالى:  
{وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ

724 النساء، 65، 64.

725 البقرة، 87.

انْقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَىٰ عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَصُرَ اللَّهُ شَيْئًا  
 وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَابًا  
 مُّوَجَّلاً وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الْآخِرَةِ نُؤْتِهِ  
 مِنْهَا وَسَنَجْزِي الشَّاكِرِينَ وَكَأَيِّنْ مِنْ نَبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُونَ كَثِيرٌ فَمَا  
 وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ  
 الصَّابِرِينَ وَمَا كَانَ قَوْلُهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي  
 أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ فَأَتَاهُمُ اللَّهُ ثَوَابَ  
 الدُّنْيَا وَحَسَنَ ثَوَابِ الْآخِرَةِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ {726}.

22. خلقه لليل والنهار: قال تعالى: {إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ  
 السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُعْشِي اللَّيْلَ  
 النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلَا لَهُ  
 الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا  
 يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا  
 وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَةَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ {727}، وقال تعالى: {اللَّهُ  
 الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ وَسَخَّرَ  
 الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى يُدَبِّرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ  
 لَعَلَّكُمْ بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ  
 وَأَنْهَارًا وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ يُعْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ  
 إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ وَفِي الْأَرْضِ قِطْعٌ مُّتَجَاوِرَاتٌ  
 وَجَنَاطٌ مِنْ أَعْنَابٍ وَزُرْعٌ وَنَخِيلٌ وَصِنَوَانٌ غَيْرُ صِنَوَانٍ يُسْقَىٰ بِمَاءٍ وَاحِدٍ  
 وَنُقْضِلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِي الْأُكُلِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ  
 يَعْقِلُونَ}، الليل نعمة من نعم الحي الخالق فيه تستقر الأنفس وتنام

<sup>726</sup> آل عمران، 144-148.

<sup>727</sup> الأعراف، 54-56.

لتريح بالها من متاعب النهار وأعبائه، ولتستريح بدنيا بغرض تجديد نشاطها وواجباتها التي تنظرها في النهار القادم بعد كل ليل، فسبحانه جعل النعم متنوعة ومتعددة فمنها ما يمسك باليد ويحمل بها ومنها ما يشرب ليروي الظامى، ومنها ما يؤكل ليسد رمقا ويشبع حاجة جائع، ومنها ما هو سكينه للراحة البدنية والنفسية معا ولهذا كان النوم رحمة للكائنات الحية وهكذا كان النهار رحمة. قال تعالى: {وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ اللَّيْلَ لِيَأْسَا وَالنَّوْمَ سُبَاتًا وَجَعَلَ النَّهَارَ نُشُورًا} 728، قال تعالى: {وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاءِ الْآخِرَةِ فَأُولَئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ فَسُبْحَانَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ} 729. وللخليفة أن يمضي ليله ونهاره في خدمة المستخلفين على أرضه، وألا يضعه في غير مصلحتهم، وذلك بتوجيههم في النهار والدعاء لهم بالصلاح في جوف الليل، قال تعالى: {قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ} 730.

23 . خلقه للزمن: قال تعالى: {إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ كَانَ مِيقَاتًا يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا} 731، وقال تعالى: {فَإِذَا قُضِيَتْهُمُ الصَّلَاةُ فَاذْكُرُوا اللَّهَ قِيَامًا وَقُوعًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ فَإِذَا اطْمَأْنَنْتُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْفُوتًا} 732، قال تعالى: {قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لأُعَوِّبَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمْ

728 الفرقان، 48.

729 الروم، 16، 17.

730 يوسف 108.

731 النبأ 17، 18.

732 النساء، 103.

المُخْلِصِينَ {733، وقال تعالى: {يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهْلِ قُلْ هِيَ  
مَوَاقِيْتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ  
الْبِرَّ مَنْ اتَّقَى وَأَتَى الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ  
تُفْلِحُونَ}734.

خلقه للزمان وخلق له الليل والنهار وخلق له الحركة والسكون كلها  
خلق إعجازي، وإلا هل هناك من يخلق الزمان؟

. وهل هناك من يخلق الحركة لو لم تكن الحياة في أساسها على  
حالة حركة؟

. وهل هناك من يخلق الشمس أو القمر أو أن يكون له نور لو  
لم يكن النور من خلقه تعالى؟

. أم هل هناك من يخلق النوم الطبيعي الذي خلقه الله راحة  
للعقل والبدن والنفس؟

. أم هل هناك من يخلق الصحوة الفطرية التي بها يفتن الكائن  
من نومه ليكون متحركا في النهار؟

. أم هل هناك من يخلق منظومة بيولوجية ذات مواقيت ثابتة في  
جسم وعقل ونبس الكائن الحي؟

. أم هل هناك من يخلق الحياة بعد الممات كما يخلق الحي  
الدائم؟

. أم هل هناك من يخلق الروح وغيره لا يعلم أمرها بالمطلق؟

---

733 ص 79-83.

734 البقرة، 189.



وعليه الخليفة يؤمن بالمطلق إن هذا الأمر بيد الحي الباقي الذي يُزِيل كلَّ شيء متى شاء وكيف يشاء وهو الباقي الذي لا يزول، ومع ذلك فهو يفكر في كلِّ أمر حتى يدرك كنهه، ويتذكر ما استطاع أن يتذكر حتى يعرف ويتعظ أو يكتشف ويضيف الجديد. ويعلم أن علمه بالحي باقي، وعلمه بغيره زائل. ولذا فهو المتوكل في أمره على الحي الدائم فيبحث ويتقصى ويتعرف من أجل أن يضيف الجديد النافع للحياة الإنسانية وذلك من خلال ما يهدف إليه من عمار للأرض وإصلاحها فيها طاعة لأمر الله مصداقا لقوله تعالى: {مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا وَلَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولُنَا بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ بَعَدَ ذَلِكَ فِي الْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلَافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ جِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَقْدِرُوا عَلَيْهِمْ فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ} 735، وقال تعالى: {وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِنْ لَا يَشْعُرُونَ} 736، وقال تعالى: {وَاصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ فَلَوْلَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِنْ قَبْلِكُمْ أُولُو بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّنْ أَنْجَيْنَا مِنْهُمْ وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أُتْرِفُوا فِيهِ وَكَانُوا مُجْرِمِينَ وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلِهَا مُصْلِحُونَ} 737.

<sup>735</sup> المائدة، 32 . 34.

<sup>736</sup> البقرة، 11، 12.

<sup>737</sup> هود 115 . 117.

24 . عقابه للكافرين آيات في الحياة الدنيا والآخرة: قال تعالى: { فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى وَلِيُبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَاءً حَسَنًا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ذَلِكَمَنْ وَأَنَّ اللَّهَ مُوهِنٌ كَيْدِ الْكَافِرِينَ إِنْ تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ جَاءَكُمْ الْفَتْحُ وَإِنْ تَنْتَهُوا فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَإِنْ تَعُودُوا نَعُدْ وَلَنْ تُغْنِي عَنْكُمْ فِتْنَتُكُمْ شَيْئًا وَلَوْ كَثُرَتْ وَأَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَوَلَّوْا عَنهُ وَأَنْتُمْ تَسْمَعُونَ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ إِنْ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ } 738 قال تعالى: { إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جَاءَهُمْ وَإِنَّ لَهُمْ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ مَا يَقُولُ لَكَ إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرَّسُولِ مِنْ قَبْلِكَ إِنَّ رَبَّكَ لَدُوٌّ مَغْفِرَةٌ وَدُوٌّ عِقَابٍ أَلِيمٌ وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا أَعْجَمِيًّا لَقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ أَأَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى أُولَئِكَ يُنَادَوْنَ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَاحْتَلَفَ فِيهِ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَفُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مُرِيبٍ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ } 739، وقال تعالى: { مَا يُجَادِلُ فِي آيَاتِ اللَّهِ إِلَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَا يَغْرُزُكَ تَقَلُّبُهُمْ فِي الْبِلَادِ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَالْأَحْزَابُ مِنْ بَعْدِهِمْ وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ وَجَادَلُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ فَأَخَذْتُهُمْ

738 الأنفال 17 . 25.

739 فصلت، 41-44.

فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ وَكَذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ أَصْحَابُ النَّارِ الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ {740}.

25 . خلقه للتعرف: قال تعالى: { يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ } {741}. المعرفة هي أساس الحياة، والعلائق بين البشر هي المعرفة الحق، ولأجل المعرفة كان التكاثر والخلق الزوجي مصداقا لقوله تعالى: { وَأَنَّهُ خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ مِنْ نُطْفَةٍ إِذَا تُمْنَىٰ وَأَنَّ عَلَيْهِ النَّشَأَةَ الْأُخْرَىٰ وَأَنَّهُ هُوَ أَعْنَىٰ وَأَقْنَىٰ وَأَنَّهُ هُوَ رَبُّ السَّمْعَىٰ وَأَنَّهُ أَهْلَكَ عَادًا الْأُولَىٰ وَثَمُودَ فَمَا أَبْقَىٰ وَقَوْمَ نُوحٍ مِنْ قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا هُمْ أَظْلَمَ وَأَطْعَىٰ وَالْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَىٰ فَغَشَّاهَا مَا غَشَّىٰ فَإِيبِيَ آلَاءِ رَبِّكَ تَتَمَارَىٰ } {742}، وقال تعالى: { وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّىٰ فَمَا مِنْ أَعْطَىٰ وَآتَىٰ وَصَدَقَ بِالْحُسْنَىٰ فَسَنِيسِرُّهُ لِلْيُسْرَىٰ وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ فَسَنِيسِرُّهُ لِلْعُسْرَىٰ وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّىٰ إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَىٰ وَإِنَّ لَنَا لَلْآخِرَةَ وَالْأُولَىٰ فَأَنذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّىٰ } {743}.

26 . خلقه للألفة بين القلوب: قال تعالى: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ

740 غافر 4-7.

741 الحجرات، 13.

742 النجم 45 . 55.

743 الليل 1 . 14.

قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ وَلِتُكِنَّ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ {744}. وقال تعالى: {وَإِنْ يُرِيدُوا أَنْ يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ اللَّهُ هُوَ الَّذِي آتَاكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ} {745}. وعليه من واجبات الخليفة أن يعمل على التآلف بين الناس دون التخالف وأن يعمل على إصلاح ذات البين، وأن يسعى دائما لتقريب القلوب دون إبعادها فإنه كلما سعى الخليفة في الصلاح والإصلاح وبنية حسنة وصادقة، كان له الأجر والثواب، ويكون موفقا بإذنه تعالى، وقد جاء ذلك صريحا وواضحا في قوله تعالى: {وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَأَبْعَثُوا حَكَمًا مِنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِنْ أَهْلِهَا إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَلًا فَخُورًا} {746}.

الألفة والمحبة دائما هي نتاج توادد وتراحم بين الناس، ومن طبيعة الحياة الإصلاح في الأرض والفلاح فيها وهذا لا يتم إلا بتعاون وتوافق وتكيف على جميع المستويات الاجتماعية من المستوى الفردي

<sup>744</sup> آل عمران، 102-105.

<sup>745</sup> الأنفال 62-64.

<sup>746</sup> النساء، 35، 36.

إلى المستوى الجماعي ثم إلى المستوى المجتمعي، ولهذا دائما الأعمال الخيرة لا يؤدّيها أو يفعلها ويقوم بها إلا حي مدرك لما يجب ويقدم عليه ويدرك ما لا يجب ويتعد عنه ويحرض الآخرين على تجنّبه، وذلك حتى لا يعم الفساد الذي يفرق بين المرء وزوجه وبين الأخ وأخيه. وعليه فإن التعاون والتآلف والتوافق يقوي العلاقات ويجعل الألفة بين الناس فيتمكنوا من العمل الصالح ويتمكنوا من إحقاق الحق وإزهاق الباطل كلما استوجب ذلك ودعت الضرورة، وما أجمل أن تكون الألفة بين الزوجين وبين أفراد الأسرة والجيران أقارب وأبعد وبين المواطنين على مستوى البلاد.

27. خلقه للمعرفة: أوسع أبواب المعرفة المستخدمة من الخليفة هي أبواب معرفة الله الحي الدائم، ثم معرفة ما أمر به وما نهي عنه، ثم معرفة حاله وما يجري من حوله، ومعرفة الأسباب التي تمكنه من معرفة المستقبل الذي يخطط له ويأمله لنفسه أو لبنيه أو من تربّطه به علاقة. قال تعالى: {فَيَوْمَئِذٍ لَا يُسْأَلُ عَنْ ذَنْبِهِ إِنْسٌ وَلَا جَانٌّ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ يُعْرِفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِيمَاهُمْ فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَاصِي وَالْأَقْدَامِ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي يُكَذِّبُ بِهَا الْمُجْرِمُونَ يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ آنٍ} 747، وقال تعالى: {وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَفَهَا هُمْ} 748، وقال تعالى: {لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَأَنْفُسِكُمْ وَمَا تُنْفِقُونَ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا

747 الرحمن، 39-44.

748 محمد 6.

وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ  
وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ  
يَحْزَنُونَ {749}. وقال تعالى: {وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَاكُمْ فَلَعَرَفْتَهُمْ بِسِيمَاهُمْ  
وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَالَكُمْ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ  
الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ} {750}.

28 . خلقه للهداية: قال تعالى: {سَيَهْدِيهِمْ وَيُصَلِّحُ  
بَالَهُمْ} {751}، وقال تعالى: {لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ  
يَشَاءُ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَأَنفُسِكُمْ وَمَا تُنْفِقُونَ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ  
وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُؤَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ} {752}، وقال  
تعالى: {سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّاهُمْ عَن قِبَلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا  
عَلَيْهَا قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ  
وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ  
الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ  
يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَى عَقْبَيْهِ وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ  
هَدَى اللَّهُ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضَيِّعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرُؤُوفٌ  
رَحِيمٌ} {753}، وقال تعالى: {يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لَا تَمُنُّوا عَلَيَّ  
إِسْلَامَكُمْ بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِنْ كُنْتُمْ  
صَادِقِينَ} {754}.

<sup>749</sup> البقرة، 272-274.

<sup>750</sup> محمد 30، 31.

<sup>751</sup> محمد 5.

<sup>752</sup> البقرة، 272.

<sup>753</sup> البقرة، 143.

<sup>754</sup> الفتح 17.

29 . خلقه للنصرة: قال تعالى: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ وَالَّذِينَ كَفَرُوا فَتَعَسَا لَهُمْ وَأَصْلٌ أَعْمَاهُمْ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَاهُمْ } 755، وقال تعالى: { إِنَّ يَنْصُرْكُمْ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِنْ يَخْذُلْكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرْكُمْ مِنْ بَعْدِهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ } 756. والخليفة الحي بالإضافة لابن لا بد وأن يكون ناصرا للمظلومين آخذا لحقوقهم وعارفا بواجباتهم فيوجههم التوجيه الصحيح السليم ليفوزوا بالدارين، وتكون لهم العزة والنصرة في الدنيا والآخرة، وقد صدق قول الله جلّ جلاله في قوله: { يَقُولُونَ لِمَنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لِيُخْرِجَنَا الْأَعْرُ مِنْهَا الْأَذَلَّ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ وَأَنْفِقُوا مِنْ مَا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ وَلَنْ يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ } 757.

30 . خلقه للبحث: البحث تقصي لأجل المعرفة الحق، ولهذا فإن الحي بالإضافة يسعى دائما لمعرفة الحقيقة، ومعرفة لها يحافظ على صفته حيا ولذا فهو يسعى لمعرفة الحياة في بعدها الزماني والمكاني والحركي والسكوني، وذلك من خلال أبعادها في كل ما خلق الخالق سبحانه. قال تعالى: { أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ دَمَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلِلْكَافِرِينَ أَمْثَالُهَا } 758، وقال تعالى: { قُلْ انظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا تُعْجِبُ الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَنْ

755 محمد 7،8.

756 آل عمران، 160.

757 المنافقون 8-11.

758 محمد 10.

قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ {759، وقال تعالى: {أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ} 760.

31 . خلقه للموعظة: كلّ مخلوق حُلق لغاية منها ما نعلمه ومنها ما لم نكن عالمين به، وهذه بطبيعة الحال حيث لا كمال إلا لله تعالى، أما ما دونه فغير كامل، ولهذا كان للاستغفار دلالة ومعنى وكان للاعتذار دلالة ومعنى، ولهذا أيضا كان للقصص دلالة ومعنى، وكان للتذكر دلالة ومعنى وكان للتفكير دلالة ومعنى، ومن كل ذلك يمكن لبني الإنسان أن يعتبروا مصداقا لقوله تعالى: {هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ مَا ظَنَنْتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنَّهُمْ مَانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللَّهِ فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِيَ الْأَبْصَارِ وَلَوْ لَا أَنْ كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْجَلَآءَ لَعَذَّبَهُمْ فِي الدُّنْيَا وَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابُ النَّارِ} 761، وقال تعالى: {وَكَلَّا نَقْصُ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقِّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ وَقُلْ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ أَعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَاتِبِكُمْ إِنَّا عَامِلُونَ} 762، وقال تعالى: {وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُسْقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهَا وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ وَعَلَيْهَا وَعَلَى الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ} 763.

759 يونس، 101.

760 الغاشية 17 . 20.

761 الحشر 2، 3.

762 هود 120، 121.

763 المؤمنون، 21، 22.



32 . خلقه للظل: والظل سترة تقي من الرمضاء، والظل يأتي بمعنى الحجاب الساتر في مدلوله المباشر عندما يحمي من إشاعة الشمس الحارقة، ومدلوله غير المباشر وهو الإحاطة والحفظ في معانية المتعلقة بالموضوع قيد البحث أو الحديث أو الدراسة. قال تعالى: {أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا ثُمَّ قَبَضْنَاهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا} {764}، وقال تعالى: {وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ جُلُودِ الْأَنْعَامِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ وَمِنْ أَصْوَابِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا أَثَاثًا وَمَتَاعًا إِلَىٰ حِينٍ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِمَّا خَلَقَ ظِلَالًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْجِبَالِ أَكْنَانًا وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ الْحَرَّ وَسَرَابِيلَ تَقِيكُم بَأْسَكُمْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ الْمُبِينُ يَعْرِفُونَ نِعْمَةَ اللَّهِ ثُمَّ يُنْكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ الْكَافِرُونَ} {765}.

33 . خلقه للرياح: الريح نعمة تنقل السحب وتلقحه كما تلقح النباتات والأشجار، ولذا لو لم تكن الرياح ما كانت الحركة، ولهذا لا يمكن أن تكون الحياة بدون حركة ومتحرك، ولأنَّ للحركة أهمية فكذا كان للسكون أهمية، قال تعالى: {وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَّاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا لِنُحْيِيَ بِهِ بَلَدَةً ميِّتًا وَنُنْقِئَهُ مِمَّا خَلَقْنَا أَنْعَامًا وَأَنَاسِيَّ كَثِيرًا وَقَدْ صَرَّفْنَا فِي بَيْنِهِمْ لِيُذَكَّرُوا فَأَبَىٰ أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا} {766}، وقال تعالى: {إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَّاحِ وَالسَّحَابِ

<sup>764</sup> الفرقان، 45-46.

<sup>765</sup> النحل 80-83.

<sup>766</sup> الفرقان، 48-50.

الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ  
يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّوهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ  
وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرُونَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ  
شَدِيدُ الْعَذَابِ {767}. وقال تعالى: {وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ  
إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَةَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ وَهُوَ  
الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَّاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّى إِذَا أَقَلَّتْ سَحَابًا نِثَالًا  
سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَنْزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ كَذَلِكَ  
نُخْرِجُ الْمَوْتَى لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ {768}.

34 . خلقه للبرزخ: معجزات الله كثيرة وواسعة، فهو القادر  
على الفعل كيفما يشاء ومتى يشاء وأينما يشاء، فكان البرزخ آية  
جعلت الماء المالح في ملامسة للماء العذب وهما في حالة حركة  
وجريان دون حاجز مادي يفصل بينهما إنه الله الحي الذي يرينا كل  
شيء حي لنؤمن ولا نشرك بعبادته أحدا. قال تعالى: {وَهُوَ الَّذِي  
مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا  
وَحِجْرًا مَحْجُورًا وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا  
وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا {769}، وقال تعالى: {مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ بَيْنَهُمَا  
بَرْزَخٌ لَا يَبْغِيَانِ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ يُخْرِجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤَ وَالْمَرْجَانَ  
فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ {770}، وقال تعالى: {وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ  
هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَائِغٌ شْرَابُهُ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَمِنْ كُلِّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا

<sup>767</sup> البقرة، 165، 164.

<sup>768</sup> الأعراف 56، 57.

<sup>769</sup> الفرقان، 53، 54.

<sup>770</sup> الرحمن، 19-23.

طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حَلِيَّةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ فِيهِ مَوَاحِرَ لِيَتَّبِعُوا مِنْ  
فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ {771}.

35 . خلقه للتخيير: لقد خلق الحي الإنسان في أحسن تقويم،  
ليكون مخيرا في أن يفعل أو لا يفعل ما يشاء بعد أن يعرف ويتقي الله  
ربه، قال تعالى: {وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ  
فَلْيُكْفُرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهَا مِنْ سُرَادِقُهَا وَإِنْ يَسْتَعِيثُوا  
يُعَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا إِنَّ  
الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ  
عَمَلًا {772}، وقال تعالى: {فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ آمَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيمَانُهَا  
إِلَّا قَوْمٌ يُونُسَ لَمَا آمَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ غَدَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا  
وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَىٰ حِينٍ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَأَمَنَّ مَنْ فِي الْأَرْضِ كُلَّهُمْ جَمِيعًا  
أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تُؤْمِنَ إِلَّا  
بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَجْعَلُ الرَّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ {773}، وقال تعالى:  
{وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ  
يَشَاءُ وَلَتَسْأَلَنَّ عَمَّا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ {774}، وقال تعالى: {إِنَّ هَذِهِ  
تَذَكِّرَةٌ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا {775}، وقال تعالى:  
{وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا  
رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنْتَصِرُونَ وَجِزَاءُ سَيِّئَةٍ

771 فاطر 12.

772 الكهف 29، 30.

773 يونس، 99، 100.

774 النحل 93.

775 المزمل 19.

سَيِّئَةٌ مِثْلَهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ  
الظَّالِمِينَ {776}.

36 . خلقه للتسيير: قال تعالى: { وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ  
إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا يُدْخِلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمِينَ أَعَدَّ  
لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا } {777}، وقال تعالى: { إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ  
كُفْرًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِمْ مِلءُ الْأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوْ افْتَدَى بِهِ أُولَئِكَ  
لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ } {778}، وقال تعالى: { قُلْ لِلَّذِينَ  
كَفَرُوا سَعْتًا لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ } {779}، وقال تعالى: { إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ  
كُنْ فَيَكُونُ } {780}.

37 . خلقه للغيب: المعجزات تتوالى من الحي الذي لا يموت،  
خلق الإنسان وعلمه جميع الأسرار إلا سرا واحدا لم يعلمه له ألا وهو  
علم الغيب الذي أختص به نفسه، قال تعالى: { إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ غَيْبِ  
السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ } {781}، وقال تعالى: { وَاللَّهُ  
غَيْبِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ  
وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ } {782}، وقال تعالى: { وَاللَّهُ غَيْبُ }

776 الشورى 38 . 40.

777 الإنسان 30، 31.

778 آل عمران، 91.

779 آل عمران، 12، 13.

780 النحل 40.

781 الفتح 18.

782 هود 123.

السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلَّا كَلَمَحِ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ أَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ مُسَخَّرَاتٍ فِي جَوِّ السَّمَاءِ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا اللَّهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ} 783. وعليه فالخليفة خليفة في كل ما يعلم وهو لم يكن كذلك فيما لا يعلم، ولهذا من يستمد علمه من العليم الحكيم تتسع دائرة معارفه وعلومه ومن لم يستمد ذلك منه فيكون علمه في دائرة الممكن القاصرة والمحدودة.

38 . خلقه للمشيئة: قال تعالى: {وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَهُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ يُدْخِلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمُونَ مَا لَهُمْ مِنْ وَبٍ وَلَا نَصِيرٍ أَمْ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْوَلِيُّ وَهُوَ يُحْيِي الْمَوْتَى وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ ذَلِكَمُ اللَّهُ رَبِّي عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ} 784، وقال تعالى: {وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ وَادْكُرْ رَبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَىٰ أَنْ يَهْدِيَنِّي رَبِّي لِأَقْرَبٍ مِنْ هَذَا رَشَدًا} 785، وقال تعالى: {قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لَنُخْرِجَنَّكَ يَا شُعَيْبُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِنْ قَرْيَتِنَا أَوْ لَنَعُودَنَّ فِي مِلَّتِنَا قَالَ أُولُو كُنَّا كَارِهِينَ قَدْ افْتَرَيْنَا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِي مِلَّتِكُمْ بَعْدَ إِذْ جَاءَنَا اللَّهُ مِنْهَا وَمَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَعُودَ فِيهَا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبَّنَا وَسِعَ رَبَّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ} 786، وقال تعالى: {نَحْنُ حَلَفْنَا لَهُمْ وَشَدَدْنَا أَسْرَهُمْ وَإِذَا

783 النحل 77-79.

784 الشورى 8-10.

785 الكهف 23،24.

786 الأعراف 88،89.

شِئْنَا بَدَلْنَا أُمَّتَاهُمْ تَبْدِيلًا إِنَّ هَذِهِ تَذَكِرَةٌ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا  
وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا يُدْخِلُ مَنْ  
يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا {787.

39 . خلقه للعزة: قال تعالى: {مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ  
جَمِيعًا إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ وَالَّذِينَ يَمْكُرُونَ  
السَّيِّئَاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَكْرُ أُولَئِكَ هُوَ يُبْورُ} {788، وقال  
تعالى: {قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ  
مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ  
شَيْءٍ قَدِيرٌ} {789.

40 . خلقه للعمر: قال تعالى: {وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ  
نُطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجًا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ وَمَا  
يُعَمَّرُ مِنْ مُعَمَّرٍ وَلَا يُنْقِصُ مِنْ عُمُرِهِ إِلَّا فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ  
يَسِيرٌ} {790، وقال تعالى: {قُلْ إِنْ كَانَتْ لَكُمْ الدَّارُ الْآخِرَةُ عِنْدَ اللَّهِ  
حَالِصَةً مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ وَلَنْ يَتَمَنَّوْهُ  
أَبَدًا بِمَا قَدَّمْت أَيْدِيَهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ  
عَلَىٰ حَيَاتِهِ وَمَنْ الَّذِينَ أَشْرَكُوا يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرَ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ  
بِمُخْرَجِهِ مِنَ الْعَذَابِ أَنَّ يُعَمَّرَ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ} {791.

41 . خلقه للتوبة: قال تعالى: {وَاللَّاتِي يَأْتِيَنَّ الْفَاحِشَةَ مِنْ  
نِسَائِكُمْ فَاستَشْهَدُوا عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِنْكُمْ فَإِنْ شَهِدُوا فَأَمْسِكُوهُنَّ فِي

787 الإنسان 28-30.

788 فاطر 10.

789 آل عمران، 26.

790 فاطر 11.

791 البقرة 94-96.

الْبُيُوتِ حَتَّى يَتَوَفَّاهُنَّ الْمَوْتُ أَوْ يَجْعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا وَاللَّذَانِ يَأْتِيَانَهَا مِنْكُمْ فَأَذُوهُمَا فَإِنَّ تَابَا وَأَصْلَحَا فَأَعْرِضُوا عَنْهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ تَوَّابًا رَحِيمًا إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ فَأُولَئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْآنَ وَلَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارًا أُولَئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا} 792، وقال تعالى: { خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ وَأَخْرَجَ مُرْجُونَ لِأَمْرِ اللَّهِ إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ} 793.

42 . علمه للسر والجهر: قال تعالى: { قُلْ إِنْ تُحْفُوا مَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ يَعْلَمُهُ اللَّهُ وَيَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} 794، وقال تعالى: { ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِ الْغَمِّ أَمَنَةً نُعَاسًا يَعْنَى طَائِفَةً مِنْكُمْ وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَلْ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ مِنْ شَيْءٍ قُلْ إِنْ الْأَمْرُ كُلُّهُ لِلَّهِ يُخْفُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ مَا لَا يُبْدُونَ لَكَ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَا قُتِلْنَا هَاهُنَا قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ} 795. وقال

792 النساء، 15-18.

793 التوبة 103-106.

794 آل عمران، 29.

795 آل عمران، 154.

تعالى: {إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} أَلَا إِنَّهُمْ يَنْتُونُ  
صُدُورَهُمْ لَيَسْتَخْفُوا مِنْهُ أَلَا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا  
يُعْلِنُونَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ {796.

43 . خلقه للطاعة: قال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ  
وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ  
وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ  
تَأْوِيلًا} {797، وقال تعالى: {قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ  
اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِن  
تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ} {798، وقال تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا  
وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَشَاقُّوا الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَىٰ لَنْ  
يُضْرَبُوا اللَّهَ شَيْئًا وَسَيُحْبِطُ أَعْمَالُهُمْ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ  
وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ  
اللَّهِ ثُمَّ مَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ} {799.

44 . خلقه للرفقة: قال تعالى: {يَوْمَ تَجِدُ كُلَّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ  
مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا  
وَيُجَذِّبُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ} {800، وقال تعالى: {قُلْ  
أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُمْ مَا  
حُمِّلْتُمْ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ وَعَدَّ اللَّهُ  
الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا  
اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ

796 هود 4،5.

797 النساء، 59.

798 آل عمران، 31،32.

799 محمد، 32،33.

800 آل عمران، 30.



وَلْيَبَدِّلْهُمْ مِنْ بَعْدِ حَوْفِهِمْ أَمْناً يِعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئاً وَمَنْ كَفَرَ  
بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا  
الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ { 801.

45 . خلقه للرحمة: قال تعالى: { إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا  
وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَةَ اللَّهِ وَاللَّهُ غَفُورٌ  
رَحِيمٌ { 802، وقال تعالى: { إِنَّ رَبَّكُمْ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ  
وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُعْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ  
حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ  
تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ  
الْمُعْتَدِينَ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا  
إِنَّ رَحْمَةَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ { 803، وقال تعالى: { وَلَئِنْ مَثُمْ أَوْ  
قَاتِلْتُمْ لَأِيَّ اللَّهِ تُخَشَرُونَ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظًا  
الْقَلْبِ لَأَنْفَضْتُمَا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي  
الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ { 804 وقال  
تعالى: { يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا  
مُبِينًا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَاعْتَصَمُوا بِهِ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِي رَحْمَةٍ مِنْهُ  
وَفَضْلٍ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمًا { 805.

46 . خلقه الأزواج: وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ  
أَزْوَاجًا لَتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ

801 النور 54-56.

802 البقرة، 218.

803 الأعراف 54-56.

804 آل عمران، 158، 159.

805 النساء، 174، 175.

لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ} 806، وقال تعالى: {وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ  
وَالْأُنثَى مِنْ نُطْفَةٍ إِذَا تُمْنَى وَأَنَّ عَلَيْهِ النَّشْأَةَ الْأُخْرَى وَأَنَّهُ هُوَ أَعْنَى وَافَى  
وَأَنَّهُ هُوَ رَبُّ الشَّعْرَى وَأَنَّهُ أَهْلَكَ عَادًا الْأُولَى وَثَمُودَ فَمَا أَبْقَى وَقَوْمَ نُوحٍ  
مِنْ قَبْلُ إِتَّهَمُوا أَنَّهُمْ كَانُوا هُمْ أَظْلَمَ وَأَطْعَى وَالْمُرْتَفِكَةَ أَهْوَى فَغَشَّاهَا مَا  
غَشَّى فَبَإْيِّ آلاءِ رَبِّكَ تَتَمَارَى} 807، وقال تعالى: {وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ  
خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ} 808.

47 . خلقه للغة: قال تعالى: {وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ  
وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالَمِينَ  
وَمِنْ آيَاتِهِ مَنَامُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَابْتِعَاؤُكُمْ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ  
لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ} 809، وقال تعالى: {إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا  
أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ  
وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ  
وَأَتَيْنَا دَاوُدَ زَيْتُونَ وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَرُسُلًا لَمْ  
نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا} 810

48 . خلقه للترغيب والترهيب: قال تعالى: {وَمِنْ آيَاتِهِ يُرِيكُمُ  
الْبَرْقَ حَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنزِلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَيُخْرِجُ بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا  
إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ} 811، وقال تعالى: {وَمَا آتَاكُمُ  
الرَّسُولَ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ

806 الروم،

807 النجم 45 . 55.

808 الذاريات 49.

809 الروم، 22، 23.

810 النساء، 163، 164.

811 الروم، 24.

العِقَابِ {812، وقال تعالى: {فَقَدْ كَذَّبْتُمْ بِمَا تَقُولُونَ فَمَا تَسْتَطِيعُونَ صَرْفًا وَلَا نَصْرًا وَمَنْ يَظْلِمِ مِنْكُمْ نُذِقْهُ عَذَابًا كَبِيرًا وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا إِهْتَمَّ لِيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي الْأَسْوَاقِ وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا} 813.

وعليه فإن الحياة جلالة الله تعالى، وهي صفة من صفاته الحسان، والحياة بيده تُخلق خلقا، ويبد الخليفة تُصنع صنعا، والحياة هي القوّة التي بها خلقت الأشياء وما يستمد منها من توالد وتكاثر، وهي صفة متلازمة من ذات الله فهو الأول والآخر، وهي كذلك هي أول وآخر (حياة الدنيا وحياة الآخرة).

الحي المطلق هو الذي تستمد منه الحياة فلو لم يكن ما كانت، ولأنها الكائنة فهو الذي من وراء كينونتها، ولأنه جلّ جلاله هو الحي الدائم فهو: الله الذي لا إله إلا هو الرحمن، الرحيم، الملك، القدوس، السلام، المؤمن، المهيمن، العزيز، الجبار، المتكبر، الخالق، الباري، المصور، الغفار، القهار، الوهاب، الرزاق، الفتاح، العليم، القابض، الباسط، الخافض، الرافع، المعز، المذل، السميع، البصير، الحكيم، العدل، اللطيف، الخبير، الحليم، العظيم، الغفور، الشكور، العلي، الكبير، الحفيظ، المقيت، الحسيب، الجليل، الكريم، الرقيب، المجيب، الواسع، الحكيم، الودود، المجيد، الباعث، الشهيد، الحق، الوكيل، القوي، المتين، الولي، الحميد، المحصي، المبدئ، المعيد، المحي، المعيد، القيوم، الواجد، الماجد، الواحد، الصمد، القادر، المقتدر، المؤخر، الأول، الآخر، الظاهر، الباطن، الولي، المتعال، البرّ، التواب، المنتقم، العفو، الرؤوف، مالك الملك، ذو الجلال والإكرام، المقسط، الجامع،

812 الحشر 7.

813 الفرقان، 19 . 20.

الغني، المغني، المانع، الضار، النافع، النور، الهادي، البديع، الباقي،  
الوارث، الرشيد، الصبور.

### وفاة يحيى:

ذكروا في قتله أسبابا من أشهرها: أنّ بعض ملوك ذلك الزمان  
بدمشق، كان يريد أن يتزوج ببعض محارمه، أو من لا يحل له تزويجها،  
فنهاه يحيى عليه السلام عن ذلك، فبقي في نفسها منه، فلمّا كان  
بينها وبين الملك ما يحبّ منها، استوهبت منه دمّ يحيى فوهبه لها،  
فبعثت إليه من قتله، وجاء برأسه ودمه في طشت إلى عندها، فيقال:  
إنّها هلكت من فورها وساعتها. وقيل: بل أحبّته امرأة ذلك الملك  
وراسلته فأبى عليها، فلمّا يئست منه تحيلت في أن استوهبته من  
الملك، فتمنّع عليها الملك، ثم أجابها إلى ذلك، فبعث من قتله  
وأحضر إليها رأسه ودمه في طشت.

وقد ورد معناه في حديث رواه إسحاق بن بشر في كتابه المبتدأ  
حيث قال: أنبأنا يعقوب الكوفي، عن عمرو بن ميمون، عن أبيه، عن  
ابن عباس أن رسول الله ﷺ ليلة أسري به رأى زكريا في السماء، فسلم  
عليه وقال له: يا أبا يحيى خبرني عن قتلك كيف كان، ولم تقتلك بنو  
إسرائيل؟

قال: يا محمّد أخبرك أن يحيى كان خير أهل زمانه، وكان أجملهم  
وأصحبهم وجهها، وكان لا يحتاج إلى النساء، فهوته امرأة ملك بني  
إسرائيل، وكانت بغية، فأرسلت إليه وعصمه الله وامتنع يحيى وأبى  
عليها، فأجمعت على قتل يحيى، ولهم عيد يجتمعون في كلّ عام،  
وكانت سنة الملك أن يوعده ولا يخلف ولا يكذب.

قال: فخرج الملك إلى العيد فقامت امرأته فشيخته، وكان بها معجبا، ولم تكن تفعله فيما مضى، فلما أن شيخته قال الملك: سليمان فما سألتني شيئا إلا أعطيتك، قالت: أريد دم يحيى بن زكريا، قال لها: سليمان غيره. قالت: هو ذاك. قال: هو لك.

قال: فبعثت جلاوزتها إلى يحيى وهو في محرابه يصلي، وأنا إلى جانبه أصلي، قال: فذبح في طشت وحمل رأسه ودمه إليها.

قال: فقال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "فما بلغ من صبري".

قال: "ما انفتلت من صلاتي".

قال: فلما حمل رأسه إليها، ووضع بين يديها، ولكن لما أمسوا خسف الله بالملك، وأهل بيته وحشمه، فلما أصبحوا قالت بنو إسرائيل: قد غضب إله زكريا لزكريا، فتعالوا حتى غضب ملكنا فنقتل زكريا.

قُتِلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَلَمْ يَمُتْ مَوْتًا طَبِيعِيًّا، وَقَدْ قَتَلَهُ الْمَلِكُ (هيرودس) أَحَدَ مَلُوكِ ذَلِكَ الزَّمَانِ، وَفِي رِوَايَةٍ أُخْرَى يُقَالُ: "أَنَّ ذَلِكَ الْمَلِكَ أَرَادَ الزَّوْجَ مِنْ إِحْدَى مَحَارِمِهِ وَهُوَ أَمْرٌ مُحَرَّمٌ عَلَيْهِ زَوَاجُهَا وَكَانَ النَّبِيُّ يَحِبُّ عَلَيْهِ السَّلَامَ مَخَوِّفًا لَهُمْ مِنَ الْفِعْلِ الشَّنِيعِ وَالْمَنْكَرِ الْفَظِيعِ الَّذِي يَنْوِي الْمَلِكُ فَعَلَهُ وَتَنْوِي تِلْكَ الْفِتَاةَ الْإِقْبَالَ عَلَيْهِ، وَكَانَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ الْمَلِكِ حُبًّا وَرَغْبَةً فِي الزَّوْجِ وَكَانَ يَحِبُّ عَلَيْهِ السَّلَامَ كَعَادَةِ الْأَنْبِيَاءِ الْكِرَامِ آمُرِينَ بِالْمَعْرُوفِينَ نَاهِينَ عَنِ الْمَنْكَرِ حَتَّى لَوْ بُذِلَتِ الْأَرْوَاحُ وَالْمَهْجُ فِي سَبِيلِ ذَلِكَ، فَمَا كَانَ مِنْ تِلْكَ الْفِتَاةِ إِلَّا أَنْ طَلَبَتْ مِنَ الْمَلِكِ أَنْ يَقْتُلَ لَهَا يَحْيَى عَلَيْهِ السَّلَامُ بَرَهَانًا عَلَى صِدْقِ الْحُبَّةِ وَمَقْرَبَةٍ لَهَا فَمَا كَانَ

منه الأ أن ارسل إليه من قتله وقطع رأسه الشريف وأتاها به في طست ووضعه بين يديها.

ثم اختلف في مقتل يحيى بن زكريا هل كان بالمسجد الأقصى أم غيره؛ فقال الثوري عن الأعمش عن شمر بن عطية قال: قتل على الصخرة التي ببيت المقدس سبعون نبيا منهم يحيى بن زكريا.

ورواية ثالثة تقول: "لما طلق الملك امرأته ثلاثا في عهد يحيى عليه السلام، وأراد أن يتزوجها استفتى يحيى، فقال له يحيى: لا تحلّ لك حتى تنكح زوجا غيرك. فقالت تلك للملك: "اقتله، وأرحنا منه، فقال: إنّه نبي! فقالت: اقتله؛ فقتله وأخذ رأسه على طبق وأهداه لهذه البغي" 814.

ورواية أخرى تقول: "أن تلك المرأة (سالومي) هي قصّة راقصة جميلة أرادت إغراء يحيى عليه السلام؛ فرفض أن يخضع لإغرائها؛ فجعلت مهرها أن يأتوها برأسه، وفعلا قتلوه وجاءوها برأسه على صينية من الفضة" 815.

وختاما أقول:

لا اتفاق على مكان قبر النبي يحيى عليه الصلّاة والسلام، ولهذا هناك قبور متعدّد للأنبياء والصالحين، وهذا التعدد هو الدليل القطعي على عدم التيقن من صحة ما يقال على أنّ هذا قبر للنبي الفلاني وآخر يقول لا: بل هذا قبره، وثالث يخالفهما على التمام.

---

<sup>814</sup> شرح أصول اعتقاد أهل السنة للالكائي، محمد حسن عبد الغفار، 34، ص 3،

بترقيم الشاملة آليا.

<sup>815</sup> تفسير الشعراوي، 1، ص 449.

وعليه فلا يقين بتحديد أماكن دفن الأنبياء والرسل الكرام عليهم الصلّاة والسّلام إلّا مقام محمّد عليه الصلّاة والسّلام، وهنا اكتشف علاقة بين الرّسالة الباقية (رسالة الكافّة) التي نسخت كلّ الرّسالات وهي الباقية التي لا تنسخ، وبين بقاء مقام النبي محمّد عليه الصلّاة والسّلام علما بيّنا ولا شكّ فيه، ولا وجودا معرفيا قاطعا لمقامات الأنبياء والرسل الكرام الذين سبقوه اصطفاء.

ومن هنا أقول: إنّها الرّسالة الخالدة التي نسخت كلّ ما سبقها، وإنّهُ المقام الخالد الذي هو شاهدا على أنّه محمّد ولا نبيا من بعده. والحمد لله ربّ العالمين.